الدوحة

- التنمية في الخليج .. ظالمة أم مظلومة؟ د. غازي القصيبي
- الحزبية .. إلى التناصح: د. المحجوب
- أول حديث صحفي مع القصص إسماعيل الأزهري

السيرة الشعبية
وتجربة التراكم الملحمي





رجالهم .. وبذلك بدل ان يستعمروني بعد خمس سنوات يستعمرونني بعد سنة .. صدقني إن كل الذين يحاولون الوصول الى سطحي هم استعماريون .. انهم يضحكون عليكم في الأرض بالأسلوب العلمي ، وهذه احدث موضة للاستعمار !

ـ قلت : دعنا من هذه الصورة فانا هارب اليك . الى هدوئك .. الى ضيائك فلا «تغم» نفسيتي !

● قال ضاحكاً : لا تهتم .. أنا متسامح، إنما قل لي .. انت من سكان اية منطقة في الأرض ؟!

ـ قلت : من منطقة الشرق الأوسط (!)

● قال : ها .. من اجل هذا نفرت من الحديث عن الاستعمار ، لانكم تكتوون بناره في المنطقة .

ـ قلت : انت تقول انك متسامح .. فما دليلك على ذلك ؟!

● قال : دليلي عندكم . الم يقل احدكم يا سكان الأرض : «ان يبغ عليك قومك فلا يبغ عليك القمر» ؟!

ـ قلت : هذا مثل عربي .. هذا دليل حبنا لك !

● قال : وقلتم مثلاً آخر يختلف .. هو «أضيع من قمر الشتاء» لأنه لا يجلس فيه ، ولا اليه احد !

ـ قلت : البرد قارس احياناً .. والانسان لا يحتمل الارتعاشات القوية !

● قال : وهل هناك اقوى من ارتعاشة القلب عندما يحب ، ومع ذلك تتلاعبون بقلوبكم احيانا حتى وهي ترتعش !

ـ قلت : لحظتها ـ يا قمر ـ لا نفكر إلا كيف نزيد تلك الارتعاشة !

● قال ضاحكاً : انتم معذورون .. فكل أدوات التعبير الملموسة عندكم .. اول شيء تفعله : الارتعاشة !

ـ قلت : وبعدين معاك .. لتكن لطيفاً كعادتك !!

● قال : إذن غير الموضوع .. فانتم يا ارضيين لا تتحملون حقائقكم !

ـ قلت : يقولون ان طبيعة مناخك قاسية .. فماذا تقول ؟

● قال : «إن نهاري يبلغ الاسبوعين طولا ، ويتعرض سطحي في هذا النهار لشمس ساخنة محرقة .. وهو السطح المضيء ، وترتفع درجة الحرارة عند خط استوائي الى اكثر من درجة غليان الماء عندكم» !

ـ قلت : ومتى يحدث عكس ذلك ؟!

● قال : (يحدث عكس ذلك أثناء الليل الطويل إذ يبرد السطح بسرعة كبيرة فليس هناك طبقة عازلة من الهواء ، ولهذا تهبط درجة الحرارة الى ٢٤٠ ف وهذا المدى يبلغ نحو ضعف المدى الحراري المطلق الذي سجل على سطح الارض في تاريخها الطويل) .

ـ قلت : على مهلك .. توقف . كيف عرفت هذه المعلومات عن نفسك ؟

● قال باسماً : ألم تقولوا انتم رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ؟!

ـ قلت : صحيح .. ولكن هذه المعلومات وزعتها إدارة الأبحاث الأمريكية من سنوات !

● قال : تريد ان تقول انني أمريكي ؟!

ـ قلت : ليس هذا .. وإنما لعل معلوماتك عن نفسك امريكية !

● قال : اذن اسمع وتعلم .. «القمر خال من الهواء الجوي .. لذا يتعرض الانسان الى اشعة الشمس المباشرة فيكون هناك اشعاع شديد من الأشعة فوق البنفسجية . وبعض الأشعة السينية الشمسية» !

ـ قلت : ماذا في هذا الكلام ؟

● قال : كلام علماء الروس !

ـ قلت : إخيه ـ بتشديد الخاء ـ اذن فانت شيوعي . حتى القمر يحاولون جعله شيوعياً ؟!

● قال : لا شيوعياً .. ولا امريكياً ، ولكني مشدود من الطرفين .. كل فريق يريد ان يأخذني في احضانه قبل الآخر !

ـ قلت : وانت ماذا تريد أن تكون ، أو الى حضن من تلوذ ؟

● قال : شوف .. الحضن الشيوعي يمحي الشخصية . وينكرني في النهاية فلا يعد للناس قمر بعد ذلك ، والحضن الامريكي يضعني في فترينة بديكور ، ويكتب على وجهي U.S.A بحجة انه يحميني من الآخرين !

ـ قلت : قل لي ياقمر ، ما رأيك في لجنة « سيتكس » التي كونتها امريكا من سنوات لتبحث في نتائج العدوى التي يخشى ان تصيب القمر والكواكب عن طريق البعثات الأرضية ؟!

● قال : والله هي عدوى بلا شك .. فانتم ياسكان الأرض مشاهدتكم عن بعد اكثر سلامة من الاختلاط معكم ، ولهذا فانا في داخلي عراقيل ستتعب رواد الفضاء وكذلك في الكواكب الأخرى . والسبب اننا لا نأمنكم ونعتقد ان فيكم وباء لا يصح ان يصيبنا !

ـ قلت : على هونك ياقمر .. أرد عليك بحقيقة اخرى فلقد قالوا : « يجب حماية المكتشفين في القمر ضد الأشعة الضارة .. ولذلك فان الآلات التي تسجل باستمرار في المحطات القمرية ستعطينا المعلومات الضرورية عن هذه الاخطار قبل أن يضع الانسان قدمه فوق ارض القمر ! » .

● قال : ربما اعطتكم الاتكم المعلومات .. لكن ذلك سيكلفكم كثيرا حتى تصلوا !!

ـ قلت : نغير الموضوع ، فحدثني عن

الحب على سطحك ؟!

● قال : عندنا جميلات مثل الأرض !

ـ قلت وبعدين معاه ؟ الأرض حجارة ومستنقعات واتربة .

● قال : الم تقولوا ان فى القمر ايضا جبالا وحجارة واشعاعات قاتلة .. ومع ذلك اتيت إلي .. تتاملني وتسالني وانت شحنة شجن ؟!

ـ قلت : علماء الأرض قالوا : « إن تحليل ترابك اذا لم تصبه عدوى من يد الانسان فهو هيدروكاربونات إنبعثت فى الفضاء الكوني » ! .

● قال : إن ترابي هو تاريخي ، وانا لن اسمح لكم ياسكان الأرض أن تلوثوا تاريخي .

ـ قلت : ول ، انت حمقان جدا !!

● قال : انا ادافع عن تاريخى !

ـ قلت : طيب . قال العلماء إن الانسان على ارتفاع ٥٠ الف قدم لا يفقد قابليته للحب .. فكيف يكون الحب عندك ؟!

● قال : الحب هنا التئام .. إن كل السكان متمرسون على أنواع الرياضة البدنية ، وعلى الانزلاق المستمر ، فخطوات السكان هنا كلها انزلاق !

ـ قلت : يا حلاوة ياقمر على الانزلاق فى الهواء !

● قال : أما فى الأرض فانتم تنزلقون على اهوائكم ورغباتكم ، ولهذا فقد أرادت امراة من عندكم مرة أن تهرب وترضي أن تصعد فى مركبة فضائية ، وتجرب انعدام الوزن ـ إنما على خفيف ـ ولو قدر لها أن تخرج فى الفضاء من مركبتها لأحبت الانزلاق فـــى الهواء .. فهو يقرب الاثنين بعضهما الى بعض .. دائما ، أما انزلاقكم فى الأرض فهو يبعد الاثنين دائماً . وبسبب انزلاقكم تاتون .. وتتطلعون الى ضيائي . وتشكون قلة بختكم .. وهجران احبائكم عنكم !

ـ قلت : لكن هذا لا يمنع من الاقتناع بحقيقة تقول : إننا نحب !

● قال : تحبون على طريقتكم ، ثم تتاوهون وتنوحون وتقولون غناء : ياقمر : إيش حصل بينى وبينك .. حتى عن عيني تغيب » فيا أيها الأرضي انا ارفض الاستجداء فى الحب ، فكونوا سماويين !

ـ قلت : عندنا حب الروح .. الا تعرف عنه شيئة ؟!

● قال : نعم نعم .. يذكرني هذا بحكاية طريفة شاهدتها من علوى ، فقد كان احد المحبين طافشا مهموما حزينا .. اختلف مع حبيبته ، او هى تركته لتذيبه ، فجاء الى نافذته وجلس يتطلع إلي ، والدمع يترقرق فى عينيه ، فسطع نوري عليه .. منحه صبابة وطمانينة .. واخذ يفكر ، ويستغرق فى تامله .. ونام على حافة النافذة . وفى الليلة الثانية رايتهما معاً ـ هو وهي ـ وضحكاتهما تشوش على جلال الهواء من حول نوري على الأرض !

ـ قلت : ياسلام .. شيء حلو ؟

● قال : مبسوط ؟! مساكين .. فرحتكم مستعجلة ، وغضبكم عاجل !

ـ قلت : ومن الذى يحب يا قمر ؟!

● قال : الذى يبكي !

ـ قلت : إذن .. الدموع فى رايك هي تعبير عن الحب . ؟!

● قال : الدموع هى حدقات الوجدان، فبعدما يبكي الانسان يرتاح ويبصر اكثر.

ـ قلت : عجيب .. ومتى يحب الانسان ؟

● قال : يحب .. عندما ينكر ذاته !

ـ قلت : ولكنهم يقولون : الذى يحب يترف نفسه ، والذى يترفها يحب نفسه .. وهو الاناني.

● قال : الأنانية عندكم فى كل شيء ، فقط .. تختلف ابعادها ، ومفعولها ، ودوافعها .. فهناك انانية مضيئة !

ـ قلت : لا تجنني !

● قال : لقد جن غيرك ولكني عرفتكم جيدا يا سكان الأرض !

ـ قلت : والحب عندكم هنا .. اليس فيه انانية ؟

● قال : عندنا الذى ينزلق على الهواء منفردا دون أن يلتئم بمن يحبه اناني !

ـ قلت : عال !.. تعني ان الانزلاق على الهواء طموح ؟!

● قال : أبدا .. انه طبيعة الحياة ، والذى لا يشارك فى هذه الطبيعة .. انسان اناني !

ـ قلت : ولماذا أناني ؟ .. هل الانزلاق على الهواء منفردا متعة ، ويجب ان يشترك من يحبه فى هذه المتعة ؟!

● قال : بالضبط !

ـ قلت : طيب .. أليس كل واحد يستطيع أن ينزلق بمفرده ؟

● قال: إذا لم يكن يحب لايستطيع(!)

ـ قلت عجيب !. إذن كلكم تحبون !!

● قال : أليس هذا موطن القمر ، والقمر هو ملاذ العشاق والمحبين ؟!

ـ قلت : ياقمـــر تسلم لي عينـك !!

● قال : إذا اردت ان تعود الى ثانية فلا تحضر منفردا ـ وحدك ، فسارفضك !! لا اريد صحفيا بورق فقط !

ـ قلت : لكني جئت وفى صدري قلبي .. وفى قلبى وجداني كله !

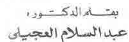
● قال هذا لايكفيني .. فانا أعبر عن « طموح » الحب والمحبين !

ـ قلت سانادي الآن تحت ضيائك :

هلت ليالي القمـــر .. تعال
نسهـــر سوا .. فى نور بهـــاه !

عبد الله جفري





قلت لصاحبي أبي البهاء :

ـ وعدتني بأن تروى لي أحد فصولك القديمة ... حكاية الملهى فى بيروت . هل نسيت ؟

قال : لم انس . اتهمتنى يومها بانى نبرت ذلك الفصل لأستفيد منه شخصياً ، والحقيقة غير ذلك .

فسألته وأنا ابتسم : وما هى الحقيقة يا أبا البهاء ؟

قال : قد أكون فعلت ما فعلت ، كما قلت لك قبل اليوم ، لانتقم من أصحاب ذلك الملهى الذين كانوا يفرغون جيوب رواده من محتوياتها بأكثر الأساليب بعداً عن الشرعية . وقد يكون السبب هو رغبتى فى انقاذ صديقنا مجد الدين من مأزق الافلاس الذى كان واقعاً فيه تلك الليلة . أنت تعرف مجد الدين ...

قلت : أعرفه بالشكل : رأس ضخم على قامة قصيرة وكرش مدورة ، وبشرة مغرقة فى السمرة . نقيضك فى لون البشرة وتكوين الجسم . وأحسب أنه نقيضك فى المزاج ، فهو لا يخلو من ثقل الدم . ما الذى جمعك به فى بيروت ؟

قال : لقيته فيها مصادفة فى احدى الأمسيات . كان ذلك منذ اعوام ، قبل خراب تلك المدينة الجميلة . قال لي حين التقينا انه يحب أن يسهر معى ، لم يكن لدى ما يشغلنى فقلت له : نسهر إذن فى الكريزى هورس . قال : لا تمزح .. إنهم يسلخون جلود الزبائن سلخاً فى ذلك الملهى .. من ناحيتى انا مفلس تماماً ، وما اظن فى جيبك انت الف ليرة لتدفعها ثمن السهرة ! قلت له لا تحمل هم تكاليف السهرة .. كل ما أريده أن تتبع تعليماتى على وجه الدقة . وكانت تعليماتى أن اسبقه الى صالة الملهى واحتل احدى الطاولات ، فاذا دخل بعدى فليجل نظرة بين الحضور على موائدهم ثم ليقف على راسى فيستأذننى فى الجلوس على مائدتى كأنه لا يعرفنى . والبقية علي ...

وهنا قاطعت أنا أبا البهاء بقولى : كأنك كنت تملك خطة جاهزة لغزو ذلك الملهى ...

قال : كانت خطة بنت ساعتها . لعلى استوحيتها من المعطف الفضفاض ، المهترىء الأكمام والحواشى ، الذى كان يرتديه انذاك مجد الدين . كان الوقت شتاء ، وعلى أن جو بيروت دافىء فى الشتاء فقد كانت الأمسية باردة ، وكان الساهرون أمثالنا يرتدون معاطفهم تخوفاً من زمهرير آخر الليل . احتللت فى الصالة المزدحمة بروادها مائدة انتقيتها فى زاوية قليلة الانارة . وانقضت برهة قبل أن يلحق بى مجد الدين ، بعد أن تخفف من معطفه البغيض وسلمه ، كما فعلت أنا ، لفتاة المشلح المؤتمنة على معاطف الساهرين فى كوتها عند المدخل . تجول بين الموائد فى البدء كالحائر ، ثم مالبث أن استأذننى فى الجلوس معى متظاهراً بأنه لم يجد مكاناً آخر . هذه أول مرحلة فى الخطة ، وقد تمت على مايرام . ماذا أقول لك ... كانت سهرة رائعة . طعام شهى وشراب كما تتمنى ، وموسيقى ، ولوحات رقص مثيرة تؤديها أفتن فنانات علب الليل العالمية ! ومع ذلك فقد بدا مجد الدين وكان الخوف

سيقتله . كلما صفقت للغرسون أستزيده من الطعام أو ليعيد ملء كاسينا لكزني بكوعه وهو يغص بلقمته قائلا : وأخرتها ؟! كيف نؤدي حساب كل هذا ؟ ولم اكن اجيبه ، منتظرا أن تحين الفرصة التي اريدها . وحانت تلك الفرصة حينما أطفئت انوار الصالة على المتحلقين حول الموائد ، واعلن مذيع السهرة عن مشهد تشترك فيه فنانات الملهى برقصة جماعية مثيرة على انغام ملتهبة صاخبة . قلت لمجد الدين عندها : اذهب أنت الآن ودعني هنا ، وعند الباب تصرف كما أقول لك . وأفهمته بما يجب أن يفعله عند خروجه ، فأسرع بالذهاب مسرورا بأن يبتعد عن مواجهة هو شديد التخوف من ان يكون طرفا فيها ...

سألت أنا أبا البهاء : أنت تتكلم كالذي يطرح لغزا . ما الذي كان على مجد الدين أن يفعله ؟

قال : اصبر قليلا . من ناحيتي صبرت نصف ساعة قبل أن أصفق للغرسون كي يأتيني بالحساب . جاءني الرجل بورقة مطوية في ثنايا منديل احمر موضوع في صحن ناصع البياض . كان الحساب مبلغا كبيرا لا يحتوي جيبي عشره ، إلا أن ذلك لم يزعجني . تظاهرت بأني أفتش عن محفظتي في جيوبي المختلفة ، وبأني لم أجدها ، فطلبت من الغرسون أن يتبعني الى مشلح الثياب عند المدخل ، حيث معطفي ، لأني تركت محفظتي فيه . وامتثل هو لأمري . وحين قدمت لفتاة المشلح القسيمة التي كانت بيدي ، تلك التي تحمل رقم المعطف المودع عندها ، ناولتني معطفا رددته اليها بسرعة مع الرجاء بأن تعيد قراءة القسيمة وتعطيني معطفي أنا . تطلعت الفتاة الى القسيمة وقالت مصرة : بل هذا رداؤك يا سيد . افهمتها أنها مخطئة ، ولأبرهن لها على ذلك لبست الرداء الذي ناولتني اياه فبدوت فيه كقضيب نحيل في كيس عريض متهدل . كان معطفا واسعا وقصيرا ، واضح أنه لم يفصل ليرتديه انسان ممشوق القامة طويلها مثلي . ولا عجب في ذلك ، فقد كان معطف مجد الدين الذي تركه في المشلح مبادلا إياه بمعطفي ، حين أعطيته قسيمتي وأخذت منه قسيمته ، فغادر الملهى عندما كان خدمه ، مثل رواده ، مشدودي الأبصار الى المسرح المنار وراقصاته العرايا الفاتنات ...

ومن جديد قاطعت أبا البهاء ، وانا ابتسم ، بقولي : وماذا كنت تقصد بذاك الذي فعلته ؟

قال : كنت أقصد أن يجري الذي جرى بعد ذلك . حدثت ، عند مشلح الثياب ، مشادة بيني وبين فتاته ، بينما وقف الغرسون محرجا لا يدري ماذا يفعل . ورفعت صوتي في تلك المشادة رافضا ان أتحرك من مكاني قبل أنْ يأتي مدير الملهى ليعرف الصلة بين هذه الفتاة وبين الرجل القصير الضخم الذي أعطته هي قسيمتي كي يذهب بمعطفي الثمين ... ذهب بمعطفي الثمين وفيه محفظتي وأوراقي الشخصية وترك لي هذا الرداء الرخيص ، المزري في قماشه وخياطته ، والخالية جيوبه إلا من بقايا تبغ في قعانها ! وتجمع علينا الخدم في البداية ثم ما لبث مدير الملهى ان جاء الينا مسرعا . ولما عرف المدير بتفاصيل الامر كما رويته له لم يجد مجالا لارضائي ، ولصرفي عن طلب التعويض عما فقدته ، إلا بتقريع فتاة المشلح المسكينة بأقسى الألفاظ على أن آخذ المعطف البديل لأسلمه الى صديقي عادل بك ، مدير الشرطة السياحية ، لعل رجاله يهتدون الى صاحبه ويعرفون منه مصير معطفي. ولقد شكرني مدير الملهى وأعطاني كل الحق لما قلت له ان المعطف لم يكن يهمني بذاته ولا بما تحويه محفظتي فيه من نقود ، ولكنها أوراقي الثمينة ، أوراقي الشخصية هي التي تهمني ...

وسكت أبو البهاء ، بينما تحولت ابتسامتي الى قهقهة وانا أتصور الموقف عند مشلح الثياب : أبو البهاء متعنترا يحتج ويطالب بمعطفه الفاخر الثمين والمدير يترضاه ويرجوه أن لا يحتد ويرفع صوته امام جمهور مؤسسته الراقية ، والفتاة المسكينة تكفكف دمعها لهذا الخطأ الفادح الذي لا تدري كيف وقعت فيه .

وسألت صاحبي :

– وبعد ذلك ؟

قال : بعد ذلك عدت الى فندقي حيث كان عبد المجيد ينتظرني ، فتبادلنا معطفينا بكل بساطة . أعطيته معطفه وأخذت منه معطفي . ما أكلناه وشربناه في الكريزي هورس تلك الليلة لم ينزل بميزانية ذلك الملهى عجزا كبيرا . كل ما فعلته أني أتحفت صاحبي السيد عبد المجيد بسهرة ممتعة وانقذته من موقف الجائع المفلس . هل تراني أخطأت في هذا ؟

● ●

لم أفكر فيما اذا كان أبو البهاء أخطأ أو أصاب فيما فعل تلك الليلة . إلا أني تذكرت لقوله انه أنقذ صاحبه من موقف الجائع المفلس في بيروت حكاية له كان دوره الانقاذي فيها أوضح . لم يحدثني هو بتلك الحكاية ، وإنما رواها لي في حلب ابن بلدي ، صديقه وصديقي ، احمد الحاج ابراهيم .

كنت في حلب حين أبصرت احمد الحاج ابراهيم يسير في الشارع مسرعا كأنه يسعى الى موعد يخشى أن يفوته . لم يكن يراني . كانت على شفتيه ابتسامة عريضة كأنه يضاحك بها نفسه ، فاعترضت طريقه وانا أقول : من يرى سرعة خطوك وسعة ابتسامتك يحزر أنك ذاهب الى ميعاد غرامي ! فوقف وقال : ليس الأمر ما تظن ، ولكنه مأزق خلصت منه الان ، فأنا ابتسم لغبطتي بالخلاص . سألته : أي مأزق ؟ قال : دائن ثقيل ما كنت أستطيع التملص منه ، وجاءني أبو البهاء فأنقذني . قلت : أبو البهاء ؟ أين هو ؟ قال تركته منذ قليل .. تعال لنجلس في هذا المقهى وسأخبرك ...

وفي المقهى سمعت من احمد حكاية مأزقه الذي خلص منه منذ دقائق ، قال :

– انت تعرف الضائقة التي نعيش فيها ، نحن معشر المزارعين ، في هذا الفصل من السنة . محاصيلنا في هذا



العام سيئة ، ودائنونا كثيرون . غالبية الدائنين تعرف وضعنا فتمهلنا فى استيفاء حقها الى أن يفرجها الله علينا . إلا أن احد أبناء أعمامى ، واسمه خميس ليس من هذه الغالبية المتفهمة . إنه انسان بسيط لا يخلو من الطيبة ، غير انه فى مطالبته فى استيفاء حسابه ملحاح لا يقبل عذرا منى على الرغم من قرابتى له . انا فى هذه المدينة منذ أيام ، وكنت حسبت انى ببعدى عن بلدتنا قد استرحت بعض الوقت من مطالبة خميس بما استحق له فى ذمتى . وفى هذا الصباح فوجئت به يقطع على الطريق ليقول لي انه وصل لتوه من البلد وانه جاء ليستوفى دينه منى . حاولت اقناعه بتاجيل مطالبته الى ان نرجع الى اهلنا ، ولكنه لم يقتنع ، وظل متشبثا بى حتى تعللت له ببعض المواعيد التى علي أن اذهب اليها . وهكذا كان ممسكا بذراعى حين مر بقربنا ابو البهاء فتوقف لحظة ليحيينى فيها . خطر لى عند ذاك خاطر ، فملت على ابى البهاء وقلت له بعجلة ، وبصوت خافت : «انه خميس ... ابن عم لي ملحاح .. قدم الآن بالاتوبيس من البلد ، وهو يضايقنى ..» . قلت هذه الكلمات ثم عدت الى خميس وحديثه المقيت المزعج ، بينما تابع ابو البهاء طريقه دون أن يظهر عليه انه أولى ما قلته له اهتماما . إلا انه ما إن ابتعد خطوات حتى التفت الينا وقال يخاطبنى بصوت عال : احمد .. أريد أن اسالك .

قلت ، وقد توقعت فرجا مما انا فيه : تفضل واسأل . قال بلدتك صغيرة ، ولاشك فى انك تعرف أكثر ناسها . قلت : صحيح ... من تريد منها ؟ قال : اسأل عن شخص جاء منها صباح هذا اليوم بالاتوبيس . قلت : الذين جاءوا بالاتوبيس كثيرون ... من هو ذلك الشخص ؟ قال : هو رجل قصير القامة ، يلبس ثيابا بدوية ، واسمه خميس .. انا لا اعرفه شخصيا ، ولكن شرطة المدينة كلها تبحث عنه هذه الساعة . فسألته انا متظاهرا بالقلق : ولماذا تبحث الشرطة عن خميس ؟ قال : لجناية ارتكبها وهو فى طريقه الى هذه المدينة ... جناية يستحق عليها الحبس والجلد بالسياط ... ذلك اللعين لم يعرف ان الفتاة التى احتك بها فى الاوتوبيس واساء الأدب بحقها هى ابنة أخ العقيد صالح قائد الشرطة فى البلد ، وانها اخبرت عمها بما جرى لها حال وصولها فاصدر امره بالبحث عن الرجل فى كل مكان .. يا ويلك يا خميس متى وقعت فى أيديهم !

لم أتمالك نفسى من الضحك لما رواه أحمد الحاج ابراهيم ، وقلت : هذا طابع ابى البهاء فى فصوله المشهورة . ما اسرع بديهته فى هذه المواقف !

فتابع أحمد الرواية بقوله : اسمع الخاتمة . فى هذه الاثناء احسست بأن خميسا، قريبى القصير القامة الذى كان يرتدى ثيابه البدوية ، قد اختبأ وراء ظهرى كأنه يخشى أن يتعرف محدثى فى شخصه على الجانى المطلوب . وسمعته يقول من ورائى بصوت مبحوح : أحمد ... صدقنى ، هذا غير صحيح ... نعم ، كانت فى الاوتوبيس فتاة مدنية ... ربما فتيات ولكنى والله ما مددت يدى الى واحدة منهن ... ما تعرضت لاحداهن بكلمة ! أما أبو البهاء فقد استمر فى وصف العقاب الأليم الذى يتوقعه للجانى المزعوم حين يقبض عليه زبانية العقيد ، مما زاد فى هلع خميس البسيط المعرفة والساذج التفكير . وعندما ابتعد أبو البهاء من جديد قال لي خميس بصوت مرتجف : أحمد .. اعلمنى ، ماذا افعل ؟ قلت : سمعت باذنك .. عليك أن تعود الى البلد حالا . قال ، وقد نسي دينه الذى جاء من البلد ليطالبنى به : أعود ... حالا ... ولكن قد يكون رجال الشرطة فى موقف السيارات يبحثون عنى هناك ! قلت : لا أظنهم يتوقعون أن ترجع فى نفس اليوم الذى جئت فيه ... ومع ذلك فسارافقك لأطمئن الى ان احدا من الشرطة لم يتعرف عليك ! ... وهذا ما حصل . رافقته الى موقف السيارات واطمأننت من انه استقل الاوتوبيس المتجه الى بلدتنا دون عودة . وكان كما قلت لك مأزقا سلنى منه ابو البهاء كما تسل الشعرة من العجين ...

● ●

ذكرت أبا البهاء بحكايته القديمة هذه مع احمد الحاج ابراهيم وقريبه ، وقلت له :

ـ يجب أن نضيف الى القابك الكثيرة لقب المعين او المنقذ . انقذت أحمد الحاج ابراهيم من مأزقه ، وواسيت مجد الدين فى افلاسه فسقيته وأطعمته دون أن يتكلف فلسا ...

فهز أبو البهاء رأسه موافقا على مديحى له ، غير متكلف التواضع ، وقال: ولا تنس نفسك .

قلت : أنا ؟! بماذا اعنتنى ، او من ماذا انقذتنى ؟

قال : من المحرجات التى تقع فيها احيانا بصفتك كاتبا . اعرف أن قلمك فى الموضوعات التى تكتب فيها عادة يشتط احيانا فيعود بالضرر ، اذا لم يكن عليك شخصيا فعلى الدوريات التى تنشر فيها. بينما أعطيك أنا مادة تكتبها وتسلى بها قراءك دون أن ينال أحد ضررا بسببها ...

ابتسمت وقلت : قد يكون ما تقوله صحيحا . يلزمنى اذن أن أشكرك .

قال ، وهو يشد على يدى مودعا : لا شكر على واجب . انا دوما تحت تصرف اصحابي ، إذا لم يكن لانقاذهم فلاضحاكهم . الى اللقاء ...

وابتعد وطابع الجد مرتسم على كل تصرفاته ، تلك التصرفات التى تملأ نفوسنا نحن أصحابه بالمرح وتبعث على شفاهنا اوسع البسمات .

د. عبد السلام العجيلى



محمد الفهد العيسى

في البدء كانت الحروف

بعد أن حطبتنيِ الهموم والأحزان
بعد أن تطاولتْ بدربيَ الجدران
كم ألف ليلةٍ جفَّ فيها الدمعُ
وعز الصَّبرُ ..
كم جزعتُ من تهدُّج الحرمانْ

●●

بعد أن جدَّلت ليالي اليأسِ
لي أنشوطةَ انكسارْ
جئت يا ...
إليكِ
جئتُ والنَّدَى فى راحتيْ كفَّيْكِ ..
والتقتْ عينايَ فى عَيْنَيْكِ
والتقَتْ راحتايَ واستقرتا
.... بين راحتَيْكِ

●●

فى حبك الدفيىء بالحنانْ
تلاشتْ الأحزانْ
تهاوتْ الجدرانْ
احتوى شجون خوفيَ الأمانْ
من ـ حروفكِ ـ العِذابْ ...
عرفتُ الرِّؤى بعد أن ظمئتُ ألفَ عامْ
عرفت معنى أن ـ أحببتُ ـ
ماالهوى .. ما الحب .. ما الانسانْ ..

●●

فى البدء .. كانت الحروفُ
كيف لي .. أصوغُ عقداً من جُمَانْ
الصمت يا ....
(قس) عاشق مثلي
بليغ فى معاناة الحروف والبيانْ

طلعت حسن محمد جاد الله



الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من ناحيــة «الصوت» فقط سنجده معجزاً أيما اعجاز فى معانيه وألفاظه ونظمه وصوته .

ولنأخذ اية من سورة الاعراف «الأيتان ١٧٥ ، ١٧٦» ، هى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين . ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » صدق الله العظيم .

فلننظر فى اختيار القرآن الكريم للكلمات ، ثم لننظر إلى اي حد عبرت هذه الكلمات عما وضعت له من معنى ، لننظر فى كلمة « يلهث » التى تكررت مرتين والتى هى وجه الشبه بين الكافر والكلب ، واللهاث سرعة ضربات القلب ، وسرعة الشهيق والزفير بسبب الحر او التعب والكلب عندما يلهث ، يخرج لسانه خارج فمه ، ولكن لم اختار الله جلت حكمته « الكلب » ، من بين المخلوقات كلها ، ونحن نرى حيوانات كثيرة تخرج لسانها عند اللهاث مثل الحمير والخيل والبغال والبقر والجاموس والغنم عندما تشتد بها وطأة الحر او الارهاق ؟ .

يحدثنا علم الطب والتشريح ان «الانسان» هو الحيوان الوحيد من بين الحيوانات جميعاً الذى بجسمه « مسام » يخرج منها العرق الذى يتطاير فى الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم ، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها ، اما الكلب فليس له هذه المسام ، فهو يخرج لسانه خارج فمه ، فيتطاير لعابه فى الجو حاملا معه حرارة الجسم فتتناقص حرارة جسمه .

والآن لننظر إلى كلمة « يلهث » من حيث الصوت ومخارج الحروف ، فالكلب لسانه فى حركة دائبة وهو يلهث يخرج لسانه يعرضه للجــو ، فيجف ما عليه من لعاب حيث يتطاير حاملا بعض حرارة الجسم ، فاذا جف ادخله ثانية إلى فمه ليبلله باللعاب .

فكما ترى : هذه كلمة تتكون إن نحن قمنا بعملية اللهاث حتى وإن لم نقصد كلاما ، وليجرب كل منا ان يدخل لسانه فى فمه ثم يخرجه مع حركتي الشهيق والزفير ، سيسمع بوضوح الحرفين « هث » بنفس الضبط ، والهاء مفتوحة ، والياء بالسكون وقبلهما « اللام » مضبوطة بالسكون عند اضطراب اللسان من التعب ـ داخل الفم بين طرفي الأسنان واللثة العليــا .

مسجد .. مواد بنائه خلطت بالمسك

مسجد « كتبية » من الآثار الاسلامية المعروفة فى العالم الاسلامي ، شيد هذا المسجد فى الرباط وتفرد بمزايــا خاصة جذبت إليه السياح من جميع ارجاء المعمورة .

من اهم ما يميز هذا المسجد عن غيره منارته العالية التى تنشر حولها رائحة ذكية ، تنبعث من جدران المسجد وابوابه لتغمر المنطقة المجاورة له بأريج تطيب له النفوس ، ومصدر تلك الرائحة العطرة أكياس من المسك خلطت مع مواد بناء المسجد عند تشييده قبل ستمائة عام ومايزال بعضها مرصوصا فى ارجاء المسجد وممراته .

من الخواص الاخرى التى عرف بها مسجد كتبية حصر الأذان فى هذا المسجد بالمؤذنين المكفوفين رغم مرور ستة قرون على بنائه . ويعود السبب فى ذلك إلى ان منارته العالية تشرف على انحاء المدينة مما يتيح للمؤذن الصاعد الى المنارة كشف ما حوله من منازل . لهذا منع المؤذنون المبصرون من ارتقائها .

الدوحة

في العدد القادم والأعداد التالية

- د. جلال شوقي
- د. عيسى الناعوري
- د. مليسوم عبدالإله
- د. قاسم عبده قاسم
- أحمد العناني
- د. الطاهر أحمد مكي
- د. محمد عمارة
- د. زكي الأمير
- عبدالقادر عقيل
- محمود شيت خطاب
- سمير فريد
- حبيب صايغ
- عبدالوهاب داود
- أحمد شفيق أبو عوف
- أحمد عامر
- جمال الغيطاني
- فاروق منيب
- د. عبدالعزيز جادو
- إبراهيم السمان
- محمد فتحي عبدالفتاح
- أحمد محمد غندور
- محمود الشرقاوي
- يوسف محمد سليمان
- كامل يوسف حسين

أحسن ما قرأت

من اراد صديقـا	فالله يكفيه
ومن اراد مؤنسا	فالقران يكفيه
ومن اراد غنى	فالقناعة تكفيه
ومن اراد واعظا	فالموت يكفيه
ومن لم تكفه الاربع	فالنار تكفيه

قدم .. الخير

قدم لنفسك خيرا	وانت مالك .. مالك
قبل ان تصبح فردا	ولون حالك .. حالك
ولست والله تدري	اي المسالك .. سالك
اما لجنة عدن	او في المهالك .. هالك

الأحسن

احسن انيس	هو القران
احسن معلم	هو الزمن
احسن كتاب	هو الدنيا
احسن واعظ	هو الضمير

كلمات للحياة

عريان .. لا يخجل

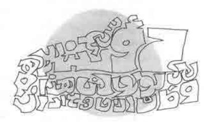
قال العقوق : غطوني بورق التين
وقال الشر : البسوني ملابس الخير والصلاح
وقالت الرذيلة : زينوني برداء الفضيلة
وقال الخداع : ضعوا تاج الامانة على هامي
وقالت الكراهية : البسوني ملابس الحب
وقال الظلم : اعطوني صولجان التسامح
وقال الاستبداد : البسوني رداء الحرية
وقال الاهمال : جملوني بثوب الواجب
وقالت الكبرياء : البسوني رداء التواضع
وعند ذلك قال الحق : اتركوني عريانا فانا لا اخجل !

« للشاعر الانجليزي روبنسون »

الرجال أربعة

قال الخليل بن احمد : الرجال اربعة .
رجل يدري ، ويدري انه يدري ، فسلوه.
ورجل يدري ، ولا يدري انه يدري ، فذكروه
ورجل لا يدري ، ويدري انه لا يدري ، فذاك مسترشد فعلموه .
ورجل لا يدرى ، ولا يدري انه لا يدري ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كلمات في الأدب



اعظم كلمة هي الله
اعمق كلمة هي النفس
أطول كلمة هي الأبدية
اسرع كلمة هي الوقت
اقرب كلمة هي الآن
اقتم كلمة هي الخطيئة
احقر كلمة هي الربا
اقوى كلمة هي : الحق
اوسع كلمة هي : الصدق
ارق كلمة هي : المحبة
اعذب كلمة هي : الوطن
اعز كلمة هي الامل

بدوي الجبل
آخر الراحلين
من عمالقة الشعر العربي المعاصر



بقلم : خيري عبد ربه

هو ذا شاعر منحدر من الجبل البعيد ، يلبس عباءته وعقاله المقصب ، ويدخل المدن الكبيرة على حصان الشعر .. أول المدن : دمشق ، ثم بيروت ، فاستنبول ، وروما وفيينا ، وجنيف ، وذلك منذ أواخر ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٤ واخر المدن كانت دمشق ..

التوقف عند بدوي الجبل ، الشاعر السوري الكبير ، يعني بالضرورة التوقف عند أبرز شعراء اللغة العربية الذين ينتمون إلى الكلاسيكية الجديدة .. يعني التوقف عند جموح القصيدة التي تنقلت من أصابع الشاعر لتثبت ذاتها وخصوصيتها إلى درجة يشعر المرء معها أنه أمام قصيدة خلقت نفسها بنفسها .

ربما لا نبالغ اذا قلنا إن لقب «بدوي الجبل» تجاوز إلى حد كبير اسم الشاعر نفسه ، عرفه الناس بلقب بدوي الجبل ، وغاب عن أذهان كثيرين اسمه الحقيقي . فمن أين جاءت التسمية ؟ :

« اسمي محمد سليمان الاحمد وبدوي الجبل لقب اطلق علي وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، اذ نظمت أبياتا شعرية أرسلتها إلى جريدة «ألف باء» والتى كان يصدرها فى سوريا المرحوم يوسف العيسى ، فاعجب بها ونشرها بتوقيع «بدوي الجبل» وعندما سالته لماذا لم ينشرها باسمي قال : يا بني انك فى سن لا يقرا الناس فيه شعرك ، واذا قراوه

لا يقيمون له وزناً ، فاكتم بيني وبينك هذا السر ولا تقل انك بدوى الجبل وسنرى كيف يستقبل هذا الشعر . وهكذا بدات انشر باسم بدوى الجبل .. وطغت على اسمي هذه التسمية » .

واتجاه بدوى الجبل فى تناول موضوعاته بدأ اتجاهاً صدامياً ، فهو لم يتوقف عن تعرية الاستعمار الفرنسى ، ومقاومته ، ودعوة الناس للتمرد عليه وإشعال روح الثورة ضده ، وضد كل من تحدثه نفسه بأن يسرق حق هذا الوطن من الحرية والاستقلال . فقد كانت قصائد مجموعته الأولى (البواكير) التى صدرت عام ١٩٢٥ ، تطرح بمجملها هموماً قومية وتتغنى بالأمجاد العربية والبطولات ، والمواقف التى تشحذ الهمم .

لنقرأ هذا المقطع من قصيدة « اني لأشمت بالجبار » :

يا سامر الحي هل تعنيك شـــكوانا
رق الحــــديد وما رقوا لبلوانـــــــا
آمنت بالحق يذكي من عزائمنـــــــا
وأبعـــــد الله اشفاقاً وتحنانـــــــا
ويل الشـــــعوب التى لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر أحقاداً وأضـــــغانا
هل فى الشام وهل فى القـــدس والدة
لا تشتكى الثكل إعوالا وارنانــــا
يعطى الشـــهيد فلا والله ما شـــهدت
عيني كاحســـانه في القـــوم إحسانا
إني لأشـــمت بالجبـــار يصرعــــه
طـــاغ ويرهقـــه ظلمـــاً وطغيانـــاً
سمعت باريس تشـــكو زهو فاتحـــها
هـــلا تذكرت يا باريس شــــكوانا

هذه اللغة العاتبة حيناً ، والمتدفقة الصاخبة حيناً آخر ، نجدها تحمل تيارين شعوريين اثنين ، الأول يخاطب الضمير ولذا فهو ينطلق على عربة اللغة الوجدانية المؤطرة ، والتيار الثانى يخاطب الهمم ويدفع فيها شيئاً من بركان الشعر وجموحه ، وربما لا يخفى على القارىء النسيج الخاص الذى تتمتع به قصائد «البدوى» حيث يشكل المشهد الخلفى لشعره الشيء الأهم فى التواصل مع القارىء ، فالقصيدة لا تنتهى بمجرد انتهاء مفرداتها ، وانما على العكس تكون بدايتها ، وبداية إصابتنا بما يمكن تسميته بمس الشعر .

لنقرأ أيضا هذا المقطع من قصيدة «الشهيد» التى قيلت فى المرحوم «ابراهيم هنانو» .

نَزَّه الامى عن الـــــدمع والأسى
فتؤنســـــها فيَّ الطـــلاقة والبشر
وأضحك ســـخراً بالطغاة ورحمـــة
وفى كبـــدى جرح وفى أضـــلعى جمر
ابـــا طـــارق هـــذى سراياك أقبلت
يرف على أعلامهـــا العز والنصر

ولبدوى الجبل وقفته الصقرية فى كل مناسبة قومية ، مهما يكن ثمن هذه الوقفة فهو لم يتخل لحظة عن تسجيل موقفه الذى ينسحب عليه موقف الشعب .

فحين قام الانتداب الفرنسى باقامة دويلات فى اللاذقية وحلب وجبل الدروز ، وحاول نسف الجذور الوطنية والقومية التى تصل بينها حتى يعزز مواقعه .. قال البدوى :

تغنى ومـــا اجـــدى الحسام ولا غنى
قواف من الأشـــعار تبقى ولا تغنى
ادرت على الأسماع منها ســـلافة
وأرضيت فيها الله والعرب والفنـــا
تحـــذرني قرض القريض مهذبـــا
عصابة شر لا تقيم لـــه وزنـــا
وهـــددني بالسجن قوم ســـفاهة
فتى العرب الأمجاد لا يرهب السجنا
سابعث من شعري جياداً مغيرة
عليها كماة تحسن الضرب والطعنا

ونجد فى هذا المقطع ، كما فى مقاطع أخرى ايمان الشاعر «البدوى» ، بأهمية الكلمة وقدرتها على الحياة .. قدرتها على نقل الموقف من الانفعال إلى الفعل ، من الموقع الذهنى إلى الموقع العملي الجاد .. من فكرة النضال ، كفكرة مجردة إلى مرحلة تحريك الأصبع على الزناد .. إلى مرحلة الاغارة والضرب والطعن .

وبدوى الجبل هو كما قال عنه الشاعر الكبير (بشارة الخورى) المعروف بلقب الأخطل الصغير :

« ما عرفت شاعراً لا يدل شعره عليه كبدوى الجبل او محمد سليمان الأحمد . ان شعره أرجح من عمره ، وجزالة نظمه لا تناسب لطف نفسه ، إلا أحياناً . ان الشعراء فى سوريا كأصابع الكف الواحدة عدداً وحجماً ، وبدوى الجبل أحد هذه الأصابع . فى نفسه شاعران اذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير الجديد فما خرجت القصيدة من نفسها الا وعليها طابع الشاعرين .. هذا هو بدوى الجبل في شفق عمره فكيف به وهو فى رأد الضحى ..!؟ » .

جهد بدوى الجبل وخلال مسيرته كلها فى رحاب الشعر ، لتعميق مساراته ، وبلورة حنجرته الخاصة ، فغنى بصوته ولم يستعر حنجرة غيره ، وقد تميزت قصائده بصفة تكاد أن تكون متفردة إلى حد بعيد ، حيث اعتمدت في بنائيتها الشكل الكلاسيكى والمضمون الحديث ، فالبدوي طوال حياته لم يتخل عن شكل القصيدة الخليلى ، وإنما تخلى عن قوالب الصورة الشعرية ، فكتب القصيدة التى تنمو صورها من الداخل ، والتى تتعامل مع العالم من منظور حديث ومبتكر . ومع انه استطاع ـ كما أشرت ـ أن يكون رائداً من رواد الكلاسيكية الجديدة . فهو فى مقاطع عديدة من شعره وأحاديثه ، ينظر إلى الشعر خارج سجون الأوزان والقوافى .

انا أبكى لكل قيـــــد فابكى
لقريضى تغلـــــه الاوزان

الا أن بكاء البدوى هنا لم يدفع به إلى كسر قيد الشكل الكلاسيكى وركوب موجة التيارات الجديدة ، على صعيد الشكل الفنى للقصيدة ، بل بقى مصراً على موقفه من الشعر الحديث ورافضاً الاعتراف بشرعية وجود مثل هذا الشعر ، فهو لا يؤمن بالشعر الحديث . ذلك أن هذا الشعر يفتقد إلى الطابع المميز في اللغة العربية . « ما يسمونه تجديداً نزوة سينتهى أمرها عندما يعود إلى اللغة العناية بها فى المدارس وعندها يخرج الطالب من المدرسة وقد تذوق لغته وفهم أسرارها » .

كان البدوى يبحث فى مسيرته كلها عن جزالة اللفظ ورقة المعنى ، وقد ساعده على تحقيق ذلك ثقافته الواسعة وخبرته بخفايا اللغة وكشفه كنوزها . الا أنه حاول وباستمرار أن يخرج بتجربته إلى معطيات العصر الحديث التى يعيشها وأن ينقل هذه التجربة إلى الشعر من خلال اللغة التى تنطلق غالباً من رقة وعذوبة يمكننا أن نطلق عليها اصطلاحاً «اللغة الوجدانية» . ولعل أوراق «البدوى» التى كان من المفروض

ان تخرج فى «مذكراته» قبل موته تكشف لنا بعض تلك الينابيع التي تنضح من مخزون الذاكرة .. ففى قصيدة قالها في (مي زيادة) ، نجد شفافية «البدوى» القادم من الجبل عندما يحب .. «البدوى» الذى يأخذ من الجبال نسيمها ، ومن الصحراء اتساعها ومن الأحراش وحشيتها ومن الأزاهير اريجها .. كل هذه العوالم تجتمع فى عالم بدوى الجبل فتكون القصائد ويكون الشعر . يقول فى مي :

أنا إن بعدت عن الديار فانني
يا مي قلبي في ديارك باق
لا ترقبوا مني تناسي عهدكم
إن الوفاء المحض من أخلاقي

البـدوى عاشقا

ولقصة بدوى الجبل مع الشعر ما تفضحه لغة القلب ولغة العواطف المنسجمة مع الروح . فعلى الرغم من أن النساء اللواتى استوقفن الشاعر لم يستطعن متفرقات ولا مجتمعات اعتقاله أو جره إلى عزائمهن حيث ظل «بدوى الجبل» داخل قيود زوجته ، لم يحب غيرها . على الرغم من ذلك فقد افلتت بعض القصائد من بين يدى «البدوى» لتتجسد شعراً جميلا تتحدث عن اللواتي مارسن عليه فعل السحر . فقد أثارت احدى شقراوات «جنيف» قريحته فحركت فيه كوامن الغزل فقال :

هد هد همومك عندى
على حياتي وصدى
حور النعيم تمنت
نعمى هواى ووجدى
هل عندهن رحيقي
وهل لديهن شهدى - ؟
ومن معانيه عطرى
ومن قوافيه وردى
تانق الله دهرا
يعد في ويبدى
حتى جلاني شعرا
يا حسرة الشعر بعدى

وتدل وجدانيات الشاعر وغزلياته على رقة كبيرة فى الاحساس ، وشفافية مفرطة إلى درجة نقرا فيها ذوب روح الشاعر فى احرفه ، وتوزعه فى قصائده فأصابع «البدوى» متواجدة دائما ، بكل رقتها فى خلايا شعره تحرك فيه النبض ، وتلون صوره .. أصابع «البدوى» متربصة دائما خلف الأحرف لتعتقل القارىء متلبسا بتهمة الدهشة ، والوقوف فى منطقة الغرابة .



يعرف الفجر أن دمعى أصفى من نداه ،
ويعرف الريحان
يعرف الطيب أن دمعى أذكى منه عطراً
وتعرف الأردان
تعرف الريح ان دمعى سلاف وجفونى كؤوسها والدنان
أدمعى فى السماء انجمها الزهر وفي البحر دره والجمان

كتابة الشعر عند «البدوي» لون من الوان التعبد ، والدخول المؤبد فى هالة الحب ، هى المصير الذى لا مفر منه ، إنها الحتمية التى تكاد تاخذ صورة القدرية .. أن تكون شاعراً فهذا يعنى بالضرورة ان تكون عاشقا ومحبا .. يعنى ان ترسم بانملتك وجه الغد القادم بكل الرؤى الخيرة ، ووجه الحلم المشع من الداخل .. الحلم الذى لا ينطفىء .. معنى ذلك أن تقامر بحريتك ليربح كثيرون حرياتهم ، وان تذوب شعراً ، لتكون الآخرون . لنقرأ هذا المقطع من قصيدة — اللهب القدسي — :

يحب قلبى خباياه ويعبدها
اذا تبرأ قلب من خباياه
طفولة الروح اغلى ما أدل به
والحب أعنفه عندى وأوفاه
ما الحسن الا لبانات منمقة
لكن يؤلهه انا عشقناه

ويطرح السؤال هنا نفسه : كيف الحب فى أعنف صوره وهو الرقيق ، الحالم الذى يدافع عن نفسه بروحه وشفافيته ووجده .. ؟ يجيبنا «بدوى الجبل» حول فكرة العنف فى الحب فهو أولا لا يقف موقف الوسط فى عواطفه فاما أن يكون عاشقا متيما ، وإما ان يكون جبارا محطما بقبضته كل ما حوله . وهذا التناقض الحاد فى شعر البدوى ، أو لنقل فى موقفه الحياتى من الحب ، يضفى على قصائده خصوصيتها ، ويجعله متفرداً فى زحمة العشاق من الشعراء .

أيا دمية انشاتها وعبدتها
كما عبد الغاوون منحوت أحجار
سكبت بها روحى وأهواء صبوتى
وألوان أحلامى وبدعة أطوارى
ويا دمية انشاتها ثم حطمت
يداى الذى انشات تحطيم جبار
أينكرنى حسن خلقت فتونه
فيخنقني عطرى وتحرقنى نارى
وكما يبقى الخالق أكبر من مخلوقاته



بدوي الجبل
شاعر الكلاسيكية الجديدة



بدوي الجبل مع احفاده

واروع ، يبقى « بدوى الجبل» على امتداد مسيرته ، أكبر من قصائده وما يطرحه من خلالها .. يبقى أكبر من المشهد الشعرى الذى تجسده عبقريته ، ولذا فهو دائماً يملك امكانية الخروج من حقل الغامه مخلفاً للقارىء مساحة من الدهشة . فتمرد اللوحة التى أبدعها «بدوى الجبل» عليه ، الى درجة أنكره حسن خلقه ، وحاول خنقه ، عطـــر كان قد قطره بنفسه ووضعه فى الموقف الضد .. موقف النقيض فكان أن أعاد الشاعر الحسن المبدع ـ بضم الميم ـ إلى طينته .

ردتك للطين الوضيع وما حنـــا
على روضك الهاني هيوبي واعصاري
وفارقت اذ فارقت الطين وحـــده
وعادت إلى نفسي عطورى وانـــوارى

وجدانيـــات بدوى الجبل

الشاعر بدوى الجبل فى أغلب قصائده ان لم نقل فى جميعها يتعامل مع العالم بلغة وجدانية حالمة ، لانه يعرف جيداً أن الشعر هو لغة الوجدان ، ولغة القلب .. ولذا فان أولى مهامه أن يمس شغاف القلب ، ليؤثر بعد ذلك مع المفردات الذهنية . إلا أنه وعلى الرغم من أن «بدوى الجبل» ينكر أنه يعتبر بشكل أو بآخر من شعراء المناسبات فهو شاعر مناسبة دون شك ، وذلك أن عدداً لا بأس به من قصائده جاء إثر مناسبة قومية ، أو اجتماعية عاشها فخلدها شعرا . فاثناء هجرته فى «فيينا» مثلا كتب قصيدة لحفيده «محمد» الذى بلغ من العمر سنة واحدة ، نقرأ منها .

وسيما من الأطفـــال لولاه لم أخف
على ـ الشيب ـ أن أنأى وأن أتغربا
تود النجوم الزهر لو انهـــا دمى
ليختار منها المترفات ويلعبـــا
يزف لنـــا الأعياد عيداً إذا خطـــا
وعيداً إذا ناغى وعيداً اذا حبـــا
ويارب من أجـــل الطفولة وحـــدها
أفض بركات الســـلم شرقاً ومغرباً

وفى قصيدة أخرى ـ وكان الشاعر قد كتبها بمناسبة زفاف ابنة قريبه قبل ستة أشهر من وفاته ـ يقول :

سمى بيننا قربى وحـــب
على الأيـــام معروف قـــديم
اذا مـــا راح يحبسنى ســـقام
فحبى لا الحبيس ولا السقيم
ترف على عروسينا صـــلاة
يسلسل طهرها ملك كـــريم

والشاعر «بدوى الجبل» كما هو معروف له مواقف «شعرية» مشهورة ، يقف من خلالها إلى جانب قدسية الشعر وينادى ضمناً ، بضرورة صون هذا الشعر ، وعدم التنازل عن تركيب حرف واحد منه ، عندما تكون ظروف خلقه لها خصوصيتها ، فهو يسرد لنا حادثة جرت بينه وبين المطربة الكبيرة أم كلثوم :

فى الخمسينات جاءت أم كلثوم إلى دمشق ، وأحيت حفلتها الفنية فى مدرسة «اللاييك» وقد دعتنى إلى حضور الحفلة فذهبت إلى هناك ، على الرغم من أننى لا احب مثل تلك الحفلات الغنائية الصاخبة .. فى اليوم التالى زارتنى فى المنزل يرافقها «محمود رياض» «سفير مصر بدمشق آنذاك» وطلبت منى أن أسمح لها بغناء قصيدتى المسماة «شقراء» التى نظمتها بفتاة «سويسرية» ومما قلته في تلك القصيدة :

شقراء يالون حسن
محـــبب مســـتبد

وقد طلبت «أم كلثوم» أن أبدل كلمة «شقراء» بـــ «سمراء» فاعتذرت عن تحقيق طلبها لأن القصيدة بالاساس الهمتنى إياها فتاة (سويسرية) (شقراء) وليست (سمراء) !! ثم زارتني «أم كلثوم» أكثر من مرة بمنزلى بهدف أن أغير رأيي فباءت محاولتها بالاخفاق » .

هذه تقريباً أبرز ملامح شعر «بدوى الجبل» محمد سليمان الأحمد الذى ملأ الوطن العربي منذ حداثة سنه وحتى وفاته باشعاره ، فكان للكلمة بين شفتيه صفة الخلود ، وكان لعبقريته قدرة الخلق والابتكار والتفرد فى زحمة اسماء ونتاجات الشعراء العرب .

ويجدر بنا فى نهاية هذه القراءة النقدية ، أن نقف عند تعريف بدوى الجبل للشعر فهو يرى ان الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح ، وأن فى العالم صراعاً بين العقل والقلب ، ولابد أن ينتهى بانتصار القلب .

مات أخيراً بدوى الجبل بعد أن حقق فى جزء كبير من قصائده فكرة انتصار القلب ، فماذا رحل معه إلى المقبرة ؟ وماذا بقى منه فى قصائده التى أبدعها طوال رحلته الحياتية ؟

بدوى الجبل متغلغل فى قصائده وموزع بها ..

انه الآن يكتب قصيدته الجديدة ..

خيرى عبد ربه ـ دمشق

في العدد ٦٦ « يوليو الماضي » نشرت الدوحة مقالا تحت عنوان « جبران خليل جبران لماذا بدا ثائرا وانتهى مهادنا للاستعمار » بقلم الاديب الناقد الاستاذ حارث طه الراوي وفي العدد ٧٠ « اكتوبر الماضي » نشرنا ردين على هذا المقال ، احدهما للأستاذ يوسف محمد سليمان ، والثاني للأستاذ فوزي معروف .

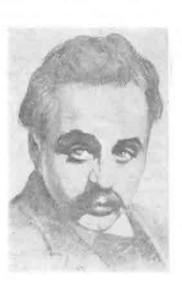
كذلك كتب الأستاذ سعيد فرحات في جريدة الراى العام الكويتية مقالا يرد فيه على مقال الأستاذ الراوى . وفي هذا المقال يرد الأستاذ الراوى على المقالات الثلاث ، مركزا رده على مقال: الأستاذ سعيد فرحات ، حيث يجسد هذا المقال الاخير ما جاء في المقالين السابقين :



المعركة مستمرة حول جبران

لم أحاكم جبران ولكني طالبت بدَيْن أمّته عليه

بقلم : حارث طه الراوي



قرات في العدد ٦٣٦٤ من جريدة «الراى العام» الكويتية الغراء الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨١ مقالا تحت عنوان «محاكمة جبران ما الهدف منها» للأستاذ سعيد فرحات يرد فيه على مقالى «جبران خليل جبران بين عهدين» الذى نشرته مجلة «الدوحة» القطرية الغراء بعنوان اخر هو «جبران خليل جبران .. لماذا بدا ثائرا وانتهى مهادنا للاستعمار» . والظاهر ان العنوان الذى استبدلته المجلة للمقال قد استفز الأستاذ صاحب الرد فضلا عن المقال نفسه بدليل انه جعل عنوان رده «محاكمة جبران ما الهدف منها» . في حين انى لم اقصد محاكمة جبران لا في عنوان المقال ولا في صلبه ، لانني مهما اختلفت مع جبران في هذا الراى او ذاك

او هذا الموقف أو ذاك ، فلا أنكر أنني تتلمذت على الرجل منذ ما يقارب الاربعين سنة ، وللمعلم حرمة كبيرة عندي . ولكن جبران نفسه لا يرضى لتلاميذه أن يكونوا عبيدا له ، فهو القائل: «يقولون لي : من علمك حرفا صرت له عبداً ، ولهذا بقيت جاهلا حرا ...» . وهكذا يفضل جبران الجهل مع الحرية على العلم مع العبودية . فاذا تصديت لموقف من مواقف جبران بالنقد وتمنيت لو كان له موقف اخر ، فانا لا أستعمل حقى كباحث وناقد وحسب بل كتلميذ قديم من تلامذة هذا الرجل الذى يجل الحرية ويحترم الأحرار ...

• • •

قلت فى مقالى المشار اليه حول هفوات جبران اللغوية : «ويقتضينا الانصاف ان نقول ان هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من ادبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره» .

وقال الاستاذ فرحات معلقا : «ولكن الكاتب لم يذكر لنا واحدا من هؤلاء الذين من عيار جبران ودون عياره سلم من هفوات جبران اللغوية وركاكته البيانية . وكان عليه ـ للامانة ـ وهو يدين جبران ، ان يقدم مثلا ، خاصة ممن اعتبرهم من عيار جبران على الاقل . كما لم يذكر مثلا على هفوات جبران وركاكته اللغوية ، وهذا يقتضى البحث العلمى والموضوعى فهل اكتفى بما أشار اليه ولي الدين المعجب بجبران كما تقدم؟ كما لم يقدم مثلا على عثرات جبران اللغوية والنحوية ، وهذا ايضا يتطلب منطق الاتهام فى سياق الموضوع» .

واقول للاستاذ فرحات ان الاشارة فى موضوع الكتاب الذين هم من عيار جبران أو دون عياره تغنى عن ذكر الأسماء ، وهذا ما يجمل ان يكون فى المسائل الخلافية . لأن معاييرنا مهما كانت دقيقة فى تصنيف أدباء طبقة واحدة فلا يمكننا ـ مهما ادعينا الموضوعية ـ ان نتنصل ونتبرا من الأمور المزاجية والذوقية .. فالاشارة اذن أولى ..

أما الأمثلة على عثرات جبران اللغوية وركاكته البيانية فهى من الوضوح بحيث تغنينا عن اتعاب التنقيب ومشقة التقصي والمراجعة الطويلة . وبيدى ، الآن ، طبعة سنة ١٩٢٣ من كتاب «العواصف» لجبران اعنى طبعة دار الهلال بالقاهرة ، أقلبه فاعثر على الكثير مما يسيء الى جمال لغة جبران وبيانه . وعلى سبيل المثال لا الحصر اقول : جاء فى مقال «حفار القبور» الذى استهل به جبران عواصفه السؤال التالى «وأى متى ولدت» ص ١٢ والصواب أن تقتلع «واى» ليبقى السؤال الصحيح : «ومتى ولدت» . وفى الصفحة التالية أعنى ص ١٣ يقول جبران : «وفى المساء اسخر بالطبيعة» والصواب «اسخر من الطبيعة» وفى الصفحة نفسها يقول جبران «ثم احدق بعيني» ، والصواب ان يقول : «ثم حدق بعيني» لان احدق تعنى احاط وجبران يقصد نظر .

وفى مقال «الاضراس المسوسة» ص ١٠٤ قال جبران «... مثلما تلعب القطة بصيدتها» والصواب : بصيدها .

وفى مقال : «مات أهلى» ص ١١٨ يستهل جبران مقاله الجميل بهذه الجملة الركيكة : «مات اهلى وانا قيد الحياة» والصحيح ان يقول : «ومازلت على قيد الحياة» .

وفى مسرحية أو حوارية «الصلبان» جاء فى ص ١٨٩ قول جبران : «وهو للآن لم يشكرنى» . فهل تعذر عليه ان يقول : «وهو لم يشكرنى حتى الآن» . وتحت هذه الجملة يقول على لسان يوسف مسرة «هذه بالحقيقة حكاية لذيذة» والصواب ان يقول : «هذه فى الحقيقة حكاية لذيذة» ، والأصوب والأصح أن يقول : «حقا إنها لحكاية لذيذة» .

• أمثلة كثيرة على ركاكة جبران وعثراته اللغوية

واكتفى بهذا القدر الضئيل من النثر الجبرانى المتعثر ، لأشير الى بعض ما ورد فى شعره من هفوات لا يصح أن تصدر من امثاله . وامامى ديوانه «المواكب» المطبوع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩٢٣ . فى ص ١٧ يقول جبران :

فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر

والصواب ان يقول : «يدعى الباسل الخطرا» . وفى الصفحة نفسها ورد البيت التالى :

ففى العرينة ريح ليس يقربه
بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا

والصواب أن يقول : «ففى العرينة ريح ليس يقربها»، لأن الريح مؤنث ولا يجوز فيها التذكير .

ويقول جبران فى ص ٢٩ من مواكبه :

هل تحممت بعطر
وتنشفت بنور

ولا يوجد «تحمم» فى العربية بل «استحم» . ولا تقنعنى حجة زميله الاستاذ ميخائيل نعيمة فى الدفاع عنه فى كتابه «الغربال» التى خلاصتها كيف يحق لبدوى فى الصحراء أن يقول استحم ولا يحق لجبران ابن المدنية والعبقرية ان يقول «تحمم» ؟! وهى حجة تنادى على نفسها بالضعف وتفضى الى فوضى لغوية لا أول لها ولا اخر ..

• • •

ويقول الاستاذ فرحات : «وايضا لم يخبرنا الكاتب كيف وصل جبران باسلوبه ومعانيه بكتاباته بالعربية والانكليزية الى قمم الابداع الشاهقة ، وكيف ضاع أسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ؟» .

واقول للاستاذ فرحات ان التفاصيل التى يطلبها والشواهد التى يريدها لا يمكن ان تتوفر إلا فى دراسة مستفيضة عن جبران أو بمحاضرة طويلة عنه لا بمقال مركز عرض الدعائم الرئيسية للأدب الجبرانى كمقالى . ولا يخفى على

المعركة مستمرة حول جبران

الأستاذ فرحات ومعظم المطلعين على نتاج جبران انه كان ذا أسلوب شعري يتميز بالصور المبتكرة والألوان الزاهية وقد اعانته في ذلك مخيلة خصبة غنية بالصور والخيالات الجميلة التي تموج في أذهان المصورين المبدعين، فضلا عن تفكيره الشمولي ونزعته الانسانية الواضحة، وهذه عدة اكثر الكتاب العالميين الذين وصلوا بنتاجهم الى مستوى القمم، فلا عجب اذا ما وصل جبران الى ما وصلوا اليه من قمم بهذه العدة التي يملكها ويملكونها، وإن كان جبراننا دون مستوى الكثيرين منهم في مجالات القصة أو الرواية أو المسرحية.

إن اكثر مقالات «العواصف» ذات مستوى عالمي من حيث الأفكار الانسانية العالمية والأسلوب العالي في العرض والتصوير. وفي طليعة هذه المقالات التي تترجم الى اللغات العالمية فتقف بمستوى مقالات الكتاب العالميين المبدعين: «العبودية» و «على باب الهيكل» و «الجنية الساحرة» و «يا بني امي» و «بين ليل وصباح» و «مساء العيد» و «الجبابرة» و «مات أهلي» وغيرها. ولا يتسع صدر هذا الرد للاستشهاد. وهذا لا ينفي ان نقول ان هذه المقالات الرائعة لو كتبت بأسلوب عربي رصين محكم لكانت اكثر روعة واشد تأثيراً في النفس العربية.

ويقتضينا الانصاف أن نقول: بالرغم من الهلهلة والركاكة في بعض جوانب الأسلوب الجبراني فان قوة تعبيره الشعري وشدة تدفقه الوجداني وسرعة انطلاق خياله الجوال قد حققت لجبران في مجال التجديد حضوراً متميزاً وفضلا لا ينكر..

ويقول الأستاذ فرحات: «ومن الواضح ان الكاتب اتهم واصدر حكمه في نفس الوقت دون مناقشة لتطور الفكر الانساني عند جبران الى المثالية الانسانية».

وجوابي هو ان ما يسميه الكثيرون تطوراً للفكر الانساني عند جبران الى المثالية الانسانية، لا أراه كذلك، لان مثالية جبران عريقة فيه، لم تفارقه حتى إبان ثورته في عهده الاول، إذ لم تكن ثورته ذات هوية علمية واقعية محددة. والمعروف عنه انه وضع أصول كتاب «النبي» في فجر شبابه وفجر حياته الأدبية ثم زاد عليها فيما بعد وصور ولون. فلماذا استقل بمثاليته بعد كتاب النبي وابعد عنها ثورته؟ هذا هو السؤال المهم الذي لا تكون الاجابة الصحيحة الصريحة عليه في صالح جبران المهادن الذي اغلق عينيه أمام ماسي امته واغلق اذنيه لئلا يسمع صيحاتها واستغاثاتها. وهذه هي مهادنة الاستعمار. وكنت اود لو ان الأستاذ فرحات قد جاءني ولو بشاهد واحد يثبت ان جبران لم يهادن الاستعمار وانه كان ذا موقف وطني رافض مع الغزاة الجدد لوطنه الذين جثمت كوابيسهم الثقيلة على صدر لبنان بدلا من ان يخبرني بما لا اجهل وهو ان جبران كان يقود ثورة ضد التعصب الديني، وهذا بعض ما تنطوي عليه ثورته التي أشرت اليها في عهده الاول.

ولم يكن جبران، في عهده الثاني مهادناً للاستعمار وحسب، بل كان يفكر بعقلية المستعمرين وليس أدل على ذلك من انه كان يعتقد ان الشعب السوري، وكان يقصد به الشعب اللبناني ايضاً، ليس أهلا لأن يحكم نفسه بنفسه ولابد له من ان يوضع تحت رعاية دولة غربية كبرى لمدة لا تقل عن ١٥ سنة !! والدولة الكبرى التي كان يسعى بالحاح لهيمنتها على وطنه هي الولايات المتحدة الأمريكية وليس ادل على ذلك من الرسالة التي بعثها الى صديقه أميل زيدان رئيس تحرير مجلة «الهلال» مع مجموعة من الرسائل بين سنتي ١٩١٩ – ١٩٢٢ والتي نشرتها مجلة «الهلال» القاهرية في عدد مارس ١٩٣٤ تحت عنوان «نثرات من رسائل لم تنشر لجبران خليل جبران بين سنة ١٩١٩ – ١٩٢٢» فقد جاء في الرسالة المعنونة «مستقبل سورية» ما اليك نصه:

«انا من القائلين بالمحافظة على وحدة سورية الجغرافية وباستقلال البلاد تحت حكم نيابي وطني عندما يصبح السوريون أهلا لذلك. أي عندما تبلغ الناشئة الجديدة اشدها، وقد يتم الامر بعد مرور خمس عشرة سنة. وأنا من القائلين بان تكون اللغة العربية هي الاولية في المدارس والرسمية في جميع دوائر الحكومة.

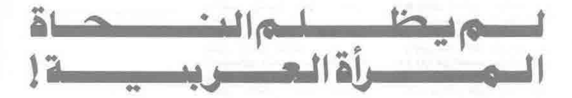
اما وضع سورية تحت رعاية أميركا ففكرة جميلة الى درجة قصوى، فاذا تحققت كنا اكثر شعوب الشرق حظاً ولكن لتعاستنا لن تتحقق لان الحكومة الاميركية لا تريدها والصحافة الأميركية تعترض عليها والشعب الاميركي يتأفف منها. ولقد حادثت وكاتبت الكثيرين من وجهاء هذه البلاد ومفكريها فظهر لي انهم لا يريدون دخول أميركا في مشاكل أوربا اجمالا ولا في مسالة الشرق الادنى خصوصاً».

● لم يكن جبران في عهده الثاني مهادناً للاستعمار فحسب.. بل كان يفكر بعقلية المستعمرين

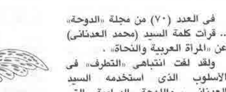
● ● ●

واقول اخيراً للاستاذ سعيد فرحات انني لو كنت في مجال محاكمة جبران لما احجمت عن إيراد هذه الوثيقة التي اوردتها الآن للتدليل على العقلية السياسية المتخلفة لجبران. ولم اكتب مقالي عنه إلا للمطالبة بدين أمته عليه. وما أكثر ديون الأمة على الكثيرين من كبار أدبائنا المعاصرين ...

حارث طه الراوي – بغداد



لم يظلم النحاة المرأة العربية !



بقلم : عودة الله القيسي

في العدد (٧٠) من مجلة «الدوحة» .. قرأت كلمة السيد (محمد العدناني) عن «المرأة العربية والنحاة» .

ولقد لفت انتباهي «التطرف» في الأسلوب الذي استخدمه السيد العدناني ، واللهجة «الدرامية» التي خاطب القارىء بها . لقد تباكى على ما عد ظلماً من النحاة للمرأة ، ولم يعرض الأمر عرضاً علمياً مجرداً . من أمثلة هذا الأسلوب قوله :

ـ «فلماذا تجيز الفصحى ـ حرمان ـ الأم تاء تأنيثها التي تعتز بها ، والتي لها معنى كبير لدى الأبناء ولدى الجنس الخشن» .

ـ «ولكن النحاة لم ينسوا هنا إلحاق ـ الظلم ـ بحواء» . .

ـ «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة قلنا جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم ـ الفادح ـ الحال بأمهاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وحفيداتنا» .

ـ مسكينة أنت يا أنثى البشر ويا أنثى الطير » ... الخ

يضاف الى ذلك أنني لا أوافقه ، من منطلق النحو واللغة ، على بعض ما جاء في كلمته ، وأوضح موقفي في النقاط التالية :

● يقول الكاتب : «فمن الظلم الذي تلحقه الفصحى بالمرأة ، أنها تحرمها تاء التأنيث ، التي تتحلى بها في آخر الكلمة ، عندما يكون الفعل خاصاً بالاناث دون الذكور ، فيقولون : هذه مرضع ، وتلك حائض ، بدلا من مرضعة وحائضة . ولست أرى مسوغاً لغويا لذلك» .

وأقول : إن المسوغ اللغوي لمثل هذه الحالات .. قائم . لماذا يؤتى بتاء التأنيث ـ أصلا ـ مع المؤنث ؟

النحاة يقولون : يؤتى ـ أصلا ـ بتاء التأنيث مع المؤنث للتفريق بينه وبين المذكر . فإذا قلت : رجل ذكي ، قلت : امرأة ذكية . ولكن ـ وهنا المسوغ ـ إذا كانت الصفة خاصة بالاناث دون الذكور انتفى لزوم تاء التأنيث ، لأن التمييز ـ في هذه الحالة ـ حاصل بين الذكور والاناث من حيث ان الصفة لا تلحق إلا الاناث ، فلا يعود هناك مجال للبس أو داع للتفريق بين الجنسين أو التمييز بينهما .



وهناك مسوغ آخر أكبر من هذا ، يعد من أصول «فلسفة» اللغة العربية . هو «الايجاز» . فالعربية لغة الايجاز في اللفظ والبنية والأسلوب حيث لا داعي للاطالة . يظهر ذلك جلياً في «بنية» الكلمة العربية ، إذ الكلمة ، في أساسها تقوم على الحروف دون الحركات ، بحيث لا نضبط في الكتابة للكبار ، إلا كلمات قليلة في كل ألف كلمة ، كلمات قليلة تشكل قراءتها .

وهذا يجعل الكتاب الأجنبي ـ واللغات الأجنبية تتكون الكلمة من الحروف والحركات معاً ـ الذي يقع في ألف صفحة يترجم الى العربية في خمسمئة صفحة أو ستمئة . ويجعل الكتاب العربي الذي يقع في خمسمئة صفحة يترجم الى اللغة الانجليزية بألف صفحة أو حولها . والصفحة الواحدة تتسع لألفاظ من العربية أكثر مما تتسع له من الأجنبية .

فإذا نظرت الى هذا الفارق الهائل الذي يقرب من النصف .. أدركت ما «للايجاز» من فضل في العربية ، وأن ذلك يوفر ملايين الدنانير في الطبع في العالم العربي في العقد الواحد من السنين ، إذا عرفت أن مئات الآلاف من الكتب تطبع في عقد واحد .

والايجاز في النقطة التي نتناولها أن العربية تنظر في الكلمة ، فإذا كانت تلتبس بغيرها كأن تلتبس صفة المؤنث بالمذكر أضافت ما يزيل هذا اللبس ، وهو هنا تاء التأنيث . أما اذا لم تكن لتلتبس بغيرها كالصفات الخاصة بالاناث ، «أزالت» منها ما أضافته الى صفات المؤنث التي لا تخص الاناث وحدها بل تنسحب على الرجال أيضاً .

هذه الفلسفة عبر عنها النحاة ولم يوجدوها ، وإنما هي مكتنة في طبيعة اللغة . وفضل النحاة كان الكشف عنها .

قد يقال : وهل كان العرب ، في الجاهلية يدركون هذه الفلسفة ؟ فأقول : لا ، وإنما هي سليقة مستسرة في أنفسهم أودعها الله فيهم .. الله الذي أراد للعربية أن تكون لغة كتابه المعجز : القرآن الكريم .

أرجو أن يكون المسوغ قد عرف الآن ! وأن العربية والنحاة كذلك .. لم يظلموا المرأة وإنما أعطوها حقها «بالقسطاس المستقيم» !

● ويقول الكاتب : «وتظلم الضاد الفتاة عندما تصبح يافعة ، فتنسبها الى الصبي ، وتقول : هذه صبية . لماذا لا نقول : هذه بنتية ، مادامت وحدها هنا ، دون أن يشاركها في النسبة صبي . يجعل النحاة يجدون لهم مخرجاً ، ويقولون : تغلب الذكر (الصبي) على الأنثى (البنت) فكانت النسبة اليه لا اليها» .

لم يظلم النحاة المرأة العربية!

أولا – أما يعتقد الأستاذ العدنانى أن النسبة الى «بنت» بهذه الصورة الغريبة هو أقرب الى استعمال الأعاجم للغة العربية من استعمال العرب لها ؟

وثانيا – أنا أعتقد أن الكاتب لم يقرأ شيئاً من التعليل الذى أورده فى أى كتاب نحوى جدير بالاعتبار . وقد حمله على الاعتقاد أن هذا تعليل النحاة لهذه الحالة .. ظنه أن صبية حملت على صبى فى النسبة إذ تغلب الذكر على الأنثى . والصواب غير ذلك .

الصواب أن كلمة صبى وكلمة صبية ليست «نسبة» أساسا ، وإنما هى «صفة مشبهة» اخذت معنى الأسمية لطول الاستعمال دون الموصوف إذ الأصل : ولد صبى ، وبنت صبية . فاذا جاءت من الفعل : صبى يصبى ، فهى على وزن «فعيل وفعيلة» مثل قدير وقديرة . وإذا جاءت من الفعل : صبا يصبو – كما يرى بعض اللغويين – فهى جاءت على وزن «فعول وفعولة» مثل حمول وحمولة الأولى للجمل الذى يحمل امتعة القوم والأخرى للناقة .

وفى كلتا الحالتين تضاف التاء المربوطة للمؤنث دلالة على التأنيث . وفى الحالة الأولى (على وزن فعيل) حدث للكلمة «إعلال» بأن سكنت الياء الأولى وادغمت فى الياء الثانية . وفى الحالة الثانية حدث (إعلال وإبدال) إذ سكن الواو ثم قلب ياء أو أبدل بياء إذ الأصل هكذا «صبوى» دون تشديد .

مبدأ التغليب

● ويقول : «وإذا جاء طفل واحد مع مليون امرأة ، قلنا : جاءوا ، ولم نقل : جئن . فيا للظلم الفادح الحال بأمهاتنا» ! .

وهذه مبالغة ولاشك . فان المتكلم عادة – وفى النحو – لا يمكن أن ينظر الى وجود طفل بين مليون امرأة ثم يخاطبهن بالتذكير ، بل الصحيح انه يخاطبهن بالتأنيث فيقول : «جئن» لا جاءوا .

لأن مبدأ «التغليب» اصلاً مبدأ نحوى بلاغى معـــاً . (بل إن الاستعمالات النحوية هى استعمالات بلاغية ، ويمكن أن يراجع فى ذلك كتاب «دلائل الاعجاز» لعبد القاهـــر الجرجانى) .

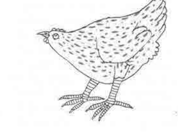
هو مبدأ بلاغى .. لأن الأصل أن المرء الذى يشاهد جمعاً من الرجال والنساء ، أمامه خياران : الأول أن يقول مثلا : (رأيت رجالا يهتفون ونساء يهتفن) فيأتى بالفعل مع كل فريق . والثانى أن يقول : (رأيت جمعاً من الرجال والنساء يهتفون – بصيغة المذكر) .

ولكن هذين الخيارين ليسا مطلقين من ناحية بلاغية . بل هما مقيدان بما يثير انفعاله ويتصل بنفسه ، فاذا كان النساء يهتفن كالرجال قوة وتأثيراً .. عبر بالخيار الأول . أما إذا كان تأثير الرجال فى هذا الموقف أشد عبر بالخيار الثانى ، وهو مبدأ «التغليب» ..

الأصل فى الأمر ، إذن ، «التأثير» والتغليب يأتى من باب أن الرجال يعطون تأثيراً فى المواقف العملية ، وخاصة فى الحروب وما يستدعى القوة .. أكثر من النساء .

وإذن ، .. يتفرع عن هذا .. انه لو حصل موقف اجتمع فيه رجال ونساء وأثر فيه النساء فى نفسك من حيث علاقتهن بالموقف أكثر من الرجال .. جاز أن تغلب النساء . ومثل ذلك الحالة التى عرضها الكاتب : إذا وجد طفل بين مليون امرأة .. بل إذا وجد عشرة رجال بين ألف امرأة ، وكن فاعلات فى الموقف أكثر منهم جاز تغليبهن .

بيد أن النحاة يحملون دائما على «الأصل» وهو أن الرجال أكثر فاعلية فى المواقف من النساء .



● ويقول الكاتب : «ولست أدرى لماذا نقول : «رأت فيه رجل أحلامها» ولا نقول : «رأى فيها امرأة أحلامه» ؟ .

وأجيب الكاتب أننا نقول ذلك ، أما سمع وقرأ فى القصص عشرات المرات قولهم : «ورأى فيها فتاة أحلامه» ؟

كل ما فى الأمر أنهم لا يقولون «امرأة» وإنما يقولون «فتاة» ، لأن امرأة قد توحى بالمتزوجة أما الفتاة فتوحى بالعذرية .

والمتزوجة ليست مجالا لأحلام الآخرين . أما بالنسبة لزوجها فلم تعد «حلماً» وإنما هى «واقع» .

● ويقول الكاتب : «وضمير الرفع المنفصل «أنْتُنّ» قد نقراه (أنْتُنّ) ، إذا لم يكن مضبوطاً بالشكل كجل المطبوعات العربية ، بينما الضمير (أنتم) لا يمكن أن نخطىء فى قراءته ، ولا تصبح رائحته كريهة منتنة» !

ونقول للأستاذ العدنانى : يمكن أن نغتفر ما تعثرت فيه مما سبق . ولكننا لا نغتفر لك أن تشكك فى أصول الكلمات ماذا تريد ؟ أتريد أن نسوى فى الضمائر بين الاناث والذكور ، شأن اللغات الغربية التى يعتبر ذلك نقصاً فيها ؟ أما تعتقد أن كل فرق فى المعنى يستدعى فرقاً فى اللغة ، عندما تكون حية ناضجة ؟ أليس من فرق – إذن – بين الرجل والمرأة ؟ إذن .. لابد ، أيها الأستاذ الكريم ، من الفرق فى استعمال الضمير بين المؤنث والمذكر .

أما ما تدعيه من خشية قراءة هذا الضمير قراءة «أنتن» إذا لم يكن مشكولا .. فهى خشية فى غير محلها . لماذا ؟ لأننا عندما نكتب الكلمات للصغار نكتبها مشكولة عادة . أما عندما نكتب للكبار فنحن لا نكتب كلمات متفرقة وإنما نكتب كلمات مترابطة فى جمل ، وجملا مترابطة فى موضوعات ... وعندئذ يكون من السهل أن يدل «السياق» على المعنى المقصود ، فلا يلتبس الضمير (أنتُنّ) بالفعل (أنْتَنَ) . وهل يقرأ الضمير المذكور قراءة الفعل (أنتن) فى مثل هذه الجملة «أنتن نساء جميلات» غير مختلط العقل ، والعياذ بالله ؟!

وفى الختام تحياتى الى الأستاذ العدنانى والى مجلة «الدوحة» الغراء .

عودة الله القيسى – دبى

إخوان الصفاء

ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

بقلم : الحاج عبد الأمير علوش

لفت نظري المقال المنشور فى مجلة الدوحة الغراء بعددها ٦٩ سبتمبر ١٩٨١م بقلم الاستاذ خالد محمد خالد العالم الديني المشهور تحت عنوان « انا افكر إذن أنا مسلم » . وكان المقال يدور حول حرية الفكر فى الاسلام ، وقد جاء فيه عن جماعة « إخوان الصفاء » :

« سنختلف مع اخوان الصفاء كثيراً .. ولكن سيظل المغزى العظيم ماثلا فيما كان للفكر من حرية فريدة فى ظل الاسلام » .

اقول : كم كنت اتمنى ان يتفضل الأستاذ بتوضيح وجهة نظره واختلافه مع اخوان الصفاء بعد أن اشاد بنشاطهم الفكري ومختلف ابحاثهم ولكنه احجم عن ذكر وجهة اختلافه معهم ، مما دعاني إلى كشف بعض (حقيقة إخوان الصفاء) لنرى رايه فيهم بعد ان يتبين انهم كانوا يدعون إلى غاية مقصودة وهي اقامة امام بعينه وبصراحة ولكنهم احاطوا هذه الصراحة بلون من دقة البحث ونعومة النسج واتقان الصقل .

وخلاصة امرهم انهم اسسوا «جمعية سرية هدامة» فى مطلع القرن الرابع الهجري أفرغت على نفسها هذا اللقب البـــراق الخـــادع ، ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباطنها (هدم بيت محمد) اي دينه الشريف الغظيف السمح وإزالة دولته الموحدة من الوجود ، واقامة دولة لها دين مزيج من اسلام ووثنية بحيث لا يستطاع فصل احدهما عن الآخر . لذلك كان الاقدام على البحث فى ذلك المزيج إقداما على عمل خطير محفوف بكثير من المزالق وغير مأمون العاقبة .

وقد اصطلح ارباب هذه النحلة على تسمية تلك الدولة العاملين بجد والهادفين إلى خلقها مهما كلفهم الأمر (بالدولة ـ او الخلافة الفاطمية) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعض المؤرخين كانوا يطلقون على الخرمية أصحاب بابك الخرمي لفظ. (الفاطميين) نسبة إلى فاطمة بنت أبى مسلم الخراساني استغلالا لبعض الاسماء المقدسة لدى جمهور المسلمين .

وقد الف هؤلاء الدجالون عدة رسائل أطلقوا عليها (رسائل إخوان الصفاء) وهي عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة فهي سياحة متموجة ذات تعاريج وتضاريس وعرة ومنعطفات ملغمة بانماط من تعاليم مزدك وماني وزرادشت .

وإن السائح فى رسائلهم تجده بينما هو فى صحيح مكشوف إذا هو فى نفق مستور .. وإذا هو فى ذروة شاهق إذا به ساقط على أم راسه فى واد سحيق لايعلم قراره إلا اللـــه .

وهم قوم ملحدون وزنادقة يموهون بمظاهرة كل فرقة بينهم ويجرون فى ذلك مجرى المجوس والماسونية التى استهوت مختلف الطوائف والانماط فهم اعرف الناس بدس السم فى الدسم ، تارة باسم المعرفة واخرى باسم البركات والنفحات الروحانية.

والحق أن الانسان مهما كان فطنا يقظا تستهويه هذه العبارات التى افتتحوا بها الرسالة الأولى :

« هذه فهرست رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء واهل العلم والعدل وابناء الحمد وهي اثنتان وخمسون رسالة فى فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الأدب وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء من رجال الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا فى البلاد »

وحسبك ان قولهم (كلام الخلصاء



الصوفية) ورط جمعاً كبيراً من رجال الدين والمنتسبين إلى التصوف . فبعد أن كانوا في وداعة وبهاء أصبحوا من زملاء إخوان الشياطين من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون .

وقد انخدع في أعمال هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجالات الفكر والأدب والدين . كما خدعت واستهوت الماسونية مثل هذا الجمع الغفير ومن ذوي الميول والغايات !! دون أن يعلموا أنها خدينة الصهيونية العالمية .

أقول إن الاستاذ خالد محمد خالد قد يتفق معي إذا قلت إن رسائل (إخوان الصفاء) التى تترجم عن أفكار (ابن ميمون) لم تخلص للاسلام ولا للفلسفة ولو أنها اخلصت لاعتذر عنها بأنها أرادت توجيه الاسلام توجهاً فلسفياً مع حفظ الجوهر ، ناظرة الى تطورات الزمن لكنها لم تكن كذلك بل لوثت الاسلام .... وأقل نتائجها أنها جرؤت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن التأويل . كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل الكثيرون من دعاتهم دون أن يُفطن إليهم وإلى مراميهم الهدمية . !

بين طه حسين والملاح

طبعت هذه الرسائل فى المطبعة العربية بمصر وعليها مقدمتان : مقدمة الدكتور طه حسين واخرى للعلامة احمد زكي باشا . ثم توالت البحوث حولها وعنهم فكتب الدكتور جميل صليبا ، والدكتور جبور عبد النور ، والاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوى

ومما جاء في مقدمة الدكتور طه حسين فى الصفحة «٦» ما يلي :

« وإنما هم مفكرون مستقلون يحاولون أن يصبغوا ما انتهى إلى المسلمين من آثار الأمم الأخرى صبغة إسلامية . وكان من زعمائهم جماعة كالفارابي وابن سينا وغيرهم » .

وقد علق الاستاذ الشاعر المرحوم محمود الملاح كثيرا على هذه الرسائل وعلى مقدمة الدكتور طه حسين بقوله :

« إن هذه النحلة الهدامة تحاول صبغ الملة الإسلامية صبغة الأساليب الوثنية المتضمنة للشرك والعبودية والرجوع بالمسلمين إلى الوراء بعد أن ذاقوا نعمة التوحيد الحر الخالص »

ومما قاله الدكتور طه حسين فى صفحتي «١١» و «١٢» مايلي :

« ولسنا نقول شيئاً جديداً حين نقول إن رسائل اخوان الصفاء أشبه شيء بدائرة معارف فلسفية جمعت كل مالم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف فى هذا العصر .

« وإن هذه الرسائل ليست إلا مدخلا إلى «رسالة جامعة» هي خلاصة العلم وغاية الغايات .. »

« ومن يدري لعل قراءة هذا الكتاب فى عناية وتحقيق تكشف عن أشياء لم تظهر بعد . »

« فهل يبعد أن يكون رجل كالغزالي قد تأثر إلى حد قريب أو بعيد بفلسفة هذه الجماعة ولا سيما حين نلاحظ انه نشأ فيلسوفاً وانتهى صوفياً ؟ .»

يرد الأستاذ المرحوم محمود الملاح بقوله :

● إن هذا الوصف صحيح لو خلا الموصوف مما أفسده الواصف باتخاذه وسيلة رخيصة إلى خدمة جهة مادية مزيفة .. فيكون ضررها أكثر من نفعها .

● كما وأن الدكتور لم يقرأ الكتاب (الرسالة الجامعة) بالشروط التى ذكرها (وهي العناية والتحقيق والتمحيص) بل قرأها قراءة عابرة وترك الجذوع والجذور ، وترك القاريء واقفاً على أصابع قدميه حائراً .

● أما المرحوم أبو حامد الغزالي فقد كان معروفاً بمحاربة الباطنية فيبعد أن يتأثر بفلسفة الجماعة المذكورة . نعم يجوز أن يكون تأثر بفلسفتهم الظاهرية العامة التى كانت مشاعاً بين الفلاسفة أو كانت بينهما نقطة التقاء مشتركة . وهناك فرق بين الفلسفة الظاهرية العامة وبين الفلسفة الباطنية الخاصة المتسترة بالفلسفة الظاهرية العامة .

ويلاحظ أن الدكتور طه حسين قد اغتر بالآفاق ولم يتوغل فى الأنفاق تلك الأنفاق الحلزونية وعدم توغله فيها سبب له صدور حكمه على الرسائل «حكماً سطحياً» .

وسرعان ما استأنف الدكتور البصير طه حسين هذا الحكم بنفسه عن نفسه فنقضه بسهولة حيث قال :

« على أن من الحق أن نلفت أنظار الناس إلى أن هذه الرسائل لم تقصد بها الفلسفة من حيث هي . ولا العلم من حيث هو . وانما اريد بها تكوين ثقافة معينة لنحو من السياسة معين ففيها من التأويل والدوران وفيها من الحيل والخيال ما يحسن الالتفات إليه ، والاحتياط منه » .

إن هذا الحكم الأخير الذى اصدره الدكتور لا يحتاج إلى تمييز . ولكن هل كان حكمه مقترناً بالجزم أم كان على

● وفرة الكتب التي ظفر بها ابن تيمية من غنائم المكتبة الفاطمية .. ساعدته على فضح سوءات الهدامين كإخوان الصفاء والقرامطة

● إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم . لكن ماهو عذر بعض العلماء ورجال الفكر ؟!

● في تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات مختلفة ، ومن الأدلة على ذلك مذهبهم في الكواكب والأفلاك !!

سبيل الاحتياط والتحفظ ؟!
لنقف قليلا عند أقوال الدكتور طه حسين وإطنابه وتهربه حيث يرى «ان هذه الرسائل كنز لم يقدر ثمنها إلا بعد معرفتها » .

ولم يعلم صاحب المعاني البصير أنه كنز مملوء بالأفاعي والعقارب وان قيمة الرسائل تخس بخسة الغاية والهدف .

لذلك يتبين ان الدكتور طه حسين كان متموجاً فى مقدمته وبحثه ، مع تطاول الأعناق المخدوعة إلى احكامه الحاسمة فى ميادين النثر والنظم ، وهو ممن يحسن ضبط «الفذالك» وصقلها ، فهو (صيقل) لا (فيصل) !

وكان من جملة اعتذاره عن أصحاب الرسائل قوله فى آخر صفحة «١٤» :

« وقد كان إخوان الصفاء انفسهم مخلصين ! فقدروا ذلك ولفتوا إليه ودعوا والحوا الا تعطى هذه الرسائل للناس إلا بمقدار ! »

وقال : « وكل ما يجب علينا لأنفسنا ولشبابنا إنما هو التنبيه إلى ما يجب من الاحتياط والحذر » .

ولهذا القول والاعتذار وجه لو كان أصحاب الرسائل انفسهم معتقدين بما في رسائلهم ومؤمنين بها ومخلصين للفلسفة وهم ليسوا كذلك ــ كما يبدو ــ ولكنهم اذكياء ولا يجتمع الذكاء والهراء والمنطق والاسفاف وطلب الحق والعطف على نزعة سياسية آثمة بل كانوا متلاعبين ومأجورين لخدمة نحلتهم المسمومة والجهة التى يريدون خدمتها للوصول إلى الغاية وإلى معبودهم الآخر !

عرض تاريخي لاغير

اما مقدمة العلامة احمد زكي باشا فهي بلاشك جمعت فاوعت من حيث التحقيق والتنقيب بما تيسر له . وعمله جيد مشكور وسعى مبرور ولكن الذى اخذناه من جهده كان عرضاً تاريخياً لا حكماً ايجابياً . قال رحمه الله فى صفحة « ١٨ » :

« اشتهر هذا الكتاب بين بنى الآداب وعلا قدره وطار صيته حتى صار موضوعاً لحديث القوم فى كل ناد ... يهيمون بالمذاكرة فى تاريخه وأصله فى كل واد وما تجلت عرائس الحقيقة إلا لنفر من نخبة الأفاضل المدققين فاستجلوها وضنوا بها على السائلين ».

ثم قال : « ولم يظهر بدر هذا الكتاب فى أفق المعارف حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعنوا بقراءته والاعجاب به . وقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه ــ لكونهم كتموا اسماءهم حتى بلغ صيته المشارق والمغارب .. وقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فاحلوها المحل الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها .

ثم قال : ولا يغرب عن بال القارىء ان الأعمال العظام والتاليف المعتبرة ونوابغ الرجال قد كانت وستكون فى جميع الأزمان عرضة لسهام الطعن والانتقاد : ص ٢٠ » .

واعلم ان هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس كما استوجبت لأصحابها السخط واللعنة عند فريق آخر » .

وبعد هذا الاغراق في المديح (لبدر هذه الرسائل ــ وتجلى عرائس الحقيقة) يقول (ونحن لا نتشيع لاحد المذهبين حول هذه الرسائل بل نترك الحكم عليها لمن يطلع عليه) .

أصل القرامطة

يقول المرحوم محمود الملاح :

« إن هذا الثناء والاطراء يدل على ان الباشا ــ طيب القلب ــ اطلع على حروفها دون كنهها واسرارها . ولا شك ان الباشا كان ذا عقل رزين ودين متين ــ ومن العجب ان احدهما او كليهما لم يوقفه على المقاصد التى تنافى العقل تارة والدين تارة اخرى . اما كتمان الأسماء فقد نفعهم من جهتين : انهم تضللوا بكهف التقية الكثيف لئلا تخترقها اشعة السيف . وأن الرسائل بكتم الأسماء تكون اكثر إغراء للناس وتشوقاً إلى رسائلهم » .

ثم نقل الباشا عدة كلمات عن القفطي وحديث ابى حيان التوحيدي وقع فيها بعدة اخطاء فى مصدر الحديث لم يشر إليه المصححون .

وننقل هنا بعض اقوال لأبي حيان التوحيدي حول أولئك الدجالين :

« وكانت افراد هذه العصابة قد تالفت فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله » .

وقال ابو حيان : « قد رايت جملة من الرسائل وهي مبثوثة في كل فن وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتزييفات » .

قال عنها الشيخ ابو سليمان المنطقي « تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما اجدوا ونسجوا فهلهلوا » .

ومما تجب الاشارة إليه أن الباشا قد توقف فى الحكم .. بعد أن اتضح له انهم اصل القرامطة . فهل يشك الباشا فى أعمال القرامطة ؟!

وهل نسي الباشا وقائع القرامطة ومذابحهم فى المسلمين فى الشرق



ليسوا من المفكرين الأحرار بل هم جماعة سرّية هدّامة

والغرب بل وحتى فى وسط الكعبة وسرقتهم للحجر الأسود وما إلى ذلك من المصائب والويلات ؟

والشيخ ابن تيمية بعيد الغور ممارس للأديان والملل والنحل مع خبرة واسعة فى مقاصد الهدامين المتظاهرين بالاسلام والرافضين لتعاليمه.

وصراحة ابن تيمية وفضحه لأساليب ولسوءات الهدامين المتبرقعين بالاسلام جلبت له بلاء كبيراً ومنكراً ونكيراً فقد حورب حياً وميتاً.

وقد ساعد ابن تيمية على فضح عورات الهدامين كاخوان الصفاء والقرامطة وفرة الكتب التى ظفر بها من غنائم المكتبة الفاطمية وغيرها.

وبلغ حقد هؤلاء وغيرهم من المتبرقعين بالاسلام دثاراً انهم ينذرون إلى الله إذا رزقوا بمولود ذكر يشترون أحد كتبه ويحرقونه حتى نفدت بعض كتبه القيمة من الأسواق.

ما عذر العلماء ؟

إذا وقع البسطاء تحت تأثير كتب إخوان الصفاء وشراكهم وحبائلهم فلهم عذرهم. ولكن المؤسف أن نرى بعض العلماء الأعلام والمتخصصين من رجال الفكر والدكتوراه يقعون فى شباك الهدامين وليس لهم من عذر لأن القراءة السريعة دون التعمق وسبر الأغوار توقع الناس فى المهالك. فالاستاذ الفاضل عبد اللطيف الطيباوي قد يكون معذوراً حينما يتناول آراء مطروحـه.. ولكن الدكتور جبور عبد النور ما عذره حينما يقول عنهم :

« نفوس متوقدة توارت وراء غيوم السياسة وبثت من خلالها أشعة العلم والمعرفة ».

اما الحـقيقة فانها نفوس متلوثة توارت وراء غيوم الشعوذة وبثت من خلال اشعة العلم والمعرفة كلمات متراكمة لغايات دنيئة فيها استعباد الانسان روحاً وجسماً وعقلاً.

ثم يعود الدكتور فيناقض نفسه، حيث يقول فى صفحة «٨٣» :

« فى تعاليم إخوان الصفاء رواسب من وثنيات قديمة مختلفة فتعاليمهم أشبه بقوس قزح من حيث تعدد الألوان ومن تلك الألوان مذهبهم فى الكواكب والأفلاك ».

ومنها قوله « اعتمد إخوان الصفاء على الغايات الظـاهرية لتحقيق الغايات الباطنة. فتراهم يغتنمون فرصة الكلام عن الموسيقى ليدسوا فيه نغمات خافتة من ميلهم ».

اقول : وهل فى الاسلام والدين الحنيف ظاهر وباطن أو تأويل مبطن لكتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم.. لا يأتيه الباطل ؟

إننا لا نبخس الدكتور جميل بحثه فى صفحة «١٦» عندما تكلم عن (غايتهم الباطنية) ولا ماجاء فى ص ٢٤ حول معالم الوثنية فى مذهبهم حيث قال :

« إن في وسعنا القول إن إخوان الصفاء معتزلة. وفيثاغوريون. وافلاطونيون ومجوس لأن لكل هذه النزعات أثراً بارزاً فى الرسائل ولأن هذا الخليط يتجاوز فيها على غير وفاق...

ونحن واجدون فى نصوصهم فقرات مموهة تشير إلى أن فى قرارة نفوسهم ميلا إلى الوثنية معدلة ومخففة وهنات مكثفة بحيث يضيع على الدارس تعدد الأصداء... »

أقف عند هذا الحد لأرى ما سيقوله الأستاذ خالد محمد خالد بعد مراجعته للرسائل وباب التأويلات والحكايات الواردة على لسان الحيوانات واتهام القرآن بسر النقط والحروف والبسملة.. وكذلك الأرقام وفواتح السور الكريمة وأسرارها التى تفوق ماورد فى كتاب مشارق اليقين لمؤلفة رحب البرسي الصادر عن دار الفكر فى بيروت عام ١٣٨٤هـ وآخر قولي كلمتين جامعتين أثرتا عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهما :

- الدين النصحـــة
- من غشنا ليس منـــا

وللبحث عود وإنا بانتظار رد العلامة الجليل وسائر الباحثين والمفكرين. والله من وراء القصد.

الحاج عبد الأمير علوش

بغداد

مصادر البحث

- الرسائل بالذات
- حقيقة اخوان الصفاء للمرحوم محمود الملاح (مطبوع)
- اراء الملاح فى اخوان الصفاء (مخطوط)
- تعليقات الاستاذ محمد جعفر مال الله حولهم (مخطوط)

تصـــــويـــب

تلقينا من الـكاتب الكبير خالد محمد خالد هذا التصويب لبعض ما ورد فى مقاله فى عدد أكتوبر ١٩٨١ من أخطاء مطبعية.

عزيزى رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فكل عام وانتم بخير، وارجو لكم دوام النعمة والتوفيق.

طالعت فى عدد اكتوبر من الدوحة مقالي عن الضمير الانساني، والفيت فيه بعض الأخطاء التى لا اعتبر خطي مسئولا عنها، وهي اخطاء لا يمكن أن تلتبس على مصحح بصير.

وبالمقال خطأ ارجو الا يمر بدون تصحيح له فى العدد التالي إن شاء الله.

في ص ١٠ العمود الثالث نلتقى بهذه الفقرة :

« إن اخناتون واحد من الافذاذ الذين يختارهم الضمير الانساني لكي يقوموا بعمل جيل أو اجيال، فيوم ذاك، وقبل الميلاد بسبعين وثلاثمائة والف عام يوجه الضمير عن طريق اخناتون ضربة للتعداد الذى رآه شركا، ويعلن أن اخناتون هو الاله الواحد، وليس هناك إله آخر سواه الخ ».

كيف يستقيم هذا الكلام مع الكلام السابق له والتالي له.. ؟

إن الصواب هو « ويعلن أن آتون هو الاله الواحد الخ. فما كان اخناتون سيكون من الرجال الافذاذ إذا اصطنع من نفسه إلاها لا شريك له. وما كان سيبتهل إلى الاله على النحو الذى تراه وتتلوه بعد هذه الفقرة من المقال.

لهذا ارجو شاكرا أن ينشر هذا التصحيح مع مقالي القادم، وارجو مخلصا للأخوة المصححين أن يكونوا اكثر يقظة واوفر اهتماما. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم : خالد محمد خالد



العقاد كما عرفته
ذكريات شخصية وأدبية

بقلم : نعمان عاشور

● لم يحاول العقاد أن يفرض علىّ رأياً . وإنما أوصاني أن أتردد على ندوته لكي أعرفه على حقيقته

● جنحت به مواهبه وملكاته وطاقاته إلى الموسوعية ، وباعدت بينه وبين الخلق الابداعى ، ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته . ● اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين إلى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحته . فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «إبليس» وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه . ● كان يجمع بين الجدية الكاسحة والسخرية اللماحة التى تستند إلى الفكاهة الخالصة .

مكنة الساعة الخامسة .. أى القطار الذى يربط بلدنا بالقاهرة كان يصل دائماً عند الغروب .. وهو عبارة عن عربتين .. احداهما للبضائع والأخرى للركاب .. ولهذا لم تكن تطاوعنى نفسى على الرقاد فى الظهيرة حتى الحق بعربة البضائع وهم ينزلون منها جرائد المساء .. ويناولنى عم سيد الزنجى .. بائع الجرائد الوحيد فى بلدنا .. نسخاً من جريدة البلاغ آخذها منه وانا اكاد اطير فى الهواء عائداً الى بيتنا .. واقبع فى ركن قصى من الغرفة المخصصة لي ولشقيقى وانفرد بنفسى لاقرا أو على الأصح لأحفظ مقال العقاد اليومى ... فقد بلغ اعجابى بالعقاد اننى كنت احفظ كتاباته عن ظهر قلب كما نفعل فى مادة المحفوظات المدرسية ولم يكن يعنينى كثيراً ما يطرقه فيها من موضوعات .. لأن مقالاته كانت كلها تدور حول السياسة .. إنما كان شغفى واعجابى ينصب على أسلوب الكتابة نفسها ... فقد سحرنى العقاد باسلوبه لسنوات عديدة فلما اتسعت دائرة اهتماماتى .. وشرعت فى قراءة طه حسين والمازنى ثم توفيق الحكيم بدات أزهد فى قراءة العقاد .. لكنى على مدار الثلاثينات كنت أتعقب العقاد فى معظم كتاباته وكتبه ... وشيئاً فشيئاً بدات تخف حدة اعجابى به وهوايتى له . ولم يكن ذلك بتاثير من احد ... اعنى اننى لم أجد العقاد مفضلا عليه غيره .. ولكننى جحدت العقاد بسبب ما اخذ يتطور فى داخليتى وتكوينى من آراء ومثل وقيم ومبادىء كانت كلها تتناقض مع ما يكتبه ...

الاطار السياسى

على بداية الأربعينات كان العقاد قد وصل الى عدة مفاهيم ومواقف محددة فى كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية بل والسياسية أيضاً ... لذلك برز فى كتاباته الكثير من الآراء المخالفة لما كان يكتب عنه وينادى به قبلا .. فقد تحول الى محافظ متعنت يتقيد بآراء جامدة بعد أن كان مفكراً حراً ينحاز للتيارات الشعبية .. ولعلنا نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح كامل فى مواقفه السياسية .. ففى البداية انفرد بين الآخرين بمشايعته لحزب الأغلبية .. حزب الوفد ـ وكان كما وصفه سعد زغلول «جبار القلم» وبلغ به الأمر الى حد أن سجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ... لكنه لم يلبث بعدها بسنوات ان تحول ليصبح اكثر الكتاب تطرفا فى مناصرة السراى وحكم الاقليات واكثرهم دفاعا عن الديمقراطية على الصورة التى فرضها الانجليز بالذات فى جانبها المحافظ الذى يرجح حكم الارستقراطية عما عداها من فئات ، ووقعت الحرب العالمية الثانية والعقاد يقف على رأس التيار المعادى للفاشية فى دفاع محموم صارخ عن النمط الديمقراطى الغربى ، وبالذات أسلوب حكم المحافظين الانجليز ، فلما اقتربت قوات المحور من العلمين واصبح روميل على مسيرة اميال من الاسكندرية هرب العقاد من مصر وارتحل الى السودان ... وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى يغادر فيها العقاد القاهرة

ظاهرة العقاد

فاذا خرجنا بكم عن هذا الاطار السياسى الذى كان يلف الحياة العامة للعقاد كاتباً ومفكراً ... فقد يلزم أن نرتد الى بدايات العقاد ... شاعراً وأديباً ورائداً من الرواد الكبار لحياتنا الثقافية .. وفى هذا أيضاً لا يمكن فصل العقاد عن السياسة لانه مهما كانت قيمة الدور الذى لعبه العقاد ... وهو دور بارز لا شك ... فان هذا الدور تحدد دائماً بموقف العقاد السياسى .. ودعكم من انه علم نفسه بنفسه وكان مثقفاً عصامياً لم يتابع الدراسة المنتظمة التى حظى بها بقية الرواد من معاصريه فهذه العصامية الثقافية التى دائماً ما تلصق به ليست بالشىء المستبعد على تكوينه ... وليست هى أيضاً التى ميزته عن الآخرين ... فقد كان العقاد من الأصل يتمتع بما يمكن أن نسميه مواصفات المثقف .. رجل كثير القراءة .. قادر على الكتابة وله أسلوبه المميز القوى ... لكن مواهبه وملكاته وطاقاته تجنح به جميعاً الى الموسوعية وتباعد بينه وبين الخلق الابداعى .. ولهذا غلب الجانب الدراسى على مؤلفاته وكتاباته ... فهو قد يكون باحثاً ودارساً ومنقباً وربما ناقداً .. أكثر منه روائياً أو شاعراً ... ولهذا فقد لا نجد له بين مؤلفاته الوافرة العديدة غير رواية واحدة يتيمة هى «سارة» وعمل بارز آخر تمتزج فيه الدراسة بالابداع هو

● انفجر العقاد شاعرًا فى ذروته ، ورماني فى لحظة غضب بأقسى العبارات


المازني


سعد زغلول


روميل



كتابه عن «ابن الرومى» ولهذا ايضاً فان دواوينه الكثيرة من الشعر لم تشفع له أن يتبوأ ما كان يصبو اليه دائماً من مكانة بارزة كشاعر .. وقد وجد له خير متنفس لهذا الجانب الخابى من طاقاته الخلاقة فى كتابه ... «العبقريات» وهى تراجم كانت من ملكة الخلق الفنى الابداعى التى تطمرها قدرته على الدراسة والبحث وما تمده به قراءاته المنوعة من طاقات ومنطلقات .. فاذا أضفنا الى ذلك شخصية العقاد نفسه وهى شخصية يعرف صاحبها كيف يفرضها على الآخرين فى تسلط وهيمنة واعتداد لما استعصى علينا أن ندرك حقيقة التمايز الذى أوجد ما يمكن أن يسمى ظاهرة العقاد ذلك أن العقاد كان كاتباً ومفكراً وأديباً ... ولكن العقاد كان أيضاً شخصية ولهذا فان أغلب ما يكتب اليوم عن العقاد .. لا ينصب فى مجموعه على انتاجه الأدبى والفنى .. ناهيكم عن شعره.وانما يتركز فى الأعم الأغلب على شخصيته .. ثم ما كانت هذه الشخصية تمثله سواء فى كتاباته أو ندواته أو مواقفه كسند لمختلف الآراء والمفاهيم التى يتميز بها الفكر المحافظ ...

الطود الصامد

فى عام ١٩٤٩ كان العقاد ، وهو من سبق الكتاب فى المناداة بالحرية ... يتصدر الصفوف التى تقف فى وجه كل منطلق فكرى متقدم وحر ... بل كان قد نصب نفسه نهائياً وبحكم قامته الأدبية المديدة وكأنه السد الشامخ المانع لكل ما يعتقده ، انحرافاً عن النهج القويم ...



ابن الرومى

ويقصد بذلك نهجه المحافظ ... ولهذا غلبت على كتاباته استعمال ألفاظ قاطعة مانعة من ألفاظ الوجوب والحتم والالزام والمفخمات اللفظية التركيبية التى تميز أسلوبه عامة ... وفى تلك الفترة كانت مصر تموج بالتيارات اليسارية على صورة جارفة وتغلغل صارخ لم تعرفه من قبل ... وكان رد الفعل الطبيعى لذلك ظهور الجماعات الدينية المتطرفة التى نهضت لمقاومتها بالعنف .. وأصبح لابد للعقاد أن يختط لنفسه ، وفى مجال الصراع الفكرى والعقائدى الذى ولد قيام مثل هذه المتعارضات ، منهجاً واضحاً .. منهج يتفق مع ترفعه الثقافى وابتعاده الكلى عن مضمار النشاط السياسى ويحفظ له كيانه كشخصية لها تأثيرها المتصل فى المجال الواسع للرأى العام فكان أن رسخ فى ندوته يجمع من حوله الأشياع والأتباع والمعجبين يذود بالقول والفكر ... وباللسان والقلم عن كل ما يصدر عن الجانبين المتطرفين ... فى أقصى اليمين وفى أقصى اليسار من كتابات .. هى فى نظره «عين الضلال» لهذا اتجه فى مقارعة المتهوسين الدينيين وأعدائهم من الملحدين الخارجين الى الكتابات التى يمكن أن نصفها بالاسلاميات البحتة .. فكما كتب عن «الله» عاد فكتب عن «ابليس» ... وفى كلا الكتابين تجلت براعته الاقناعية والمنطقية التى تميز بها أسلوبه اللغوى نفسه ...

جريمة نقد العقاد

أيامها كان العقاد اذا ظهر كتاب أو مقال أو رأى يخالف ما كتبه ينبرى فى عنف وسخط وسباب واضح مرتكناً على ما لصق بشخصه من اعتداد وتسلط أو ما كان يتصوره أنصاره من جبروت نتيجة لاعجابهم الصارخ به ... حدث أيامها أن صدر للعقاد نفسه كتيب عن برنارد شو ... ويظهر أنه كتبه بسرعة مستنداً الى قراءاته القديمة ومعلوماته العامة عن الكاتب الايرلندى .. وكنا أيامها (مجموعة من الشبان الأدباء) نصدر مجلة «الأديب المصرى» باشراف الاستاذ مفيد الشوباشى الذى كان من الصنق أصدقاء العقاد ومن أكثر الشعراء تأثراً بأسلوبه الشعرى «العقلانى» كما كان يسميه . ولم يعجبنى كتاب العقاد بعد أن قرأته واستفزنى فى اللهجة التى كتبه بها والمعلومات الأولية الساذجة التى اشتمل عليها .. وكنت حينذاك متشبعاً ببرنارد شو الى درجة اعداد أربع مسرحيات كاملة من أعماله وتقديمها فى الاذاعة مما يتعارض مع ما فى كتاب العقاد عنه من قدح وبالذات لما عرف عن برنارد شو من تسخيره لمسرحياته للترويج لآرائه ومذاهبه .. وقد انصب تسفيه العقاد لبرنارد شو فى كتابه عنه على هذا الجانب .

قدمت نقدى عن الكتاب الى المطبعة مباشرة ولم أستشر فيه الاستاذ مفيد وكنت بذلك أحاول وضعه أمام الأمر الواقع خشية أن يمنع المقال بحكم صلته بالعقاد ... ولكنه ما كاد يراجع بروفات العدد حتى أقبل يحيينى فى اطراء بالغ لأننى نقدت الكتاب وما فيه من معلومات وحقائق عن برنارد شو باتزان ودقة مع استنكار مبطون لأن يصدر مثل هذا الكتاب الساذج عن كاتب فى قامة العقاد .. وكان العقاد يقرأ المجلة لأننا نرسلها له ... وطبيعى أن ينفجر تأثيراً لما كتبته عنه ... وعلمت من بعض رواد ندوته الأسبوعية أنه يشتمنى بأقذع العبارات واتهم الرابطة جميعها بأنها تضم مجموعة من « العيال الذين يلعبون » والعبارة رسخت فى ذهنى لأنها لا تستبعد على لسان العقاد إذا غضب ...

مواجهة العملاق

لكن الذى حدث أكثر من ذلك أننى بعدها بأيام دخلت مكتبة الانجلو بغية الحصول على كتاب جديد فاذا بى وجهاً لوجه أمام العقاد وهو ينتقى عدة كتب من هناك كما كانت عادته .. ولم يكن العقاد يعرفنى بالطبع ... وأين أكون أنا منه ؟ كاتب شاب مجهول لم يبلغ الثلاثين ويتطاول على عملاق ! وبغتة ... أشار إلى أحد أتباعه المرافقين له «أهه» ... اللى هاجم كتابك عن برنارد شو ، ونظر إلى العقاد ... ولكن نظرته لم تكن تنم عن الغضب مع أنى توقعت وهو ينظر الى أنه على الأقل سيأمرهم باخراجى من مكتبة الانجلو . قال العقاد وهو يشير باصبعه وكان على غير المألوف لا يرتدى

نظارته وعيونه شديدة الاحمرار . ولم تكن الكوفية التقليدية تحيط بعنقه لأننا كنا فى الصيف ... كانت صورته مختلفة عن الصورة التى تعودت أن أراه عليها ..

ـ انا شفتك قبل كده ؟ انت جيت الندوة ؟.

وكان يقصد ندوته الأسبوعية فى داره بمصر الجديدة ، وهى الندوة المشهورة التى ظل يعقدها حتى وفاته ... أجبته اننى حضرتها مرة واحدة .. فرد وفى صوته حشرجة ...«مش كفاية» ... وتقدم منى احد الاتباع واخبرنى أن الأستاذ يريدنى أن اتردد على الندوة ...

موقف العقاد

لم اكن محرجا أبدا ... ولكننى كنت حانقا على الطريقة التى عاملنى بها لأنه سرعان ما تجاهل وجودى حين جاءه موظف المكتبة باحدى المطبوعات ليعرضها عليه . من الواضح أن شيئا كان قد اصاب عيونه لأنه لا يرتدى المنظار كما قلت .. وطلب الى احد مرافقيه ان يقرأ له عنوان كتاب ثم اعاده الى موظف المكتبة وانا فى غاية الحرج .. لا شك ان العقاد يريد أن يظهر لى اننى تافه لا استحق أن أواجهه ... لكنه لمحنى وانا اغادر المكتبة بعدها بلحظات وكان قد جلس على أحد المقاعد وأمامه كوب من الماء وفنجان قهوة .. ونادانى .. فلم اتردد فى العودة رغم أنى كنت قد وصلت الى عتبة الباب الخارجى لمدخل مكتبة الانجلو وطلب لى مقعدا لأجلس ... اشعلت سيجـــارة وانــا جالـــس فى صمت والكل ينتظر أن يتكلم العقاد وتنحنح بحشرجته المعهودة .. «هه ... واضح انك بتعرف انجليزى كويس» فاجبته باننى خريج قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب .. وهز راسه ... «انت مجتهد وعندك اسلوب» فلاحقته بان الفضل له واننى اخذت أسلوبى عنه .. وكنت صادقا فيما أقول ...

ـ واضح جداً انك مش «طه حسينى»

وكان يقصد فى أسلوب الكتابة .. واستطرد بعدها ..

ـ لكن انت متهجم ...

فاجبته الفضل لك يا استاذ ... فقهقه ضاحكاً ثم راح يوجه كلامه الى المحيطين به شارحاً .. بان هذا الجيل الجديد من امثالى ... مضلل ... لكنه مثقف بثقافة عاجزة وعقيمة تشل عقولهم وتكبل ارواحهم ومن المؤسف انها تدفعهم الى التطاول .. «فاهمين فى روحهم اكثر من اللازم» ... فقمت واقفا محتجا .. وهنا انقلبت سحنة العقاد وتخلى عن السماحة والتبسط الذى اظهره من قبل .. ثم انطلقت منه العبارات وكان يوجهها للآخرين ... مساكين مضللين تجردوا من اى منطق او معقولية ثم التفت الى وانا على وشك التحرك لانسحب متمما ..

ـ اسمع يا ابنى ... هو الميزة الوحيدة فى الكلام اللى انت كتبته انك كنت مهذب ... لكن هذا لا يشفع لك تطاولك .. انت تعرف برنارد شو اكثر منى ؟ ..

فاجبته باننى لم ادع ذلك ..

ـ لكن كلامك بيدل على كده ... ما انا عارفكم .. كلكم دماغكو ناشفة ... كان العقاد يتكلم بحدة .. ولذلك انتهزت فرصة دعوة احدهم له كى يشرب القهوة قبل أن تبرد .. وانسحبت ، وكان العقاد قد بدأ فى ارتشاف القهوة فلم يحاول حتى أن ينظر إلى وانا اغادر المكتبة ... ولحق بى واحد من اتباعه على الباب ...

ـ ابقى تعال الندوة .. دى تعتبر دعوة مفتوحة .. عمر العقاد ما عملها .

واجبته موافقا وانا اقول ...

ـ عارف لو كان معاه العصايا .. كان حيضربنى بيها ..

ولكنه انكر زعمى ..

ـ ابدا .. العقاد مش كده ... انتوا مش فاهمينه كويس ...

الرقة العاطفية

حين قابلت الأستاذ مفيد الشوباشى بعد ذلك أخبرته بما حدث فابتسم ضاحكا وافهمنى أن العقاد إنما يعاملنى بهذه البساطة ... اكراما لخاطره .. والواقع أن هذا كان غير صحيح .. لأن العقاد على قدر تهجمه وعنفه وعلى قدر ما يبدو عليه فى صورته العملاقة التى كان يصوره بها أعوانه واتباعه .. لم تكن تنقصه الرقة او الليونة .. وهى رقة عاطفية كان يجتهد دائما فى إخفائها وكأنها مسبة او ضعف يتعارض مع ما يجب أن ترسخ عليه صورته فى أذهان الآخرين ... وهذا الجانب الخافى من شخصيته لم يكن يبرز إلا فى شعره ثم فى معاملاته الجانبية لمن يحيطون به من اهله واللاصقين بحياته .. وهذه الصفة تقابلها صفة أخرى للعقاد ... وهى صفة الجمع بين الجدية الكاسحة ... والسخرية اللماحة التى تستند الى الفكاهة الخالصة ... ولعل هذه من ابرز الصفات التى تتحلى بها كتاباته فى ابعادها الصحيحة اذا طرحنا عنها المفهومات السائدة عن التهجم المتسلط والجمود المتجبر الذى كان يلصقـــه به عادة ... معظم المعجبين به البعيدين عنه ...

مع ذوى القربى

ذات مساء وكنت فى دعوة عشاء مع المرحوم الشاعر عبد الرحمن صدقى جرى الحديث عن العقاد فلم أستطع أن اكتم رايى فى الكثير مما أثير خلال الأمسية . وكان اعتراضى فى مجمله ينصب على ان العقاد كظاهرة ادبية لها قوامها الشامخ الوطيد ... لا تستند مكانته الى كتاباته وحدها ... لأنها مكانة تعتمد على شخصيته ايضا وأن العقاد فى أروع مواهبه ... كاتب مقال لا يشق له غبار حسب الوصف المعتاد ... ولم يعجب هذا الكلام معظم الموجودين فيما عدا عبد الرحمن صدقى رحمه الله ... فقد وافقنى على اننى لمست فى العقاد جانبا خافيا على معظم من يقدرونه وهو ما يتميز به من شخصية تجعله أقرب ما يكون من «فولتير» الفرنسى ... أو كما أضفت فى حوارى معه .. بل «دكتور جونسون» الانجليزى ... لأنه أقرب الى

● توالت المطاعن على طه حسين أمامه فقال : لا أسمح بهذه الأقوال على الدكتور العميد

ما يمكن ان يتمثله العقاد فى نفسه بحكم ثقافته .. وإزاء هذا التوافق كان لابد ان أستجيب لدعوة عبد الرحمن صدقى فاصحبه بعدها باسبوع واحد الى ندوة العقاد ..

الندوة

ترددت طويلا قبل أن استجيب للدعوة ... وسرعان ما وجدتنى فى صحبة عبد الرحمن صدقى رحمه الله .. وإذا بنا فى حضرة العقاد . مثل هؤلاء الناس ما دمنا احياء معهم لابد ان نراهم طالما اننا نقرا لهم ونتأثر بهم ... ولهذا كنت اسعى دائما الى مثل هذه اللقاءات فى سعادة غامرة لأنها تحفر فى داخلىنفسى ذكريات لا تنسى خصوصا واننى تعودت ان أسجل ما يدور فيها بعد الانتهاء منها ...

لا أرانى فى حاجة لكى أصف لكم شقة العقاد أو أروى لكم الكثير عن ندوته .. لأنها أشياء استهلكتها الكتابات الصحفية العديدة ولا تزال تتحدث عنها الأقلام التى عاش أصحابها مع العقاد باتصال لا ينقطع فى ندوته الشهيرة الى درجة أن بعضهم يطالب بالعودة الى عقدها بعد العديد من السنين التى انصرمت على وفاة عملاقها ... جلست قبالة العقاد مع عبد الرحمن صدقى وكان يرتدى طاقية ويلتفح بالكوفية حول عنقه .. إذ كنا فى الشتاء .. وكانت صحته جيدة ومعنى هذا بالنسبة للعقاد ان مزاجه سيكون رائقاً .. وبالفعل كان العقاد يومها كذلك ... وحين حاول المرحوم عبد الرحمن صدقى أن يقدمنى له ابتسم وقال انه يعرفنى لاننى هاجمته من سنوات . وخشى الرجل ان يهاجمنى العقاد فرجاه أن يسامحنى واخبره بما جئنا من اجله وهو اننا نختلف فى تحديد شخصيته لانى ارى انه اقرب الى الدكتور جونسون منه الى فولتير كما يراه هو .. وتجهم العقاد قليلا ثم قال ...

ـ هذا تصور غير صحيح فلا انا هذا ولا انا ذاك ... انا عباس محمود العقاد .. وكفى ...

ورد عليه احد الأشياع فى اطراء ظاهر .. لم يسبقه احد ولن يلحق به احد ... قال العقاد وهو يتململ ..

ـ دعونا من مثل هذه الترهات .. فلا يجب ان ننغلق على انفسنا . ونادى احدهم فى طلب الشاى معلنا أن الندوة مفتوحة .

كنت أعرف بعض أصحاب الوجوه من الجالسين .. اعرفهم باسمائهم كما كشف عنها الحوار الذى دار بعد ذلك حول عديد الموضوعات ولكنه انصب فى اغلبه على راى لطه حسين كان قد ظهر فى حديث له مع احد الجرائد خلال الأسبوع وهو راى يحبذ فيه طه حسين ضرورة الاتجاه نحو ما يسمى ايامها بالاصلاح الاجتماعى .. وانبرى احدهم يستثير العقاد .. لكن العقاد لم يكن فى حاجة الى ادنى استثارة ... فسرعان ما انطلق ...

ـ هذا راى طه حسين على الدوام .. يجارى الموجة واحيانا ما يسبقها . طه حسين كان حراً دستورياً ... واليوم اصبح أكثر الوفديين تطرفاً ومع ذلك فانا لا استبعد ان ينشق بعد ذلك على الوفد .. وتوالت المطاعن على طه حسين ... ولكن العقاد سرعان ما نادى بصوته المجلجل ...

ـ لا .. أنا لا اسمح بمثل هذه الأقوال فى الدكتور العميد ... ويبدو أن بعضهم اخذ كلمة الدكتور العميد على انها عبارة تهكمية يسخر بها العقاد من طه حسين ... ولكن الواقع أن العقاد كان جاداً وحازماً فطالبهم بأن يحتفظ كل منهم برايه لنفسه فى هذا الموضوع ثم بدأ يتحدث عن نيته فى الانتهاء من كتاب يعده للطبع عن الشيخ الامام محمد عبده .. ومع تشتت الحديث الى مختلف الموضوعات كان العقاد .. لا بوصفه صاحب الدار .. ولا بوصفه استاذاً للجالسين جميعاً ... ياخذ على امتداد الجلسة سمتاً عجيباً خيل لى معه انه اشبه بتمثال فرعونى ضخم وضع على مدخل الكرنك وسط طريق الكباش المتراصة حوله على مختلف المقاعد ...

محمد عبده

برناردشو

تمايز الرواد

وانفضت الندوة ... وخرجت كما جئت فى صحبة المرحوم عبد الرحمن صدقى ... ولم يحاول الرجل أن يفرض على رايا .. وإنما رجانى أن اتردد على الندوة لأدرس العقاد جيداً حتى أعرفه على حقيقته وهذا نوع من الاخلاص النادر الذى كان يتميز به كل من ارتبطوا بالعقاد أو داروا فى فلكه ... بعدها بسنوات قليلة مات العقاد ومنذ سنوات قليلة ايضا كنت فى جلسة مع توفيق الحكيم فى رواقه بفندق سميراميس قبل هدمه . ودار الحديث حول العقاد وكانت المناسبة الاحتفال بانشاء قبر له فى مسقط راسه باسوان لتخليد ذكراه وكان الحكيم كعادته منطلقا فى الحديث مستاثرا بالكلام يروى ذكرياته عن العقاد وطه حسين وعلاقته بهما ... وفجاة ساله احدهم عن رايه الصريح فيهما .. فلم يتوقف الحكيم وإنما راح يحدد مكانة العقاد ومكانة طه حسين وعلاقته بهما .. وفى صراحة عجيبة لا تستغرب احياناً منه قال الحكيم ان كلاهما كان فذاً فى مجاله ولكن كلاهما توقف بانتاجه عند الحدود الفاصلة .. بين المقال الادبى ... والابداع الفنى وانه وحده الذى حمل عبء الابداع الفنى الخالص من دونهما ... ولكم ان تسالوا توفيق الحكيم عن ذلك وهو لن يتجنب الرد لأن ميزة هذا الجيل من الرواد مهما اختلفت نظرتنا اليهم .. ان كل منهم كان يبنى نفسه بنفسه ويحكم على الآخرين وهو يقف فوق قمة ما بناه بغض النظر عن اى خلاف او اتفاق يمكن أن تكون قد انبتته العلاقة الشخصية وهذا يصدق على العقاد مثلما يصدق على توفيق الحكيم ومثلما يصدق على طه حسين ... فلا مكان عندهم للحقد او الغيرة أو الجحود ... وإنما كان يحركهم دائماً ... ما يمكن أن نسميه الاحساس بالتمايز الذى قد يربطهم بالمستقبل .

نعمان عاشور



أدباؤنا.. والبادية

بقلم : درويش مصطفى الفار

ظن كثيرون ، أن الجيل الذى إنتمى إليه جارفس ، وباركر ، وويلسون ، وبالمر ولورانس وستانلى ، وموررى ، وبيدنل ، وبرترام ، وفيلبى ، وفرايا ستارك ، وجلوب ، وبيرثون ، وعشرات غيرهم ممن جاسوا خلال البوادى العربية فيما بين المحيط غرباً والخليج شرقاً ، واندسوا بين البدو وخالطوهم ، وامتطوا ظهور الابل ، وشربوا ألبان النوق ، ومشوا حفاة على رمال القفر ، والتحفوا السماء ، وافترشوا الغبراء ، أعواماً طوالا ، يجمعون المعلومات ، ويدرسون العادات والتقاليد ، ويسجلون الأساطير والقصص ، ويؤلفون الكتب وينشرون المقالات والبحوث ، جيل قد انتهى وولى ، وانقضت مهمته ، ولم يعد في القوم بعد السيدة جوليان التى كانت قبل زواجها (مس جوان بلاودن) من يستطيع أن يتحمل مشقة السفر على ظهر بعير من عيون موسى قرب السويس عبر أوعر تضاريس سطح الأرض قاطبة فى جنوب شبه جزيرة سيناء ، إلى العقبة فوادى الرم فالقدس الشريف لتكتب بعد ذلك كتابها الضخم الفخم الذى سجلت فيه احداث تلك الرحلة العجيبة تحت عنوان (مرة فى سيناء) ولكن من يهتم ، يجد القوم حتى الآن نشطين مولعين بالبدو والبادية يؤلفون الكتب عن الابل ، وطريق الحرير ، وطريق الملح وطريق البخور ، ويبكون ضياع معالم (البادية) الأزلية تحت وطأة مستحدثات العصر من السيارات والآلات ، ومنهم من يلعن حتى آبار وانابيب البترول الى تمتد عبر الصحارى ، فتشوه (كما يزعمون) منظرها الذى فطرها الله عليه .. وتخرج المطابع حتى اليوم العديد من الكتب والمقالات الحسنة الاخراج والتبويب (باقلام الأجانب) عن بدونا وباديتنا ..

وتتلفت باحثا ، لاهثا ، عن قلم أديب عربى ، غاص صاحبه فى أعماق الصحراء او حتى قرب من مشارفها ، يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد ... ولما كانت البادية ببدوها هى الرباط الذى لم تنل منه أحداث الزمان ، وظل عنوانا يجسد وحدة هذه الأمة الناطقة بالضاد عبر القرون ... ولما كنا «رغم كل شىء» نؤمن بانها امة واحدة ... فلا اقل من ان نعترف بالتقصير ، بترك أقلام غير العرب تحدث الناس عن بادية العرب ، وتكتب ما يحلو لها أن تكتب ، من مثال تلفيقات جارفس (محافظ شبه جزيرة سيناء بين سنة ١٩٢٣ و سنة ١٩٣٦) كقوله فى أسطورة من اختراعه ينسبها إلى بدو سيناء وفلسطين والأردن ، ان الله سبحانه حين خلق الكون ، اخذ قبضة من هواء الصحراء النقى ، وصنع منها الانسان البدوى ! ثم خلق من التراب جملا لمنفعة البدوى ، ومن بعر الجمل خلق بقية المخلوقات ، وهذه لاشك (اسرائيلية) صدقها جارفس ، حيث أن بنى اسرائيل يعتقدون أن الله خلق الخلق على ثلاث رتب ، أعلاها اليهود ، وتحتها البهائم والحيوانات العجماء ، وبعد ذلك بقية الناس ... فهل آن الآوان لنجد جيلا من ادبائنا الشبان يتجشمون مشاق السفر والعيش فى الصحراء ليكتبوا عن البدو والبادية فيما بين المحيط والخليج ، ويصنعوا لنا أدباً جديداً طريفاً ، من الاف الأقاصيص والحكايات والأساطير التى تمتلىء بها البادية ... ويكفينى على سبيل تاكيد إمتلاء البادية بالقصص التى تحتاج إلى قلم أديب حاذق عميق الفهم ليخرجها إلى بنى قومه فى ثوب قشيب نافع ، انه فيما اعلم عن بادية سيناء ، وهى رقعة

صغيرة من بادية الوطن العربى فى مصر لا تتعدى مساحتها واحداً وستين ألف كيلو متر مربع ، ان ليس هنالك جبل أو واد أكمة او منخفض ومرتفع الا وله إسم وتسمية ، وان وراء كل تسمية قصة طريفة او أسطورة يفوق خيالها ما نقرا فى الف ليلة وليلة ، هذا فضلا عن ما لدى البدو من أشعار وقصص لا تتعلق بالأمكنة والديار وحدها ، أشعار عذبه عميقة تحتاج إلى دراسة .. إن الاقتصار على ما تكتبه اقلام الأجانب ، وما تقدمه إذاعاتنا المسموعة والمرئية ـ أحياناً ـ عن البدو والبادية العربية ، وعدم إقدام أدبائنا على اقتحام البادية لاستخراج ما فيها من كنوز ادبية ، أمر يدعو إلى الأسى والأسف .. ولقد اعترانى نوع من الحزن والغيرة حين قرأت منذ أيام كتاب (جيمس ويلارد) عن رحلته عبر الصحراء الكبرى إلى مالى ثم عودته صوب موريتانيا ، وتمنيت لو اننى اقرا مثل تلك الرحلة لكاتب عربى ، يكون بهذا العمق وتلك الدقة وقوة الملاحظة ...

فهل اطمع فى ان يحدث شىء يؤدى إلى :

● عمل (ببليوغرافيا) أو ثبت بكل ما كتبه الكتاب عن البدو والبادية ، تمهيداً لتجميع هذه الكتب فى مكتبة عربية فى اى قطر عربى ؟

● ترجمة بعض هذه الكتب ، مما يستحق الترجمة للاستفادة منها .

● قيام بعض شبابنا من الادباء والباحثين بالتصدى لخوض مظان البوادى العربية واستقصاء ما فيها من أدب وقصص وتراث شعبى ؟

إننى أهيب بمجلة الدوحــــة ، ان تتبنى هذا الاقتراح ، لاسيما وانها تصدر فى عاصمة دولة عربية فتية حريصة على المآثر العربية وما يعود بالنفع الفكرى أو المادى او المعنوى على الانسان العربى بين المحيط والخليج ، واهيب بكل قارىء عربى يسترعى اهتمامه هذا الموضوع ان يتفضل بالرأى والمشورة فى كيفية تحقيق هذا الأمل ، وذلك بالاتصال بمجلة الدوحة .

درويش مصطفى الفار

رسائل غير عادية

إليك أيها العربي

بقلم : معـــروف رفيـــق

اخي العربي .. سلام ارق من نسائم جبل لبنان ، واحلى من حلاوة رمان الطائف ، والذ من لذاذة المانجا المصريــة .. واطيب من طعم الفستق الحلبي ، واشهى من منّ السما العراقي ...

سلام ممزوج بعبق الكرومة فى الخليل ، وعسل النحل فى جبال الجليل ، وماء بردى فى غوطة دمشق ....

وبعد السلام ياأخي العربي ، أرجو ان احيطك علماً ، بان عناية الله ، قد اختصت أرض امتنا بالديانات الثلاث ، فجعلتها ارضاً مقدسة مباركة ، منعمة بالخيرات والثمرات ..

وإذا كـــان الاستعمـــار ، قـــد قســـم أرض العروبـــــة والاسلام ، فجعل من المشرق الواحد مشارق ، ومن المغرب الواحد مغارب ، وجعل من أمتنـــــا شعوبا تخوض فى بحر لجي متلاطم الأمواج ، تاهت زوارقه ، ولهثت انفاسه وراء شراع النجاة ، وخشبة الحياة .. فان الاستعمار قد رحل ، ولا ملامة على راحل ، وعليك يا اخى تقع الملامة الآن ، وعليك تقع مسئولية لم الشعث وجبر ما انكسر ...

لقد مات « سايكس » ورحل « بيكو » الى الأبد ، مضى عليهما وعلى اتفاقيتهما اكثر من ستين عاماً .. فلماذا لا تخلع الفواصل عن الحدود المصطنعة ؟ ولماذ، لاتجتث أشجار الكراهية المزروعة فى النفوس والصدور ؟

ـ لقد رحل الاستعمار وبقيت له الظلال ... وانت وحدك يا اخى ، المسئول عن اقتلاع آثاره السيئة ، وفكره المسموم ..

عناية الله ارادت لوطننا الكبير ، أن يكون ذا خير وبركة ، غنياً فى روحانيته غنيا فى خيراته وماديته ، فمتى تتشابك الأيدى ولا تشتبك ؟ متى تصفو النظرة وتصفو الرؤية الشمولية ؟..

متى يا اخى تنقشع من سماء الوطن الكبير ، نذر الهزيمة وبوادر السقوط الحضارى ؟.. أما الاستعمار ، فقد لعناه

سرا وجهرا وفى كل كتاب ... رحل وبقيت ظلاله .. فلنمح تلك الظلال بالارادة والعمل الذى لا يتوقف ..

ولتكن ياأخي مدارسنا طريقا الى المجد.

ولتكن إرادتنا سلما الى التطوير والتحديث .. ولنبدا البناء الذاتى .....

فما حك الجلد مثل الظفر .. ولا بدد الظلام مثل النور ، ولا قتل التخلف مثل الارادة ...

فى الوقت متسع ، وفى الوقت فسحة امل .. فلا تياس ...

لانه لا حياة مع الياس ... والى اللقاء ..

صغيرة من بادية الوطن العربى فى مصر لا تتعدى مساحتها واحداً وستين الف كيلو متر مربع ، ان ليس هنالك جبل أو واد أكمة أو منخفض ومرتفع الا وله إسم وتسمية ، وان وراء كل تسمية قصة طريفة أو أسطورة يفوق خيالها ما نقرأ فى الف ليلة وليلة ، هذا فضلا عن ما لدى البدو من أشعار وقصص لا تتعلق بالأمكنة والديار وحدها ، أشعار عذبه عميقة تحتاج إلى دراسة .. إن الاقتصار على ما تكتبه اقلام الأجانب ، وما تقدمه إذاعاتنا المسموعة والمرئية — أحياناً — عن البدو والبادية العربية ، وعدم إقدام أدبائنا على اقتحام البادية لاستخراج ما فيها من كنوز ادبية ، أمر يدعو إلى الأسى والأسف .. ولقد اعترانى نوع من الحزن والغيرة حين قرأت منذ أيام كتاب (جيمس ويلارد) عن رحلته عبر الصحراء الكبرى إلى مالى ثم عودته صوب موريتانيا ، وتمنيت لو اننى اقرأ مثل تلك الرحلة لكاتب عربى ، يكون بهذا العمق وتلك الدقة وقوة الملاحظة ...

فهل اطمع فى ان يحدث شىء يؤدى إلى :

● عمل (ببليوغرافيا) أو ثبت بكل ما كتبه الكتاب عن البدو والبادية ، تمهيداً لتجميع هذه الكتب فى مكتبة عربية فى أى قطر عربى ؟

● ترجمة بعض هذه الكتب ، مما يستحق الترجمة للاستفادة منها .

● قيام بعض شبابنا من الأدباء والباحثين بالتصدى لخوض مظان البوادى العربية واستقصاء ما فيها من أدب وقصص وتراث شعبى ؟

إننى أهيب بمجلة الدوحـــة ، أن تتبنى هذا الاقتراح ، لاسيما وانها تصدر فى عاصمة دولة عربية فتية حريصة على المآثر العربية وما يعود بالنفع الفكرى أو المادى أو المعنوى على الانسان العربى بين المحيط والخليج ، واهيب بكل قارىء عربى يسترعى اهتمامه هذا الموضوع ان يتفضل بالرأى والمشورة فى كيفية تحقيق هذا الأمل ، وذلك بالاتصال بمجلة الدوحة .

درويش مصطفى الفار

رسائل غير عادية

إليك أيها العربي

بقلم : معـــــروف رفيـــــق

اخي العربي .. سلام ارق من نسائم جبل لبنان ، واحلى من حلاوة رمان الطائف ، والذ من لذاذة المانجا المصريـــة .. واطيب من طعم الفستق الحلبى ، وأشهى من منّ السما العراقى ...

سلام ممزوج بعبق الكرمة فى الخليل ، وعسل النحل فى جبال الجليل ، وماء بردى فى غوطة دمشق ....

وبعد السلام ياأخي العربي ، أرجو ان احيطك علماً ، بان عناية الله ، قد اختصت أرض امتنا بالديانات الثلاث ، فجعلتها ارضا مقدسة مباركة ، منعمة بالخيرات والثمرات ..

وإذا كـــان الاستعمـــار ، قـد قسم أرض العروبـــة والاسلام ، فجعل من المشرق الواحد مشارق ، ومن المغرب الواحد مغارب ، وجعل من أمتنـــــا شعوبا تخوض فى بحر لجي متلاطم الأمواج ، تاهت زوارقه ، ولهثت انفاسه وراء شراع النجاة ، وخشبة الحياة .. فان الاستعمار قد رحل ، ولا ملامة على راحل ، وعليك يا اخى تقع الملامة الآن ، وعليك تقع مسئولية لم الشعث وجبر ما انكسر ...

لقد مات « سايكس » ورحل « بيكو » الى الأبد ، مضى عليهما وعلى اتفاقيتهما اكثر من ستين عاماً .. فلماذا لا تخلع الفواصل عن الحدود المصطنعة ؟ ولماذا لاتجتث أشجار الكراهية المزروعة فى النفوس والصدور ؟

— لقد رحل الاستعمار وبقيت له الظلال ... وانت وحدك يا اخى ، المسئول عن اقتلاع آثاره السيئة ، وفكره المسموم ..

عناية الله ارادت لوطننا الكبير ، أن يكون ذا خير وبركة ، غنياً فى روحانيته غنيا فى خيراته وماديته ، فمتى تتشابك الأيدى ولا تشتبك ؟ متى تصفو النظرة وتصفو الرؤية الشمولية ؟..

متى يا اخى تنقشع من سماء الوطن الكبير ، نذر الهزيمة وبوادر السقوط الحضارى ؟.. أما الاستعمار ، فقد لعناه سراً وجهراً وفى كل كتاب ... رحل وبقيت ظلاله .. فلنمح تلك الظلال بالارادة والعمل الذى لا يتوقف ..

ولتكن ياأخي مدارسنا طريقا الى المجد ، ولتكن إرادتنا سلماً الى التطوير والتحديث .. ولنبدأ البناء الذاتى ..... فما حك الجلد مثل الظفر .. ولا بدد الظلام مثل النور ، ولا قتل التخلف مثل الارادة ..

فى الوقت متسع ، وفى الوقت فسحة امل .. فلا تياس ....

لأنه لا حياة مع الياس ... والى اللقاء ..

يهود معارضون للصهيونية

بقلم: عصام شريح



فالتسيا لا نغر

ليس المستشار النمساوي برونو كرايسكي هو اليهودي الوحيد المعادي للصهيونية ، إذ هناك يهود آخرون لهم مواقف مماثلة أو شبيهة بموقف كرايسكي من الصهيونية ، وهذا التناقض بين شخصيات يهودية بل واسرائيلية أيضا يكشف في الواقع عن مازق حاد تواجهه الحركة الصهيونية ، لأن هذا التناقض يعبر أولا عن حالة عقائدية متصادمة مع العقيدة الصهيونية ، وثانيا لأن هذا التناقض مرشح لأن يكبر ويتحول الى التعبير عن نفسه بأساليب أخرى غير أسلوب الاحتجاج اللفظي ، وخاصة اذا عرف العرب كيف يغرقون «اسرائيل» بالأزمات في ظهر الأزمات ، تماما كما حدث في أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، وبذلك يصب «نضال» هؤلاء المستنيرين في المجرى التاريخي السليم ، الذي سوف يؤدي في النهاية الى وضع نهاية وخاتمة لما يسمى «بدولة اسرائيل» ، وقيام دولة فلسطين الديمقراطية العربية .

ونتناول هنا بالعرض آراء ثلاثة من هؤلاء اليهود المعادين للصهيونية ، اضافة الى طائفة «ناطوري كارتا» السلفية .

يوري أفنيري

كان أفنيري الذي هاجر الى فلسطين المحتلة في عام ١٩٣٣ ، قادما مع أبويه من المانيا ، كان صهيونيا متحمسا ينظر الى فلسطين باعتبارها «أرض الأجداد» ، وكان قتل العرب والقاء المستعمرين الانجليز خارج فلسطين هو الأسلوب الوحيد الذي يلقى قبولا عنده ، لكن أفنيري بدأ يسير في طريق مختلف بعض الشيء منذ تركه منظمة الارغون الارهابية إثر انشقاق حصل فيها ، وفي الشهور القليلة التي سبقت قيام اسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة في عام ١٩٤٨ ، انشأ منظمة سياسية صغيرة جعل لها هدفا هو اقامة «جبهة سامية» تشمل العرب واليهود ، وتقود نضالا مشتركا هدفه توحيد «المنطقة السامية» !

والمهم ان أفنيري بدأ يطرح أفكارا غير مألوفة بالنسبة للصهاينة ، ويصف نفسه بقوله انه تحول بعد قيام اسرائيل الى «داعية تفاهم مع العرب» . وكان لاصابته بجرح غير خطير في حرب عام ١٩٤٨ في جبهة سيناء ، اثر بالغ كما يقول في حياته ، حيث ترك الجيش بعد ذلك وتفرغ للعمل السياسي بعد أن اشترى امتياز صحيفة مايزال يصدرها حتى الآن هي «هعولام هزه» (هذا العالم) ، لكن أهم انتاج فكري له كان كتابا نشره في عام ١٩٦٨ تحت عنوان : «اسرائيل بلا صهيونية» .

ومن خلال قراءة أفكار وآراء أفنيري يتضح أن هذا الصهيوني القديم ، أو اليهودي المعادي للصهيونية ، قد اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيوني أفكار وهواجس مختلفة ، تصب كلها في محاولة البحث عن تسوية للصراع العربي ـ الصهيوني ، ترضي العرب !! ولا تمس اسرائيل بكيانها الذي كان قائما قبيل حرب عام ١٩٦٧ .

ولهذا نلحظ ان أفنيري يحاول تقليص الصراع من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة في نهاية المطاف ، الى ترتيبات هامشية ، تمنع التمدد الصهيوني السرطاني في الأراضي العربية ، وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ليقيموا عليها دولة فلسطينية الى جانب «الدولة اليهودية» ، على أن يتعايش «الكيانان» ضمن صيغة سلام مدونة . ويقول أفنيري في هذا الصدد : «إن المناعة القومية في البلاد تتحقق بايجاد دولتين : «دولة



البروفسور يسرائيل شاحاك

اسرائيل» ودولة فلسطين ، على أن تكونا مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى اسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل» !

لكن النقطة الحاسمة فى تفكير أفنيرى هى دعوته «دولة اسرائيل» لأن تصبح «جزءا لا يتجزأ من منطقة شرق آسيا وشمال أفريقيا» — أى المنطقة العربية — ثم تحديده الهدف الأساسى للجيل الحالى فى اسرائيل «بضمان الاندماج فى المنطقة كشريك مستقل ومتساو فى الجسـم السـياسى والاقتصادى لهذه المنطقة المتعددة القوميات» !! كما أن أفنيرى يكمل فكرته المتقدمة عن الاندماج ، بدعوة اسرائيل «الى التجاوب بشكل مبدئى مع رغبة العالم العربى فى التحرر القومى والتقدم الاجتماعى والنمو الاقتصادى» ، ويقول فى موضع آخر ، أن «على دولة اسرائيل ألا تمد يد المساعدة الى أى جسم عالمى أو من المنطقة يهدف الى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة فى كنوزها الطبيعية ، أو الى استعبادها للمصالح الاستعمارية أو الراسمالية»

العقدة الصليبية

فى ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز أفنيرى على اعتبار اسرائيل جزءا لا يتجزأ من المنطقة العربية ، ودعوته إياها الى الاندماج فيها ، يطرح السؤال التالى: لماذا هذا الالحاح على مسالة الاندماج فى المنطقة لدى أفنيرى؟؟ وما هى رؤياه فى هذا النطاق ؟

فى الحقيقة تشكل العقدة الصليبية منعطفا حاسما فى تفكير أفنيرى . فهو يخشى أن يكون مصير اسرائيل فى نهاية المطاف كمصير الدولة الصليبية قبل حوالى ثمانمائة سنة أو أكثر ، وإن كان يحاول استبعاد هذه الكاس المرة عن اسرائيل بالاشارة الى فرضية تقول ان التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمى أو بصورة ميكانيكية .

لكن القلق يبدو واضحا فى كلام أفنيرى وهو يروى العبـر التـى استخلصها من قراءته لكتاب «ستيفان رونسيمان» بعنوان «تاريخ الحملات الصليبية» ، ويقول انه وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين مقابل قطاع غزة ، والهادفة الى حماية «ممتلكاتهم» !! من العرب ، أصيب باضطراب شديد ، بسبب تفكير اسرائيل فى احتلال نفس المواقع عندما كان هو نفسه جنديا فى الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٤٨ .

ويضيف انه خلال قراءته لكتاب «رونسيمان» هذا ، كانت تبرز أمام ذهنه مئات التشابهات الصغيرة والكبيرة ، حتى بين الشخصيات الصهيونية المعاصرة ، وتلك الصليبية البائدة ، ويقول متسائلا : أى اسرائيلى يا ترى يطابق أمير الجليل الصليبى ، ومن هو الاسرائيلى الذى يشبه أمير الأردن الصليبى .. «إن التشابه مثير للغاية» .

ويقتبس أفنيرى عن «رونسيمان» فكرته القائلة بان الخطا الاستراتيجى الذى وقع فيه الصليبيون إنما يكمن فى اعتمادهم على الامدادات المالية والتبرعات اضافة الى الهجرات من الغرب ، فى حين كان عليهم ان يقيموا قاعدة اقتصادية مستقلة فى الشرق ، وذلك لم يكن بالامكان تحقيقه إلا بالتفاهم مع جيرانهم ، وهو أمر اخفقوا فى تحقيقه تماماً ، فكانت لهم تلك النهاية المفجعة .

لقد تلقف أفنيرى هذه الفكرة ، وطلع بنظرية اندماج اسرائيل فى المنطقة ، ظناً منه أنه يتحاشى بذلك الخطا المميت الذى وقع فيه الصليبيون .

ولعل ما عزز هذه الفكرة لدى أفنيرى ، انه لمس أن هناك عاملين أساسيين قد لعبا دورا حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى واندثار الدولة الصليبية ، وهما : الرفض العربى لشرعية الاحتلال ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع إلا معاداة العرب والتحالف مع الغرب — أوروبا . وفى هذا الاطار يلاحظ أفنيرى أن وضع اسرائيل منذ قيامها شبيه تماماً بوضع الدولة الصليبية فى هذه الناحية .

يسرائيل شاحاك

أما الشخصية الثانية المعادية للصهيونية والتى سنستعرض آراءها فيما يلى فهى «البروفسور يسرائيل شاحاك» . وشاحاك هو من مواليد وارسو عاصمة بولندا فى عام ١٩٣٣ ، وقد عاش فى ظل النازية من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ ، وامضى سنتين فى معسكر اعتقال نازى ، وهو متخصص فى

يهود معارضون للصهيونية


يورى افنيرى

الكيمياء العضوية وحصل على الدكتوراه فيها ، ثم تابع دراسات اضافية فى جامعة ستانفورد بكليفورنيا بالولايات المتحدة ، وعاد الى الكيان الصهيونى ليحصل على لقب «أستاذ» فى الجامعة العبرية بالقدس المحتلة .

بدأ نشاطه مدافعاً عن حقوق الانسان فى عام ١٩٦٨ ، وفى آذار (مارس) ١٩٧٠ انتخب رئيساً «للرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان» وكانت هذه الرابطة قد تأسست فى عام ١٩٣٥ تحت شعار الدفاع عن الحقوق الانسانية لليهود والعرب . ومنذ بدأ البروفسور شاحاك نشاطه فى حقل الحقوق الانسانية بدأ يلاقى اضطهاداً منظماً فى كل مكان ، وبالرغم من انه يصل احياناً الى حافة اليأس من امكان احداث تغيير فى مفاهيم وسلوك يهود اسرائيل نحو الفلسطينيين العرب ، فانه يبدو مصراً غاية الاصرار على المضي قدماً فى مهمته كمدافع عن حقوق الانسان العربى فى الكيان الصهيونى والأراضى العربية المحتلة .

على صعيد الاضطهاد الذى يلاقيه شاحاك يومياً ، يلقى ذلك فى الصحافة الاسرائيلية التى لا تتوقف عن مهاجمته دون ان يعطى حق الرد على «التهم» المنسوبة اليه ، وليس هناك شك فى ان التركيز الاعلامى فى الصحف الاسرائيلية (جميعها تقريباً) وتكرار الشتائم ضده والدعوة الى قتله احياناً وطرده من اسرائيل احياناً أخرى ، هو تصرف موحى به رسمياً من قبل السلطات العليا الاسرائيلية ، وكمثال على ذلك كتبت احدى الصهيونيات المتزمتات فى صحيفة «الجيروزاليم بوست» تقول : «إذا كانت الجامعة العبرية فى القدس تسمح لأساتذتها بالاشتراك فى مؤتمرات منظمة التحرير الفلسطينية ، فانه يتوجب علينا ان نتساءل فيما إذا كنا نرغب فعلاً فى استمرار هذه الحرية الأكاديمية ، إن شاحاك يتصرف كمجنون ، بل لابد انه مجنون فعلاً» .

وتضيف «الجيروزاليم بوست» متسائلة : ماذا نفعل بهذا الاستاذ البائس ؟ وهل ندخله المستشفى ؟ هل نستعمل ضده قليلاً من الارهاب ؟ لماذا يبرر الارهاب ضدنا ؟ اليس من الأفضل ان نضع طرداً ملغوماً امام منزله ؟

اما الأطفال ، فهم يجتمعون امام باب منزله ليوجهوا اليه شتائم واهانات مختلفة ، والصراخ عالياً : «شاحاك فتح» .. «شاحاك خائن» . ومن الشتائم التى توجه ضده ، أن يصرخ احدهم : لماذا وجه شاحاك مشوه ؟ (والمعروف ان وجه شاحاك اصيب بحروق خلال احدى تجاربه الكيميائية فى المختبر) ، وتجيب المجموعة : لأن وجه شاحاك انتاج عربى !!

آراؤه

يصر شاحاك على أن المؤسسة الصهيونية سواء تمثلت بحزب الليكود او حزب العمل ، ذات موقف عنصرى ثابت ، بل انه يتهم اسرائيل بكونها دولة نازية . ويقدم شرحاً ضافياً عن عنصرية اسرائيل وسلوكها النازى نحو العرب (عرب ١٩٤٨) نقتطف منه ما يلى : على الرغم من الوضع فى المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) سيء للغاية ، فان المساس بحقوق الانسان والتفرقة العنصرية والعرقية فى «اسرائيل نفسها» متأصل بشكل اشد ، واذكر هنا بعض الأمثلة : ان أكثر المشكلات اهمية فى «اسرائيل» هى مشكلة الأراضى ، فالأراضى العمومية هى اسرائيلية بصورة قانونية ورسمية ، وهى ليست مخصصة لفائدة مواطنى او سكان اسرائيل بل لفائدة واستخدام اليهود فقط ، لذلك تجرى ادارتها من قبل مؤسسة الكيرن كاييمت (الصندوق القومى اليهودى) ، ووفقاً لذلك توجد فى اسرائيل مدن كاملة مثل كرمئيل والناصرة العليا وحاتسور وعراد وغيرها ، لا يمكن لمن هو ليس يهودياً أن يسكن فيها ، او يزاول اى عمل بها . وفى مدن أخرى توجد احياء مثل حى «رامات اشكول» فى القطاع الشرقى من القدس ، حيث يمنع بشكل قانونى على من كان غير يهودى أن يشترى مسكناً فيه ، واستخدم عبارة «من كان غير يهودى» عن قصد ، رغم أن المتضررين الأساسيين هم الفلسطينيون بالطبع ، وافعل ذلك لسببين : أولاً : لأن هذا المصطلح فى اسرائيل هو مصطلح قانونى ، حيث كل شيء هنا مقسم ومصنف الى يهودى وغير يهودى ، وثانياً : لانه يتوجب على الفلسطينيين أن يعرفوا ان هذه التفرقة العنصرية موجهة ضد كل من هو ليس يهودياً ، وهى جزء مما يسمى الطابع اليهودى «لدولة اسرائيل» ، وبالطبع فانا اعرف ان هذه الأراضى التى يستخدمونها ضمن تعريف عنصرى كما فى جنوب أفريقيا ، قد سلبت بالأساس من الفلسطينيين» .

ويمضى شاحاك قائلاً : «إن المشكلة الثانية فى «دولة اسرائيل» هى مصطلح «هتيشبوت» والترجمة الفعلية لهذا المصطلح هى «استيطان» ، فحكومة اسرائيل توصل مثلاً الكهرباء والماء وتشق الطرق الى كل مستوطنة يهودية جديدة قبل أن يدخلها المستوطنون . فى

حين ان معظم القرى العربية تفتقر لتلك الخدمات ، وإذا توفرت فى احدى القرى العربية ، فهى قد اقيمت باموال سكانها العرب ـ ومن يعرف اللغة العبرية يعلم ان الاسرائيليين لا يقولون ان «عربياً يستوطن أو عربى مستوطن» ، بل يقولون «عربى يسكن ، لأن ذلك عندهم امر مؤقت ، وبنفس الأسلوب يعلمون الأطفال الاسرائيليين ما يسمونه «بطهارة الأرض» ، وتعنى هذه العبارة ان كل قطعة ارض يملكها من هو غير يهودى (عربى) تعتبر غير مطهرة بعد ، ولا تصبح طاهرة إلا عندما تنتقل ملكيتها الى شخص يهودى ، وجدير بالذكر ان الاشتراكيين والراسماليين بين الصهاينة يعترفون بهذا المبدأ ، واى اشتراكى صهيونى ، وحتى الأكثر يسارية ، يردد ذلك عن اى حقل كان يملكه فلاح فلسطينى فقير ، وانتقلت ملكيته الى مليونير يهودى» .

ويمضى شاحاك فى ايراد عشرات الأمثلة على التمييز العنصرى المطبق ضد العرب فى الكيان الصهيونى ، وليس اخرها منح اى يهودى او متهود فى العالم حق الهجرة الى اسرائيل واكتساب جنسيتها حالا ، اضافة الى تقديم مسكن وقرض كبير اليه واعفاء من ضريبة الدخل لمدة ثلاث سنوات .. الخ فى حين يمنع على اى فلسطينى ان «يجمع الشمل» مع احد افراد عائلته ، او حتى اذا تزوج من خارج اسرائيل ، فيمنع عليه احضار زوجته !! والهدف من كل ذلك هو خفض عدد العرب فى الكيان الصهيونى بقدر المستطاع ، وهذا بحد ذاته تصرف عنصرى .

ويحذر شاحاك اخيرا ، من ان اسرائيل قد تشعل حرباً خامسة فى المنطقة بهدف الاستيلاء على بعض منابع النفط العربى ، ويقول ان اسرائيل تطمع فى الاستيلاء على الكويت بالتحديد (مجلة الحوادث اللبنانية بتاريخ ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٨٠) .

فالتسيا لانغر

أما النموذج الثالث بين المعادين للصهيونية من اليهود فهو المحامية الاسرائيلية فالتسيا لانغر ، التى اخذت على عاتقها منذ سنوات طويلة (فى

المؤسسة الصهيونية ذات موقف عنصرى ثابت

اعقاب حرب ١٩٦٧) الدفاع عن المعتقلين العرب ، وهناك محامية يهودية أخرى انضمت الى لانغر فى هذه المهمة هى «ليئا تساهل» .

تقول السيدة لانغر «دفاعا» عن مهمتها فى الدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين انها مؤمنة بحق الشعب الفلسطينى فى أن تكون له دولة مستقلة اولا ، لأن موكليها يحاربون المحتلين لاراضيهم ، وتضيف ان من حق الشعب المضطهد والواقع تحت الاحتلال الأجنبى ، أن يقاتل المحتلين بكل الوسائل المتوفرة لديه بما فيها اسلوب العنف ، وهى لذلك تطالب باعتبار المناضلين الفلسطينيين الذين يقعون فى اسر الاسرائيليين ، اسرى حرب .

وتقول السيدة لانغر انها كانت تضع مسئولية اعمال العنف التى يلجا اليها الفدائيون الفلسطينيون على سياسات الحكومة الاسرائيلية ، لأن هذه الحكومة ترفض الاعتراف بشرعية النضال الفلسطينى ضد الاحتلال .

وتقول المحامية لانغر ان عملها فى الدفاع عن المعتقلين العرب هو عمل مكروه فى اسرائيل ، وتبرر قيامها بمهمتها بالقول انها تفعل ذلك بسبب معتقداتها السياسة (كيسارية) ، ثم بسبب فهمها وايمانها بمبادىء القانون ، ولكى يعرف الأطفال الفلسطينيون بأن فالتسيا لانغر تساعد آباءهم وامهاتهم ، وتصف عملها بانه نوع من الجسور الى السلام بين الاسرائيليين والعرب . (مجلة نيوزويك الاميركية ـ تموز (يوليو) ١٩٧٨) .

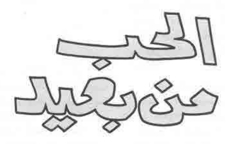
طائفة ناطورى كارتا (حراس المدينة)

تعارض هذه الطائفة التى تعيش فى «بنى براك» قرب تل أبيب وفى حى «مى شعاريم» بالقدس المحتلة ، تعارض الصهيونية وتقاومها بشكل شرس ، وترجع معاداتها للصهيونية الى معتقداتها الدينية القائلة إن «اسرائيل» كدولة لن تقوم إلا عندما يأتى المسيح ليخلص «الشعب المختار» من آلامه ويقيم له دولته ، اما اقامة الدولة على أسس سياسية او غيرها فهو عمل مخالف لتعاليم الدين اليهودى وللتوراة نفسها .

وقد طالب ابناء هذه الطائفة «الصغيرة العدد» بالانضمام الى الأردن قبل سنوات ، ولخص حاخام الطائفة «موشى ليب هيرش» مدى مقاومة طائفته للصهيونية السياسية بقوله : «لن نقبل بدولة صهيونية حتى ولو قبل العرب بها» وقد رفض اعضاء «ناطورى كارتا» منذ عام ١٩٤٨ ، أن يصبحوا مواطنيـن اسرائيليين ، وقد هددتهم السلطات الاسرائيلية بالغاء اعفاء طلاب المدارس الدينية الخاصة بهم من الخدمة العسكرية ، إلا أن هذا التهديد لم ينفذ حتى الآن . ويقوم انتقاد «ناطورى كارتا» للصهيونية ورفض الدولة اليهودية على اساس فهمهم لمعنى «اليهودى» :

«ولد الشعب اليهودى خلال تلقى الشريعة على جبل سيناء ، وان شريعتنا تبين لنا كيف يجب أن نتصرف كيهود فيما بيننا وتجاه الأمم» ـ هذا ما يقوله الحاخام أهارون كاتسينيلبوجن الزعيم الروحى للطائفة فى القدس ، والحياة كلها بالنسبة لهذه الطائفة اليهودية هى عبارة عن تقوى وورع ، والعيش وفقا للشريعة اليهودية هو فى نظرهم ما يجعلهم يهودا ، اما الصهيونية بالنسبة اليهم فهى ارتداد عن الدين اليهودى ، لانها بتوكيدها على الهوية القومية والعرقية لليهود تنسف أهمية الشريعة اليهودية ، ودولة اسرائيل فى نظرهم تدمر الحياة اليهودية عن طريق العلمنة لأن العلمنة تؤدى بدورها الى الاندماج . وتصر «ناطورى كارتا» على أن الحكومة الاسرائيلية لا تمثلهم ولا تمثل اليهودية ككل ، وهى تريد ان تقيم جبهة مشتركة مع العرب الفلسطينيين ، وهم يرحبون باقامة دولة علمانية فى فلسطين كما تقترح ذلك منظمة التحرير الفلسطينية .

عصام شريح



بقلم : عبـــاس خضـــر

نظرت إلي نظرة بليغة قالت لي بها كل شيء ،وعززتها بابتسامة فصيحة كان من فصاحتها ثنايا مرصوفة باقية برغم تقدم العمر ، وأكدت ذلك باستبقاء يدى فى يدها مع ضغطة خفيفة ..

وماذا قالت تلك النظرة ؟

لم تتلجلج ، ولم تفافيء ، ولم تثاثيء ، كما يفعل اللسان ... لم تقل : لا أدرى كيف اقول ومن اين ابدا .. ولم تتلفظ بما يمكن ان يكون فيه ما تندم عليه ، او ما لا ينبغى قوله ، او كان غيره احسن منه ، او ... الخ .

بل قالت :

ـ لقد ذهب العمر هباء ، الى متى نظل نتجاهل ؟ انا احبك واعلم انك تحبنى ، ولكنا كتمنا الحب ، رأيناه اعظم من ان نبوح به .. كان الشباب قادراً على الكتمان المدل .. معتزاً بقوته . والآن الم تضعف مثلى ؟ لماذا لم تتزوجنى ؟ هل فكرت فى زواجى ؟ لو حدث ذلك لكنت الآن زوجتك .. زوجة المهندس وام اولاده ، يعيش فى المدينة ، كنت اصير «بندرية» بدلا من هذه الفلاحة زوجة الفلاح . طالما رأيتنى اسوق البقرة الى الموردة لأسقيها او اعود بها ، ابتسامتان خفيتان من بعيد . او صباح الخير من قريب .

● ● ●

كان قد جاء الى القرية فى إحدى زياراته ، وجاءت تسلم عليه كعادة الجيران التى جرى عليها أهل القرية ، تلبس جلبابا قاتم اللون محتشما ، وعلى راسها خمار اسود ، قد تغلف بطرفه يدها وهى تصافح رجلا غريبا ، ولكنها الآن لم تفعل . بل صافحته كانه ليس بغريب ..

احبها ، نعم صدقت . كانوا جيرانا ، وكانت الى هذا تذهب مثله وهما صغيران الى «الكتاب» مع الصبيان ، لكى يتعلموا ويقرءوا القرآن . ولم يكن يحب فى الكتاب غيرها . كان كل شيء هناك قاتما ، وكانت هى الاشراقة الوحيدة .

... وفجاة سمع امها تحادث امه ، جارتان تتحادثان ، كانتا تقولان : انها كبرت وصارت عروسا ، وستزف عما قريب !

خرطها خراط البنات ، فصار لها جسم الانثى الفاتن ، النهدان برزا ، والقوام يتثنى كالغصن الرطيب يحمل اشهى الثمر سياخذها العريس المحظوظ ، اما هو فما ابعد فكرة الزواج عن عالمه .. هو فى مثل سنها ، ليس للذكور خراط ، فمازال يبدو صغيراً ، وليس الزواج لعب عيال !

وربما كان تطلعه الى حياة اخرى فى المدينة يبعد عنه التفكير فى الزواج ببنت من القرية ، فالعقل هناك مع التقدم فى التعلم ، والوجدان هنا معها .

● ● ●

وهب انى تزوجتها ، تصور ذلك فقط ، انا لا استطيع ان اصنع «سيدتى الجميلة» كما تخيل صاحب القصة المشهورة والذين حاكوه او اقتبسوا منه .. لا استطيع صنع دجاجة فضلا عن امراة . دع عنك هذا ، فهو ليس فى الواقع ، ودع ما يقولونه عمن تزوج فتاة صغيرة : اخذها حتى يطبعها بطباعه ويعودها على عاداته . هذا كلام .. ومن يفعل يخدع نفسه قبل ان تخدعه الصغيرة !

وثانيا .. هل كان يمكن ان يتشرد قيس بن الملوح العامرى ويهيم فى الاودية والقفار وينشد الاشعار لو تزوج ليلى ؟ هل كان يصير مجنونا .. مجنون ليلى ؟

وهل كان قيس الآخر يموت فى حب لبنى لو لم يطلقها ! ارضاء لأبيه ، الذى جلس فى الشمس وابى ان ينتقل الى الظل حتى يطلق ابنه زوجته الحبيبة ...

وهل كان روميو يروح شهيداً للغرام لو تزوج جولييت ؟

هل كانت توجد اصلا تلك القصص لو صارت الحبيبة حليلة او استمرت زوجة ؟

فقط كنت تستريح من قراءة هذا «الهذيان» لو تزوجتها !

إذن فليحيى الحب من بعيد ..

وهكذا كان .. ظللت عمرى احبها .. اغذى القلب بطيفها غائبة ، ورؤيتها حاضرة ، وساظل كذلك ما بقيت الحياة .

ولحسن الحظ تزوجت فى الجيرة ، تخطر حاملة جرة الماء التى ملأتها من الترعة عائدة الى المنزل . وقد اذهب الى حيث تملأ الجرة كان الأمر صدفة .. واعاونها فى حمل الجرة ، واظفر بابتسامتها الشاكرة ..

واحيانا اراها تسوق بقرتها الى مورد الماء لتسقيها ، ما احلى بقرتها ! صفراء فاقع لونها تسر الناظرين !

واتذكر اياما من الطفولة ، اذ كنت اضع لها «قطرة» فى عينيها وهى لا تزال صغيرة لم يتكور فى صدرها شيء بعد .. كانت تضع راسها فى حجرى مستلقية وانا اسند الراس الجميل وأشحذ سهام العينين بسقيهما بالقطارة . وكانت تاتى الى طائعة عندما ازعم لها أن عينيها تحتاجان إلى قطرة ! لا اعبا بتهديد امى وانها ستبلغ ابى انى احضر زجاجة القطرة من مكانها والعب بها مع العيال .. مع البنات «يابتاع البنات» هكذا تقول امي وفى صوتها نبرة اعتزاز بى خفية !

وأياما من الشباب الأول إذ هى جالسة امام الفرن فى بيتنا تخبز .. كبرت ما شاء

الله .. ما احلاها وقد حسرت عن ساعديها ولم يبق على راسها الا المنديل «ابو اوية» . نسوة أخر يخبزن هكذا ، ولهن مثل ذراعيها البضتين ورقبتها البضة ، ولكن هى بالذات يشع منها – من جملتها – إشعاع لا يوصف .. ليس يشع من غيرها .

كانت قد عرفت أننا سنخبز . سنوقد الفرن . والخبر ينتشر بين الجارات ، فمنهن من تأتى – عند ما يعمل الفرن – حاملة فوق راسها طبقا كبيرا مسطحا مصنوعا من سعف النخيل ، فيه اقراص خبز الذرة الذى لا يسوغ اكله بارد ، فصاحبته تأتى لتجمره فى الفرن ، ومنهن من ترجو ان تضع فى الفرن بعد انتهاء الخبز قدرا من الفخار بها فول للتدميس ، ومنهن من تأتى ببعض العجين ترجو أن تخبزه ، وهكذا قالت نفيسة – اسمها – لأمى :

– صباح الخير يا خالتى أم على – اسمى على – هل يمكن أن اخبز عندكم قليلا من العجين ؟

– ولم لا يا بنتى ؟ تعالى اخبزى ، الفرن فرنك والبيت بيتك .

وأنا .. ما اسعدنى فى مثل هذا اليوم .. اجلس على «برش» هناك او بردعة حمار موضوعة الى جدار قريب من الفرن ، قد ينطلق لسانى بكلمة او أقول نكتة تبتسم لها نفيسة .. فأكاد اطير من الفرح !

غير مرة لم أفرح فيها ، بل على العكس شعرت بشىء من الانقباض .. عثرت على كتاب بيرم التونسى اسمه «سيد ومراته» وهو قصة مكتوبة باللغة العامية ، فيها حوار ظريف بين رجل وامرأته عائدين من باريس ، قلت فى نفسى : اقرؤه امام الفرن لاسمع نفيسة هذا الحوار الظريف ، وجعلت أقرأ ، ولكن راعنى قولها :

– ولماذا هذه الدردشة الفارغة بعد أن عادا من السفر ؟

هل تقصد انني اقرأ كلاما فارغا لا داعي له ؟ هذا ما تبادر إلى فهمي ، فشعرت بالانقباض .. وطويت الكتاب .

فكرت فى الأمر بعد ذلك ، فاستقر فكرى على أنها لم تقصد ، إنما هى حساسيه زائدة من جهتى ، ثم قلت فى نفسى :

– يا أخى ، وما الداعى لذلك ؟ تريد أن تقرأ شيئا افعل بينك وبين نفسك .

الواقع انى كنت غرا أو قل عبيطا بصريح العبارة ، اذ ظننت ان ما احبه لابد ان يحبه غيرى ..

بقيت هكذا مشغولا بحبها طول العمر ، انتشى بذكراها وطيفها وانا بعيد ، وأسعد برؤيتها وبحديثها وانا قريب .

لم انس حبها قط ، وان كان يغيب عنى فى فترات انشغل فيها بشئون الأولاد ، ومطالب الزوجة ، وهموم الوظيفة من حيث الترقيات والعلاوات والاحتكاك فى العمل بمن يحسد ويحقد ويناوىء .

وكان حب نفيسة واحة فى صحراء ، يأوى إليها فرارا من المتاعب والمشاغل ، فهي الظل الظليل الذى يعيد إليه سكينة نفسه ويشعل فى قلبه الشمعة الدائمة .

وفى خلال ذلك كبرت ، وصار لى شارب ، وجعلوا يخاطبوننى بعلى افندى ، فلم يعد لائقا بي أن اجلس على البرش عند الحريم امام الفرن .. واحيانا أعوض عن هذا بدعوة الى الشاى من زوجها فى بيته ، حيث تقدم هى لنا الشاى وتقول :

انستنا يا علي افندى ، لقد زارنا النبى !

– شكرا لك يا نفيسة ، سلمت يداك اللتان صنعتا هذا الشاى المضبوط .

والنساء فى قريتنا لا يحتجبن عن الرجال ، بل يكفى أنهن محتشمات يدنين عليهن من جلابيبهن .

● ● ●

جلس لاستقبال الرجال الذين توافدوا على «المندرة» يسلمون عليه .

ولما انفض الجمع دنا منه زوج نفيسة قائلا فى شبه همس :

– الحقنى يا على افندى ..

– ماذا جرى ؟

– نفيسة امرأتى !

قال وهو يكتم شعورا بالانقباض :

– مالها ؟

– غضبت وتركت البيت وذهبت الى بيت أخيها .

أفرخ روعه فقال فى شىء من الارتياح :

– هيه ...

– كنت اتفاهم مع ابيها الله يرحمه ، كان رجلا طيبا ، اما اخوها فقد قلت فى نفسى ليس له الا انت ، والحمد لله جئت فى الوقت المناسب .

عبـــاس خضر



بنفسجة للوطن

وَطنٌ :

وطنٌ مُستطاعٌ .. ونهرٌ مُطيعٌ

بَلدةٌ :

بَلدةٌ عِدّةٌ .. وقَطيعٌ جَميعٌ

وَرْدةٌ :

وردةٌ فَرْدَةٌ .. وأَريجٌ أَجيجٌ

ومَاءٌ فُراتٌ وَماءٌ خليجٌ

وكونٌ مزيجٌ



وَردةٌ .. آهِ ما أنتِ منْ وردةٍ !

بلدةٌ هجدةٌ

سَجدةٌ مُدّةٌ وهُجُودٌ وجُودٌ

وناسٌ مصلون.. ناسٌ حجيجٌ

وحزنٌ بهيجٌ

وَردةٌ : وَرْدتانْ

اللّغاتُ : اثنتَانْ

فَأُولَى تخُونُ

وأُخرى تُخَانْ

والشُّجاعُ : الجبانْ

تُخْجِلينَ المهَاةْ

حينَ تَبدينَ فى خُيَلاءِ الهَواءِ

.. وفي شفتيكِ ندى البُرْعُمِ

تحتمينَ بأوجِ المسافةِ ، والذّكرياتِ

شعر: حسن طلب

فلا تختمي
يا بنفسجتي المشتهاه
واسلمي
إنما أنت لي زهرة
زهرة كثرة .. وأثير عبير
ومنظومة حرة
أنت لي لغة مصطفاه
ومواويل مأمورة بالبكاء
وشعر أمير
وأنت شجى بالغ منتهاه

تشبهين الوطن
حين تزهر في اسميكما وردة من دمي
وردة شدة .. وقصيد رصيد
فلا تندمي

يابنفسجتي المبتلاه
إن ميعادنا لم يحن

بلدة .. أو ما أنت من بلدة !
يابنفسجتي المرتجاه
أنت لي وردة فردة
وأريج مزيج
وليس كجاهك في القلب جاه
فالنجاة .. النجاه

وردة : بلدتان
المدى والأوان
فيك يجتمعان
وعقيق الزمان
أينما كنت كان
بلدة : وردتان

وردة : وردتان
الهوى : هيلمان
صحوه مهرجان
ليله معمعان
والمعين : المعان

بلدة هجدة عدة
وردة فردة سدة
سجدة مدة
شدة
حدة
صهدة
رعدة رعدتان
....
الأمان .. الأمان







بقلم الدكتور أحمد عثمان

كثيرة هي المسلمات التى ينبغي ان نعيد النظر فيها ، ومنها القول بأن التاريخ يحفظ الحقائق دون سواها . فهذا القول ـ وإن صح فى مجمله ـ يغفل حقيقة اخرى ملموسة وهي ان التاريخ حفظ لنا أيضاً بعض الأكاذيب . والصورة التاريخية التقليدية لكليوباترا السابعة (٧٠/٦٩ ق.م ـ ٣٠ ق.م) ملكة مصر واخر الملوك البطالمة هي اكذوبة كبرى . ولقد توارث المؤرخون والأدباء هذه الصورة جيلا بعد جيل وصرنا لا نرى فى كليوباترا سوى امراة لا تجيد سوى فنون الهوى ونسي المؤرخون والأدباء ان هذه الصورة التقليدية لكليوباترا ـ اعني هذه الأكذوبة الكبرى ـ هى من صنع اجهزة الاعلام الامبراطورية المغرضة فى روما . فكليوباترا هى التى تحالفت مع انطونيوس ووقفت فى وجه امبراطور روما اوغسطس فاوعز الاخير الى الدوائر الأدبية الرومانية بشن هجمة دعائية لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل على كليوباترا الملكة الشرقية المتمردة . ولقد قاد هذه الحملة الاعلامية فرجيليوس امير الشعر اللاتينى وكذا هوراثيوس وبروبرتيوس، ثم جاء بلوتارخوس وواصل الحملة مع بقية مؤرخى وادباء الامبراطورية الرومانية . وسنترك أمر تفنيد هذه الادعاءات والافتراءات الرومانية الى دراسة مفصلة لا يتسع لها المجال هنا ، ويهمنا الآن التنويه الى أن اليهود لم يتركوا هذه الفرصة السانحة فقد ساهموا مساهمة فعالة فى الحرب الاعلامية الرومانية وشاركوا فى تشويه سمعة كليوباترا .

هذا المؤرخ المغرض

كان نيكولاوس الدمشقى (المولود حوالى ٦٤ ق.م) مربيا لابناء كليوباترا ، ثم ترك خدمتها وانضم الى حاشية الملك اليهودى هيرود (هيروديس) الكبير (حوالى ٧٣ ق.م ـ ٤ ق.م) . ونشر نيكولاوس الدمشقى هذا ترجمة ذاتية بالاضافة الى سيرة تمجيدية لشباب اوغسطس وتاريخ عالمي فى مائة واربعة واربعين كتاباً يبدأ من اقدم العصور وينتهى بموت الملك اليهودى سالف الذكر . ولقد وصف بالتفصيل الأحداث التى عاصرها وعاشها بنفسه مما يعطى لكتاباته اهمية كبرى لا يعوضنا عن فقدانها سوى ما اقتطفه منها المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس (٣٧ / ٣٨ م ـ ١٠٠ م) .

ولقد الف هذا المؤرخ اليهودى كتاباً بعنوان «عن الحروب اليهودية» نشر عام ٧٤ ـ ٧٩ م . وله مؤلف آخر بعنوان «الآثار اليهودية» نشر عام ٩٣/٩٤ م . فى عشرين جزء . ولقد ضمن فلافيوس يوسيفوس الكتابين معلومات قيمة عن علاقة كليوباترا بالملك اليهودى هيرود الكبير . وبادىء ذي بدء كيف يمكن الاعتماد على رواية هذا المؤرخ الذى استمد معلوماته فى غالبيتها من مذكرات الملك اليهودى نفسه ومن نيكولاوس الدمشقى الحاقد على كليوباترا بعد أن فقد شرف خدمتها فصار من اخلص أتباع هيرود ؟ . وإذا اردنا ان ندلل على انحياز المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس انحيازاً تاماً لسيده ملك اليهود هيرود فلن نفعل اكثر من الاشارة الى مقالة بعنوان «فى الرد على ابيون» وفيها يهاجم هذا المؤرخ ويفند الآراء «المعادية للسامية» ـ إن صح التعبير ـ لدى مختلف الكتاب القدامى من القرن الثالث ق.م الى أبيون الذى تحمل المقالة اسمه وهو اغريقى متمصر عاش فى الاسكندرية ثم رحل عنها الى روما أيام الامبراطور

تيبريوس (١٤ م ـ ٣٧ م) وظل هناك حتى عصر كلاوديوس (٤١ م ـ ٥٤ م) . بقي أن نعرف سر هجوم فلافيوس يوسيفوس على أبيون : لقد نسب الى أبيون مقالا يمتدح فيه كليوباترا وينتقد اليهود ! فما كان من فلافيوس يوسيفوس إلا أن اتهمه بمعاداة السامية لأنه شايع كليوباترا . والسؤال الآن ماذا سيفعل هذا المؤرخ بكليوباترا نفسها ؟

لقد غطت توسعات كليوباترا فى الأرض ـ بفضل هدايا حليفها وعشيقها وزوجها انطونيوس ـ مساحات شاسعة من منطقة الشرق الأوسط كما نسميها الآن . لقد ارادت هذه الملكة ان تحيي الامبراطورية البطلمية التى اسسها جدها بطليموس الأول المنقذ (حوالى ٣٦٦/٣٦٧ ـ ٢٨٢/٢٨٣ ق.م) . وهى امبراطورية ضمت أجزاء كبيرة من سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن ـ كما تسمى هذه المناطق الآن ـ بل وشملت أجزاء من آسيا الصغرى . وهذه الممتلكات التى استعادت كليوباترا معظمها غطت مناطق غنية بالغابات التى استغلت كمصدر اساسى للأخشاب فى عصر البطالمة الأوائل بل ومنذ العصر الفرعونى . ومن هنا نفهم حرص كليوباترا على ضم هذه الأراضى من ناحية ومدى اهمية أن تمتلك مصر هذا العمق الاستراتيجى اللازم لبناء الأساطيل من ناحية أخرى . ويمكن ايضاً أن نتفهم لماذا وهب انطونيوس هذه الأراضى الى كليوباترا فلقد اراد ان تلعب مصر باساطيلها القوية دور الشرطى فى شرق البحر الأبيض المتوسط حيث توفرت لدى مصر القوة البشرية والخبرة الملاحية ولم يكن ينقصها سوى الأخشاب وها هو انطونيوس يسد هذا النقص .

ما يهمنا الآن ان كليوباترا اخذت بعض الأراضى من ممتلكات هيرود ملك اليهود ، وكانت علاقاتها بهذا الملك من قبل مثار ضيق وحرج لأنطونيوس . فبعد أن كانت الملكة المصرية على علاقات ودية معه تغير الحال وصارا



كليوباترا : تناولتها اقلام الكتاب في العالم بالدراسة .. وايضا كاميرات السينما وخشـــبات المسرح .



عدوين لدودين . ذلك انه بعد ان كان هيرود أميرا مناضلا فى المنفى أصبح الآن حاكماً فى جيروسالم (القدس) وهو المركز الذى جعله يمثل العقبة الكئود امام طموحات كليوباترا فى احياء الامبراطورية البطلمية . وبالمنح التى وهبها انطونيوس الى كليوباترا أصبحت الملكة المصرية تحكم أراض تحوط بالمملكة اليهودية من كل جانب مما دفع هيرود الى أن يحصن حدوده الجنوبية خوفا من وقوع غزو مصرى مفاجىء .

أما انطونيوس فقد تنازعه هدفان اراد ان يحققهما فى وقت واحد . إذ كان يزمع توسيع ممتلكات حبيبته وحليفته المصرية ولكنه بنى سياسته الشرقية على أساس قيام دولتين قويتين لا دولة واحدة إحداها مصر والأخرى تحت حكم هيرود . ويبدو ان المملكة اليهودية كانت تمثل بالنسبة له وفى حروبه القادمة سنداً قوياً وإلا فلماذا بذل جهوداً مضنية فيما بين (٤٠ و ٣٧ ق.م) ليجلس هيرود على عرش جيروسالم (القدس) ؟ خلاصة القول ان انطونيوس لم يكن على استعداد لأن يضحى بالمملكة اليهودية من اجل عيون كليوباترا التى حاولت ذلك مراراً بالعتاب اللين حيناً وبالتضرعات العاطفية احيانا ثم سعت بعد ذلك جاهدة بالسياسة والمكر وذهبت كل مساعيها سدى .

بيد ان انطونيوس قد أجبر هيرود على تقديم بعض التضحيات وأولها ان يتنازل عن الشريط الساحلى لمملكته . ذلك أن يوليوس قيصر كان قد أعطى لليهود ميناء جوبا وهو الميناء الذى يسلمه انطونيوس الآن الى كليوباترا مع بقية المدن الساحلية المجاورة باستثناء «عسقلون» التى بقيت مستقلة و «غزة» التى تركت لهيرود لتكون المخرج البحرى الوحيد لمملكته . وبذلك أصبح ساحل البحر المتوسط الشرقى حتى اقصى شمال لبنان الحديثة ملكاً لكليوباترا . ولكن الذى حز فى نفس هيرود بصفة خاصة هو انه خسر بساتينه التى كانت تدر عليه اموالا طائلة . وهى بساتين تقع على مسافة ليست ببعيدة عن النهاية الشمالية للبحر الميت وتضم اشجار النخيل التى تنتج على مستوى اقتصادى مرتفع اجمل والذ انواع البلح المعروف فى العالم . وبها ايضا مزارع البلسم والذى كانت اسعاره مرتفعة جدا لانه كان يستخدم كعطر سحرى ودواء طبى ، يعالج الكثير من الامراض ، ولقد تم التوصل الى ترتيبات معينة يستاجر بموجبها هيرود من كليوباترا هذه البساتين التى ضاعت منه على أن يدفع مبلغا معينا من المال كل عام . ولقد كان هيرود سعيدا بهذه الترتيبات الى اقصى حد فاخشى ما كان يخشاه حينئذ هو ان يتدفق الرسميون المصريون الى هذه المنطقة الغنية التى لم تكن تبعد عن جيروسالم سوى خمسة عشر ميلا . وجدير بالذكر أن كليوباترا كما يروى اخذت بعض الشتلات من شجيرات البلسم لكى تزرعها فى هيليوبوليس بمصر الوسطى !

وبامر من انطونيوس قدم العرب النبطيون (أو الأنباط) ايضا بعض التنازلات فى الأرض الى كليوباترا . ولقد كانت دولتهم هى أكبر دولة عربية موجودة فى تلك الأونة . كما انها لم تك تابعة للرومان بصفة واضحة وإن كانت تعتمد عليهم كثيراً وتخضع لنفوذهم . كانت أراضى هذه الدولة العربية تضم الأردن الحديث ثم تمتد جنوبا على ساحل البحر الأحمر فتشمل خليج العقبة وأجزاء من شبه جزيرة سيناء . وربما كانت كليوباترا تطمع فى ضم أراضى هذه الدولة برمتها الى ممتلكاتها ولكنها على اية حال لم تنل سوى قطعة صغيرة فى أقصى جنوب البحر الميت .


كليوباترا

واهم من ذلك انها حصلت على امتياز استغلال القار (أو الحمر) الذى كان يطفو على سطح هذا البحر ويستخدم كعقار طبى ، وكمادة حافظة ، ومبيد حشرى ، وملاط للبناء . وتم التوصل الى ترتيبات معينة تسمح للعرب النبطيين باستغلال القار نظير ايجار سنوى يدفعونه الى كليوباترا . ولكن هيرود ملك اليهود الذى لم تغمض له عين منذ فقد بساتينه الغنية راى أن يعوض خسائره فتقدم بعرض بارع فيه كثير من المكر والدهاء . لقد عرض ان يكون الوسيط بين العرب وكليوباترا أى ان يكون هو المسئول عن المبالغ التى يدفعها العرب النبطيون لكليوباترا . ومع أن هذه المهمة تعرضه لكثير من المتاعب إلا انها تمثل ضربة لعصفورين بحجر واحد . حقا انه كان مرتبطاً بملوك العرب النبطيين عن طريق المصاهرة والتجارة إلا انه لم يكن مستريح البال فى تعامله معهم . ومن ثم كان يدبر عن طريق العرض المقدم منه للتدخل فى شئونهم الداخلية بهدف التخريب . ومن ناحية اخرى فعن طريق نفس العرض كان يجامل انطونيوس بطريقة غير مباشرة لانه كان يعلم ان إرضاء كليوباترا يدخل السرور على نفس انطونيوس .

وإذا كان هيرود يظن انه بذلك قد

- عندما أخذت كليوباترا بعض الشتلات من شجيرات البلسم لتزرعها في مصر الوسطى
- قصة محاولة كليوباترا الايقاع بـ "هيرود" هي محض افتراء مغرض !

اشبع نهم كليوباترا فقد اخطأ لأنها كانت فى الحقيقة تحلم بازالته هو ومملكته من الوجود نهائياً ، وإلقائه فى البحر . ولقد برهنت كليوباترا على نواياها تلك بمحاولاتها المتكررة للتدخل فى شئون المملكة اليهودية الداخلية . فيحكى أن هيرود كان قد تزوج من ماريام (أو ميريام) أميرة الأسرة الملكية الهاسمونية القديمة عام ٣٧ ق.م . فحل فى الحكم محلها وكان الهاسمونيون السابقون كهنة يهود لهم مكانتهم كما كان بعضهم ملوكاً وامراء . اما هيرود الذى صار الآن ملكاً فلم يستطع أن يتولى منصب الكاهن الأعظم لأنه لم يسبق له أن تولى اية مناصب كهنوتية من قبل . وطفق يبحث عن شخص مناسب يتولى هذا المنصب فلم يجد سوى أخ ماريام ويدعى أريستوبولوس ، ولكنه فى اللحظة الأخيرة عدل عن هذا الاختيار واستبدله بشخص آخر متخذاً من صغر سن اريستوبولوس الذى لم يجاوز السادسة عشرة ذريعة . وهنا غضبت أم الأخير وتدعى الكسندرا وارسلت الى صديقتها العزيزة كليوباترا احد المغنين لكى يطلعها على الموقف ويطلب منها أن تمد يد العون لها وبوصف كليوباترا «إيزيس الجديدة» رأت انه من المناسب أن تتبنى قضية النساء وتدافع عنها امام سيد المنطقة كلها انطونيوس . ونجحت كليوباترا فى مسعاها مما اضطر هيرود ملك اليهود الى التراجع والرضوخ بتعيين اريستوبولوس فى منصب الكاهن الأعظم .

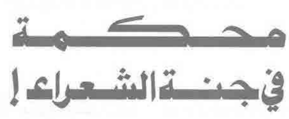
رواية مريبة !

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن ننظر الآن دون أى تخوف الى صورة كليوباترا فى رواية المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس التى ساهمت دون شك فى تثبيت سمعة كليوباترا السيئة على صفحات التاريخ . لقد قامت الملكة المصرية ـ وفق هذه الرواية ـ بزيارة المملكة اليهودية بفضل وساطة نيكولاوس الدمشقى الذى كان عندئذ يقوم على تربية أطفالها والذى انتقل فيما بعد الى خدمة هيرود وأصبح مستشاره الخاص . ولقد حفظ لنا فلافيوس يوسيفوس بعض الفقرات المقتطفة من مؤلف نيكولاوس الدمشقى «تاريخ العالم» ومنها الفقرة التالية التى تعطى لنا رواية هيرود المريبة لزيارة كليوباترا الغريبة للمملكة اليهودية :

«عندما اجتمعت كليوباترا بهيرود عدة مرات حاولت إغراء الملك . وربما شعرت فعلا بشىء من الميل نحوه ولكنها على الأرجح كانت تدبر سرا للايقاع به فى فخها متظاهرة بانها قد غلبت على امرها . ولكن هيرود الذى لم يكن على علاقات ودية مع كليوباترا منذ امد بعيد وكان يعرف الكثير عن غدرها بالرجال توفرت لديه الأسباب العديدة لكى يحتقر مغالاتها الى هذا الحد . فاذا كانت تسعى حقا للايقاع به فى فخ الاغواء فمن الأولى ان تكون له غداء قبل أن تقدمه هى على مائدة العشاء . ولهذا السبب تحاشى عروضها واستشار خلصاءه فيما اذا كان عليه ان يقتلها وهى الآن فى قبضة يده . وقال انه بهذه الطريقة قد يخلص ليس فقط اولئك الذين أوقعتهم فى حبائلها المهلكة بل ايضاً الذين قد يقعون مستقبلا ضحايا لشرورها الكثيرة . ودلل على أن مثل هذا العمل سيكون لصالح انطونيوس نفسه فهى لم تبد اية بادرة للوفاء له فى ساعات الحاجة وأوقات الشدة . ولكن اصدقاءه حالوا بينه وبين تنفيذ خطته . واشاروا عليه بأن الأمر أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يورط نفسه فى خطر داهم قد ينجم عن هذه الخطوة ثم توسلوا اليه الا يتصرف فى هذا الموضوع بتهور ، وقالوا ان انطونيوس لن يصفح قط عن من يقدم على مثل هذا العمل ولو تبينت له المزايا المترتبة عليه مستقبلا . فمن جهة سيزداد حبه لها اشتعالا على اشتعال إذا تسرب الى ظنه انه قد حرم منها بالقوة أو بالخيانة ومن جهة اخرى فلن يكون هناك اى عذر مقبول لديه للتامر ضد امرأة احتلت على اية حال المكانة العظمى بين أهل زمانها . واما عن الفائدة المرجوة من مثل هذا العمل إذا كانت هناك حقاً اية فائدة فسوف تتلاشى إن قرنت بالطيش الواضح فى عدم تقدير موقف انطونيوس . ومن ثم فان هذا الطريق ـ كما لا يصعب على أحد أن يرى ـ محفوف بالمخاطر وسيجلب شروراً لا نهاية لها على عرشه واسرته (أى هيرود) ... وبعد أن زرعوا الخوف فى قلبه وبينوا له الأخطار الكامنة فى مثل هذه المحاولة منعوه من تنفيذها» .

ومن الجلي الذى لا يحتاج الى توضيح ان هذه الرواية اليهودية عن محاولة كليوباترا إغواء الملك اليهودى هيرود مختلقة ولا اساس لها من الصحة . لقد كان هدف هذا الملك متطابقا مع هدف كليوباترا فى أن يظل كل منهما عند حسن ظن انطونيوس وعلى وئام تام معه . وليس بقتل كليوباترا سيكسب هيرود رضى العاهل الرومانى كما انه ليس باغواء هيرود ستحافظ كليوباترا على حب وحماية انطونيوس لها . ومن المرجح أن الذى حدث هو أن الملك اليهودى بعد موت كليوباترا وانطونيوس اراد أن يكسب ثقة عدوهما المنتصر اوغسطس فزعم ما زعم واشاع انه قد حاول مراراً أن ينصح أنطونيوس بالتخلص من كليوباترا والتخلى عنها وأنه نفسه كان يفكر فى قتلها لتخليص العالم من شرورها . إن قصة محاولة كليوباترا لاغواء هيرود هى محض افتراء مغرض من جانب هذا الملك اليهودى الداهية اريد بها تلطيخ سمعة كليوباترا وتشويه صورة هذه الملكة التى سيطرت على عقل وقلب انطونيوس محرك الأحداث فى منطقة الشرق آنذاك .

د. أحمد عتمان



بقلم: عبد الرزاق البصير

تلقيت ، بكل ابتهاج ومسرة ، مسرحية كتبها الأديب اليمنى المعروف احمد محمد الشامى بعنوان «محكمة فى جنة الشعراء» ، فاقبلت عليها بكل شوق وشغف لأن هذا الأديب من الذين يحترمون قراءهم حين يصدرون أثارهم .

فهو لا ينشر اثراً من اثاره ، شعراً كان او نثراً ، إلا إذا اعتقد ان فى هذا الأثر اضافة جديدة ، بالاضافة الى انه متفرغ للعطاء . حريص أشد الحرص على متابعة ما يجرى فى الساحة اليمنية من نشاط فكرى وأدبى ، بل هو يشارك مشاركة قوية فى هذا الميدان ، فله مؤلفات كثيرة تشهد له بذلك . وانا من الذين يسالون انفسهم عندما يفرغون من قراءة أى عمل ادبى : هل ظفرت بجديد ؟ فان كان الجواب بالايجاب زاد تقديرى لمن قام بذلك العمل واعتقدت انني لم أضع وقتاً سدى . وإن لم أحس لذلك العمل أثراً فى نفسى ندمت على ما فرطت من وقت ، وما اكثر الأعمال التى تنسب الى الأدب والفكر وليست فى الواقع إلا فقاقيع لا تسمن ولا تغنى من جوع .

والحق انى كدت انصرف عن هذه المسرحية حينما بدات فى قراءة مقدمتها إذ انها تقول بأن المؤلف استمد مسرحيته من مقالة للشاعر الأستاذ احمد المعلمى عنوانها «كابوس مرعب» ، ومقالات للأستاذ علي بن علي صبرة تحت عنوان «الهبل : رافضاً ومرفوضاً» ، ومقالة للدكتور أبو بكر السقاف تحت عنوان «اللغة والثقافة» ، ومقالة للمؤلف تحت عنوان «جلد الشعراء وكابوس المعلمى» ثم اتبع ذلك بقاموس ذكر فيه بعض المصطلحات اليمانية مثل لفظة : عيفط ، والعكفة ، وفايلين . وانا ارى أن المؤلف لو أورد المقالات التى اعتمد عليها فى تاليف هذه المسرحية لكانت الفائدة اكبر وأعم لأن هذه المقالات نشرت فى صحف يمنية متفرقة لم يطلع عليها إلا من قدر له ان يتابع تلك الصحف ، ثم انى متأكد بأن تلك المقالات غنية طريفة ينتفع بها كل من يطلع عليها .

ولكننى مع ذلك اقبلت على قراءة المسرحية ، فوجدت فيها تصويراً لما كان الأدباء والشعراء يعانونه أيام حكم يحيى حميد الدين . ومن المعلوم أن زمن ذلك النظام قد مضى وانقضى وأن الكثرة الكاثرة من المثقفين المتقدمين فى السن يملكون صورة لتلك الحقبة التى مر بها اليمن السعيد حتى ليخيل الى كثير من الناس ان إعادة رسم تلك الصورة من الأمور التى لا داعى لها ، غير ان الموهبة الفنية التى يتصف بها المؤلف تشد القارىء اليها . على أن فيها مواقف ـ وإن كانت مستوحاة من تلك الحقبة اليمانية البائدة ـ فانها كثيراً ما تنطبق على حالات مايزال الشعب العربى يعانى منها اشد المعاناة ، منها ضيق كثير من الذين يملكون زمام الأمور فى وطننا العربى بالشعراء والأدباء الذين لا هم لهم إلا تنبيه الجماهير وإثارتهم على ما يقع من تقصير فى حقوق الشعب . فلنقرأ قول المؤلف على لسان ذلك الملك المستبد :

«جلد الشعراء ، جلد الأدباء ، لله در البردونى انه لألمعى لدود وحصيف وداهية ، فالشعراء والأدباء هم الوباء وسبب البلاء ، وكل شر حل باليمن على مدى العصور هم صانعوه» .

وانت اذا قرأت هذه الفقرة بطولها تجد أن المؤلف قد ضرب عصفورين بحجر فاما احد العصفورين فهو ما أشرت اليه من ضيق المستبدين بالشعراء والأدباء المخلصين ، اما العصفور الثانى فانه ينتقد الشاعر اليمنى المعروف فى تعبيره فى احدى مقالاته او قصائده بأن الشعراء يستحقون الجلد . والذين تابعوا آثار هذا الأديب يعرفون أن خصومة ادبية عنيفة قد اشتعلت بين المؤلف وبين الدكتور عبد العزيز مقالح من جهة وبين الشاعر البردونى من جهة اخرى ، ويبدو انها ماتزال مشتعلة وكنت اتمنى لو أن المؤلف أوضح لقرائه الموقع الذى استعمل فيه البردونى جلد الشعراء والأدباء .

بين الأدباء والشعراء

ومهما يكن من أمر ، فان القارىء لا يكمل استمتاعه بهذه المسرحية إلا اذا كانت عنده خلفية لما يجرى بين الأدباء اليمانيين وشعرائهم من نشاط فكرى وادبى وما يحدث من خصومات نشات عن اختلاف فى الاتجاه والتفكير ، اعنى ان هناك رافداً ثرا من الأدب العربى لا يكاد يعرفه احد غير اليمنيين مما يحتم على مؤلف هذه المسرحية أن يضع حواشي يبين فيها ملامح عن نشاط ادباء اليمن . فانت حين تاخذ فى قراءة هذه المسرحية يتبين لك ان مقال «الكابوس المرعب» الذى كتبه الأستاذ الشاعر احمد المعلمى وهو من أعلام الأدب اليمنى ، هذا المقال احدث ضجة بين المثقفين اليمنيين ، فعقب عليه بعض الكتاب ، كما تجد أن ملك اليمن السابق احمد حميد الدين قد خمّس قصيدة لأبى فراس وقصيدة أخرى لقطرى بن الفجاءة ، ولم يكن هو الذى خمّس هاتين القصيدتين ، وإنما الذى قام بتخميسهما احمد الحضرانى ومؤلف هذه المسرحية . تجد ذلك كله فى حوار شيق يجريه المؤلف مع ابنته فى اول الأمر ومع ابراهيم الحضرانى ، أحد شعراء اليمن ، فيما بعد ، فى حضرة أمير الشعراء القدامى امرؤ القيس وهو يحمل المتحاورين على اشعة ملونة ربما يخترعها العلم الذى اوصل الناس الى القمر ، فان اكثر

المخترعات العلمية قد نشات عن خيال شاعر او حلم فنان ، وقد لا يخطىء من يظن أن تخيل مؤلف هذه المسرحية ناشىء من جو رسالة الغفران او من رواية واق الواق التى انشاها محمد محمود الزبيرى ، احد نوابغ اليمن ، فقد كان امرؤ القيس جالساً فى محفل يضم أصحاب المعلقات وابى الطيب المتنبى وابى تمام والشريف الرضي والحسن الهبل وابى نواس والبحترى ومهيار وعمارة اليمنى . اما مناخ هذا الحفل فانه مناخ مثالى تسوده المساواة والعدالة والحرية ومفاهيم انسانية خالصة ، بعيداً عن مفاهيم الساسة واصحاب المذاهب الاقتصادية والفكرية التى أفرزتها ظلمات القهر والاستعباد فى دار الأحياء والتى تصطنع الفاظاً مزخرفة لا تعنى أكثر من المجاملة والخداع .. وهذه الدولة متكاملة الجوانب ، لها وزراء ولجان وامناء سر للجان والوزراء ، على أن عمل هذه الدولة مقصور على القضايا الأدبية كالشعر الحديث واللهجات الدارجة التى كثيراً ما تكون مفرداتها من اللغة الفصحى دون أن يعرف أهلها ذلك . لهذا تجد فى هذه المحاكمة معظم ما حدث من خصومات بين شعراء اليمن وادبائها كخصومة المؤلف وكثير من الشعراء للشاعر البردونى ، غير ان المؤلف يدفعه تجرده وانصافه بأن يعلن بأن قدم البردونى راسخة فى الشعر .

كما بين أن الدكتور عبد العزيز مقالح أديب فاضل باحث ، إلا ان المداراة تغلب عليه فتراه يثنى على أصدقائه بما لا يستحقون . وكمثال على ذلك ما كتبه المقالح من إطراء فى مقدمته لكتاب ابى بكر السقاف «دراسات فكرية وأدبية» مع ما فى هذا الكتاب من تراجم ركيكة التعبير ضعيفة الحبك لأشعار روسية وتهجمات مغرضة على المثل العليا والقضية الوطنية والزعماء الأحرار ، طبقاً لما يقوله الأستاذ الشامى مؤلف هذه المسرحية . ويتطرق المؤلف فى هذا المشهد الى أمور أدبية كثيرة يضيق المجال عن ذكرها ، إذ أنه اتخذ هذه المسرحية وسيلة لابداء آرائه وأحكامه على خصومه واصدقائه ، فقد بلغ من شدة رفضه للشعر الحديث انه تخيله صواريخ شدخ بها راس محمد محمود الزبيرى ومن معه وهم فى طائرة اخروية. وقد لاحظ الدكتور عبده غانم ان قذائف تلك الصواريخ «ليست ذات نبرة عربية ، مما يدعو الى الريبة ، فربما أنهم قد استعانوا بخبراء اجانب ، وهم ـ مهما أتقنوا اللغة العربية تعبيراً وكتابة وقراءة ونحواً ـ لا يستطيعون أن ينسجموا مع اوزان الشعر وتفعيلات أبياته وقوافيها» . من هذه الفقرة يتبين مقدار رفض الأستاذ الشامى للشعر الجديد ، وقد كانت على لسان شاعر اشك فى أنه يشارك الشامى فى استبعاده للشعر الحديث ، وعلى كل فان هذه الفقرة قد قيلت لأمير الشعراء امرىء القيس وهى مبدأ حوار لتشكيل محكمة للبردونى وعلي صبرة وجماعة من الشعراء اليمانيين فى محاولة طويلة أراد منها المؤلف أن يثبت تجرده فى أحكامه لأنه لم يقبل أن يكون رئيساً لتلك المحكمة فهو معروف بخصوماته الأدبية للشعراء الذين يصطنعون الشعر الحر ، ثم انتهى الأمر بان تكون غزال المقدشية رئيسة المحكمة وهى احدى شاعرات اليمن ، ولعل المؤلف قصد ان يوضح بانه من الذين يناصرون المرأة ويعطونها ما تستحق من التكريم ، فانت تجد له ابياتاً يعرض بها رأى ابى العلاء المعرى فى المرأة معارضة شديدة . فابو العلاء المعرى يقول :

علموهن الغزل والنســج والردن
وخلــوا كتابــة وقــراءه
فصلاة الفتاة بالحمـد والاخلاص
تغنـــى عـن يونس وبــراءه
يهتـك الستر بالجلوس أمــام
الستر إن غنــت القيـان وراءه

ويرد عليه المؤلف قائلا :

تفسـد المـرأة الذكيـة إن لـم
تـك تـدرى كتابـة وقـراءه
جهلها لا يصونهـا واذا تفقـه
تـزداد حكمـة وجـراءه
زهـرة بالخمـول والجهل تذوى
وبغيث العرفان تزهـو طـراءه
هـى خير من الغـلام ذكـاء
وحنانـاً وعفـة وبــراءه

أعضاء المحكمة

اما اعضاء المحكمة فانهم كانوا من مشاهير الشعراء المعاصرين أمثال الجواهرى ، وعلي محمود طه ، وفدوى طوقان ، على أن يكون المراقبون من الأكفاء وهم بشار بن برد وأبو العلاء المعرى ومحمد سالم البيحانى وكاتب هذه السطور لاعتقاد المؤلف انى خبير بأداب اليمن ، وهذا شرف ليتنى استطيع أن أبلغه . والأمانة العلمية تفرض علي أن أعترف بانى ـ وإن كنت معجباً بالأدب اليمنى ، معتقداً بانه رافد من روافد الأدب العربى السخية ، ولكننى مع هذا كله لم أستطع ان أواكب هذا الرافد مواكبة تجعلنى قادراً أن ابدى رأياً فيه أو أن أصدر حكماً عليه . وقد أنصف الشامى حين قال عن الشاعر البردونى بانه لا يستجدى عطف احد وإنما يسعى ليبدى النقاد آراءهم فيه ، سواء كانت له او عليه . فقد اصبح هذا الشاعر الضرير علماً من اعلام الشعر العربى . اما اذا كان أصدر احكاماً قياسية على فئة كبيرة من ادباء اليمن ، فانه حر فيما يبدى من اراء ، إذ انه كان بما أصدر من احكام محور نشاط فى الميدان الأدبى ، على ان المؤلف قد اوضح بأن البردونى كان وجماعة من الشعراء المجددين فى جزيرة اللامبالاة ، فكأنه يريد أن يقول بأن هذه الجماعة من الأدباء مقتنعون بارائهم المتطورة فى الشعر والأدب ينشرونها غير مكترثين بسخط من يسخط عليهم أو رضا من يرضى عنهم .

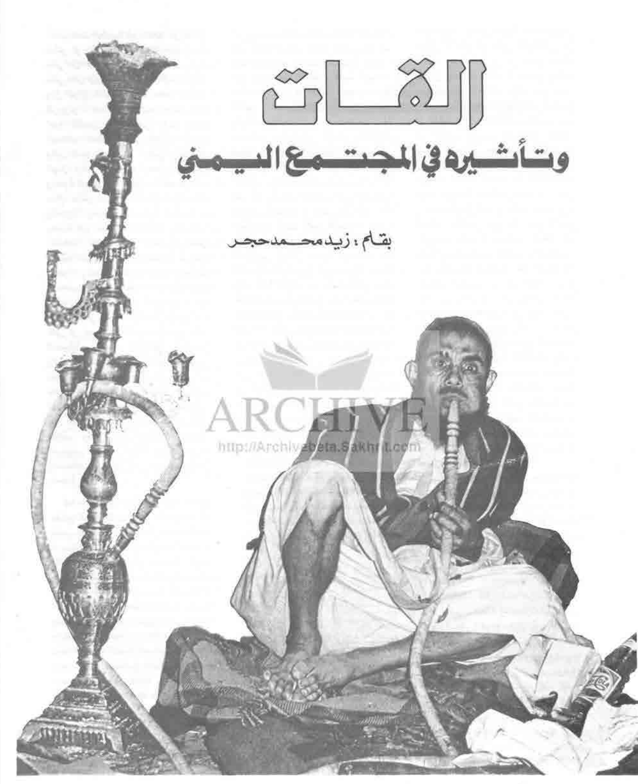
وبما ان المؤلف قد جمعنى مع زمرة من فحول الشعراء ، فانه لابد لي من ان اهمس فى أذنه بانى لا ارفض الشعر الحديث رفضاً قاطعاً ، فكثيراً ما استمتع ببعضه واجد فيه غذاء لعقلى ، ولاسيما ذلك الشعر الذى يكون رمزه مضيئاً فهو عندى لون من الوان الأدب فيه الغث والسمين .

وبالجملة ، فان هذه الرواية تعتبر ـ فى رأيى ـ نافذة واسعة تمكن نسائم الأدب اليمنى الفواح من ان يهب على كل من يريد ان يتعرف على ذلك النبع السخى . وكم كنت اتمنى لو وضع أديبنا الشامى لمسرحيته هذه هوامش يوضح فيها مواقع القضايا الأدبية التى أشار اليها فى مسرحيته ، كما ذكرنا من قبل ، إذ انها قضايا رفيعة المستوى تثرى من يطلع عليها ، وتعطيه متعة وفوائد ادبية وفكرية جليلة .

عبد الرزاق البصير ـ الكويت

القات
وتأثيره في المجتمع اليمني

بقلم : زيد محمد حجر



القات نبات يقال له بالانكليزية « كاثا ايدوليس فورسكال » ٦ ويدعى باسم آخر «شاي العرب» ويسميه اليمنيون «اكسير الحياة».

يزرع فى الهضبة العليا من المناطق اليمنية على ارتفاع ٨٠٠ متر من سطح البحر ويـصل طول الشجرة إلى ستة اقدام . وهي شجرة معمرة دائمة الخضرة صيفا وشتاء . وتتحمل البرد والرياح . كما أن التربة اليمنية ومناخها ملائمة لطبيعة نمو تلك الشجرة ، وتشغل مساحة كبيرة فى المناطق المذكورة سابقا ، وتبعد كل شجرة عن الاخرى بحوالي ستة اقدام واحيانا ثمانية أقدام .

ونبات القـات شجرة لا تزهر غالبـاً واوراقها فاتحة الخضرة وتقطف الأوراق الطازجة وتجمع فى ربط ثم تلف بالأعشاب لكي تحتفظ بطراوتها ونضارتها وتنقل إلى الأسواق . وتوجد أنواع مختلفة تختلف أسماؤ ' باختلاف المكان الذى تغرس فيه . فهناك قات الوادي ، والظلاعي ، والتعزي ، والصبري ، والبرعي ، والريمي . وأجود أنواع القات هو النوع الظلاعي ، ولاشك أن اليمنيين يحسنون التمييز بين تلك الأصناف .



حقل من حقول نبات القات

والقات هو الاداة أو الوسيلة لجمع عدد من الناس فى جلسات لقضاء فترة بعد الظهر ابتداء من الساعة الثالثة ـ تقريباً ـ إلى غروب الشمس وقد وصف نزيه العظم مجلس القات أثناء زيارته إلى صنعاء فى أوائل العقد الرابع ، إلا أن وصفه كان قاصراً ، وسنورد وصفاً آخر لمجلس القات على لسان أحد أبناء اليمن فيقول :

يجتمع عدد من الأصدقاء أو الجيران دون سابق موعد احيانا فى «مكان نظيف أبيض مفروش بالسجاد ويحيط جميع جدرانه بوسائد قطنية ، ويترك وسط الغرفة خاليا وتتخلل ماضغي القات وسائد صغيرة يتكئون عليها ،

لعل القاريء يدرك أن موضوع القات واثره على المجتمع له اوجه ومسائل لـم يتناولها البحث العلمي من قبل ومن أهم المسائل التى سنتناولها فى هذه الدراسة الموجزة هي :

ما هو القات .. ؟ أين ينبت .. ؟ وكيف يسوق .. ؟ وما هي أنواعه .. ؟ وما هي مجالس القات .. ؟ وما مفعوله على الجسم .. ؟ وما هو تركيبه الكيمائي .. ؟

وبعد ذلك نطرق الناحية التاريخية ونبحث عن منشا القات وكيفية دخوله اليمن إلى حين ظهر أدب القات وقبل الختام نستعرض أسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني ، وفى النهاية نوضح الخلاف حول الدور السياسي لتشجيع عادة مضغ القات .

والقاريء يدرك ولا شك أن هذا الموضوع له جوانب عديدة ولكننا قد اعتمدنا كثيراً على السير فى منهج البحث حيث توجد كثير من المصادر التى لا يعتمد عليها إذا ما وضعت تحت التحليل التاريخي وتظرالقلتهـــا .



وأمام كل شخص يمضغ القات ثلاجة صغيرة مليئة بالمياه المثلجة تنبعث منها ريحة عطرية ، وفى وسط المكان توجد المداعة (الأرجيلة) لتداول التدخين أثناء مضغ القات ، وأحيانا توجد بعض المرطبات لشربها مع القات. ويفضل بعض الماضغين للقات تناول قطعة صغيرة من النعنع ليلطف مذاق القات القلوي فى فترات متقطعة والبعض الآخر يفضل شرب قهوة القشر المرسخة بقليل من السكر .

وتبدأ جلسة القات وتنشر ربط القات وتوضع فى وضع منظم داخل منشفة مبللة أو قطعة مشمع صغيرة لتحفظ طراوة القات لتلك الفترة ، وجميع منافذ الهواء فى تلك الغرفة مغلقة خشية الاصابة بالبرد . وتمضغ الجرعة الأولى من أوراق القات الطازجة وتترك الكفته أى الأوراق الخشنة وتمضغ الأخرى . وفى النهاية يصبح احد خدي ماضغ القات بارزاً عن وضعه الطبيعي بمقدار بوصة . وفى أثناء جلسة القات يشرب (المخزن) ماضغ القات قليلا من الماء لفترات متقطعة لتبليل أوراق القات وسهولة مضغها . ومن خواص القات الميل المتزايد لشرب المياه بصورة غير عادية كما أنه يتخلل مجالس القات بعض النكت الطريفة والقصص الجميلة . وفى مجالس الولائم يتخلل مجالس القات بعض التواشيح الدينية، ويقوم المضيف بوضع العطور على أيدي ما ضغي القات كما تدور فى هذه المجالس مناقشات أدبية وأحيانا تتنوع موضوعاتها من اخبار الساعة الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .. الخ ويلاحظ فى مجالس القات أنها تضم مجموعة من الناس تنتمي إلى مختلف الطبقات والمكانة الاجتماعية .

ومفعول القات يرجع الى مركباته الكيمائية المكونة من :

الكاتين ـ والكولون ـ وحامض الأمينين ـ وحامض التنيك وبعض الفيتامينات والمواد المعدنية وله خاصة متوسطة بين الكوكائين والأفيون ويصف ماضغ القات مفعوله بانه فى البداية يجد حدة فى الطعم يجعله فى حالة دوار ويلى ذلك وجود شعور بالتفاؤل حيث تبدو جميع المشاكل سهلة الحل . ويرجع ذلك إلى تولد الكثير من الافكار والخيال الخصب ويشعر الانسان بتفتح العقل ونشاطه الذى يستمر لمدة ساعتين او اكثر ، وكذلك تزداد رغبة ماضغ القات اثناء العمل ، ولكن بعد فترة مضغ القات يشعر الماضغ للقات بالبرد فى اطرافه ويميل إلى الصمت وتخيم عليه الكآبة لفترة طويلة من الليل .

وبعد ان استعرضنا بايجاز تعريف القات وخواصه ومجالسه ومفعوله ننقل القارىء الى نقطة اخرى وهي منشأ القات ودخوله الى اليمن

الموطن الأصلي والظروف الأولى

يرجح كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن القات أن موطنه الأصلي هو الحبشة ويعود فضل اكتشافه الى الأسطورة القائلة : فى احد الأيام لاحظ أحد رعاة الماعز أن إحداها يزداد نشاطها دون سبب ظاهر وأنها تاخذ فى القفز والجري بصورة طبيعية . واخذ يدرس هذه الظاهرة . واكتشف أن العنزة يبدو عليها النشاط بعد تناولها وجبة من أوراق هذا النبات . وقد جرب الراعي أوراقه فوجد أنه يصبح منطلقا بعد تناوله . وسارع بالرجوع الى بلدته وكان أول من لقيه بعد ذلك أحد الشعراء فشاركه اكتشافه ومضى الشاعر الى التلال فايقن من صدق رواية الراعي بعد أن جرب أوراق النبات بنفسه .

وأما حادثة تاريخ دخول القات إلى اليمن فاغلب الظن انه دخل مع حملة الحبشة على اليمن فى عام ٥٢٥ ميلادية .

وهناك قصة اخرى لطيفة عن اكتشاف القات ودخوله الى اليمن . تقول القصة : أن الذى ادخل القــات إلى اليمن متصوف حضرمي يدعى ابراهيم ابو زربين .. سافر الى بلاد الحبشة .. وفى يوم من الايام فى أثناء تجوله رأى قطيعاً من الماعز مستسلماً لنوم عميق وفى فم كل شاة بقايا ورق أخضر من أشجار مجاورة . فجرب الشيخ ابراهيم هذا النبات وكان هو القات فاستعذبه وقرر نقله إلى بلاده . وفيه يقول الشاعر :

امس يجمــع منــه
حتى تملــى الجــراب
متى يحــدث عنــه
وفــي الحديث الصواب
فصدقــوه وذاقــوا
من مثله واستطابوا

ولكننا نرى انه إذا وضعت تلكما الحادثتان تحت مجهر الفحص التاريخي فاننا لا نجد اثرا فى المصادر الاصلية والنقوش او غير ذلك .. ولعل ذلك راجع إلى الاهتمام بالقات واقتصار همة الباحثين للبحث عن خواصه وتاثيراته الصحية دون أن يبذلوا الجهد الكبير فى تقصي موطنه وتاريخ انتشاره .

وأول اشارة تاريخية كتبت عن القات ، جاءت فى الموسوعة المسماة «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (١٣٠١ ــ ١٣٤٨) الذى نشر مجلده الأول عام ١٩٢٠ . وتوجد وصفة طبية عن القات فى كتاب الأقرباذين «العقاقير المركبة» نسخت تلك الوصفة الطبية من ذلك المخطوط الفريد السابق الذكر عام ١٢٣٧م للمؤلف نجيب السمرقندي .

وإذا سلمنا بحادثة دخول القات الى اليمن التى سبق الكلام عنها عن طريق الشيخ ابراهيم ابو زربين الحضرمي المتصوف فى بداية القرن السادس الميلادى فان احتمال زراعته كانت فى المناطق المرتفعة وأغلب الظن أن موطنه



قاعة المجلس فى بيت يمني

الأول فى اليمن كان فى لواء اب .

ويبدو أن ظروف البلاد فى تلك الحقبة التاريخية لم تساعد على انتشار القات لصعوبة المواصلات وغير ذلك مما حالت دون انتشاره،وكما هو معروف أن اية ظاهرة اجتماعية كالقات لابد لها من فترة تطول أو تقصر إلى أن يطمئن الناس اليها ويبدأ المجتمع فى تداولها واستعمالها وقد بدأ استعمال القات قديماً كمشروب قبل أن تصبح عادة مضغه هى السائدة .

فى مدح القات

ونعتقد أن استعمال القات فى عصر الامام شرف الدين ـ أي قبل اربعمائة سنة ـ قد بلغ شأناً عظيماً فى نفوس ابناء اليمن . والقصيدة الآتية تبين روعة أدب القات وإلى أي حد وصل إليه فى تلك الفترة . وهي تؤكد لنا ايضاً أن القات قد ظهر فى اليمن قبل هذا العصر (أي قبل فترة الامام شرف الدين) . غير أن تحديد مكان وزمان ظهور القات غير معروفة وفى حاجة إلى همة الباحثين التاريخيين*. والقصيدة هذه للعلامة عبد الله بن الامام شرف الدين يمدح القات ويبين فيها إلى أي حد بلغ نفوس الناس :

أدر غصون يواقيت من القات
زبر جديات أوراق وريقات
يجلو تناوله قلبي ورؤيته
طرفي وتجلو به حالي وأوقاتي
قلوبه تحمل الاسرار تودعها
قلوبنا ثم تسري فى السريرات
براج معراج قلبي حين يصعده
جزيل قلبي إلى أعلا سماواتي
زيتونة زيتها الأضوا بها اتقدت
فتيلة النور فى مصباح مشكاتي
كل المرادات فيه جمعت فلذا
توجهت نحوه كل الارادات
لين القدود وتلوين الخدود وتنعيم
الورود ولذات المذاقات
كله لما شئت من دنيا وآخره
وجلب نفع ودفع للمضرات
وآكله منه قال الراشدون بها
تنوير سر اعتكاف الأربعينات
فما أردت ارتقاء فى سما نظري
في الكون إلا جعلت القات مرقاتي

وفى هذه الحقبة من التاريخ تبين القصيدة السابقة للقاريء مميزات القات التى كان الناس يعتقدون بفوائد شجرة القات وتاثيراتها الصوفية وجدال فقهاء الدين حول تحليله وتحريمه وهذا الجدل بلاشك قد لعب دوراً فكرياً كبيراً وبلغت شجرة القات من نفوسهم مرتبة التقدير والاجلال كما يصوره الشاعر على بن الامام شرف الدين فى القرن العاشر للهجرة .

ولابد من النظرة الفاحصة لأسباب سيطرة القات على المجتمع اليمني كظاهرة فريدة لتزيد القاريء توضيحاً بان اية هيئة رسمية بيدها القوة على تصريف الأمور لا تستطيع ان تقوم فى ليلة وضحاها بمنع القات لما يعتقده الكثيرون من اثاره السلبية او الايجابية فى المجتمع اليمني . فالقات يكاد ان يكون مؤسسة اجتماعية فرضتها ظروف كثيرة ، قد يكون من ابرزها عزلة اليمن عن العالم الخارجي واحتفاظه بعادات فريدة فرضت عليه منذ زمن بعيد . ويمكن القول ايضاً بانه نتيجة لتلك العزلة الطويلة التى عاشتها اليمن لم تجد فرصة للتبادل التجاري مع العالم لتؤمن لمحاصيلها الزراعية الفائضة عن حاجتها سوقاً تجارية . فكان للقات

القات

وتأثيره في المجتمع اليمني

مجال واسع للزراعة على حساب المحاصيل الأخرى المربحة والتى تناسبها الظروف المناخية ونوعية التربة كالبن مثلا .

ونتيجة اخرى للعزلة اثرت لسيطرة القات على المجتمع اليمني بأنه ظل منغلقا على نفسه غير متطلع إلى مجالات الحياة الواسعة الاخرى وغير واقف على ما توصل إليه العالم من أسباب لتحسين مستواه الاقتصادى والاجتماعي . وبحكم تكوين المجتمع اليمني القبلي العشائري فقد وجدت نزعة التجمعات الحذرة المتحفزة للصراع، كما اثر ذلك بالنسبة لسكان المدن الذين تعرضوا لغزوات كبيرة من قبل القبائل المغيرة الطامعة إلى ما فى المدينة من خيرات حرموا منها ، وقد يكون هذا الأثر ذا طابع نفسي (سيكلوجي) هيا للقات مناخاً لأولئك المجتمعين المترقبين لاي حادث يطرا بصفته الملهاة البريئة الوحيدة فى نظر المجتمع لتقضية مثل تلك الأوقات الحرجة . فعدم الاستقرار قد ساهم مساهمة كبيرة فى غرس مثل هذه العادة . وقد يكون من المفيد شرح هذه النقطة لأهميتها . فسلوك المجتمع المحافظ الذى تحكمه القوانين الدينية لم تترك للفرد اللجوء إلى وسائل اخرى مثل المسكرات وغيرها فى حالات اليأس والخوف مثلما يجري فى مجتمعات اخرى غير مقيدة بمثل هذه القيم .

تلك هي لمحة موجزة للظروف الأولى التى وجد فيها القات بيئة صالحة لزيادة تناوله .

ومازالت هذه العادة تقوى مع مرور الزمن ، وتعزز فى نفوس الناس بمفاهيم قد تشابه اسباب انتشار تلك العادة فى مراحلها الأولى مع اخذها مسوغات جديدة كما يظهر فى الاجابات الآتية التى حصل عليها احد المهتمين بدراسة عادة مضغ القات من فريق قام بتقديم اسئلة حول الأسباب التى دفعت افراده لتناول القات :

اجابت الفئة الأولى وتمثل ٤٩٪ بان القات يعطي القوة والنشاط .

وأجابت الفئة الثانية وتمثل ٢٠٪ بأنها تمضغ القات لقضاء الوقت والهروب من الملل .

وأجابت الفئة الثالثة وتمثل ١١٪ بان مضغ القات هو الطريقة الوحيدة للاجتماع .

وأجابت الفئة الرابعة وتمثل ٥٪ أنها تمضغ القات لتتجنب النوم بعد الظهر .

واجابت الفئة الخامسة وتمثل ٥٪ انها تمضغ القات لأنه يعطيها راحة وسعادة .

واجابت الفئة السادسة وتمثل ٤٪ انها تمضغ القات لانه يلهم الانسان ليعمل عملا جيدا .

واجابت الفئة السابعة وتمثل ٣٪ انها تمضغ القات لأنه يهدىء الأعصاب .

واجابت الفئة الثامنة وتمثل ١٪ انها تمضغ القات لانه ليس محرما كالحشيش وغيره .

واجابت الفئة التاسعة وتمثل ٢٪ انها تمضغ القات ولا تعطى أسبابا لماذا تمضغ القات .

وقد قمنا بمسح لبعض مجالس القات فى صنعاء ووجدنا تقاربا كبيراً للأسباب والدوافع المشار إليها سابقاً .

القات .. سياسيا

وإذا أتينا الى موضوع الدور السياسي لتأسيس القات فى المجتمع نصادف رأيين متعارضين احدهما يرى أن عهد الامامة قد شجع انتشار هذه العادة فى المجتمع اليمني ليتسنى له الحكم بمصيره ومقدراته ، وليشغله عن التفكير فى محاولته التغيير والثورة . ويرى الفريق الآخر انه ليس للقات اثر سلبي إن لم يكن ايجابياً على نشاط الحركة الوطنية منذ ظهور القات ونورد لكل من الفريقين رأيه حول هذا الموضوع .

● يرى الفريق الاول من الذين عاصروا حكم الامامة «يحيى واحمد» ان القات هو افيون الشعب اليمني ودليله (أي هذا الفريق) انه كان يشجع من قبل السلطة الحاكمة فى البلاد منذ زمن طويل ولانه يقلل من إحداث الشغب والمنازعات التى قد تؤدى فى النهاية إلى قلب السلطة ، ولأن الفراغ الكبير سيؤدى فى النهاية الى تزايد الغضب واشتداد المطالبة بتغيير الواقع المعاش حينذاك الى مستقبل افضل ، وقد كان الامام احمد يطارد الذين يحاربون القات بل ان هذا الفريق من الناس يرى أن القات يسيطر على تفكير الفرد فى كيفية الحصول عليه وقضاء الوقت الثمين الذى هو فى حاجة ماسة له لرفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي .. الخ

وهذا الفريق يعتبر القات مصيبة وكارثة وبلية أصابت اليمن وعاقت نموه وتطوره ، وكانت ترى هذه الفئة من الناس أن اية مهاجمة للقات هو بمثابة متنفس لها ، ولكنها اصيبت بخيبة الأمل لتلك الحجج التى سردها الامام يحيى فى قصيدته المشهورة وقد وجدت حينذاك كثيراً من المؤيدين فى تلك الفترة للرد على قسطنطين الذى زار اليمن مع امين الريحاني :

وللثغور صباغ
زمردي مذاب
احسن بثغر مليح
له المذاب رضاب
ياما احيلاه ظلما
تشفي به الأحباب
وللنفوس مريح
وللنشاط انجذاب
ويشحذ الفكر حتى
يخاف منه التهاب
ويطرد النوم عمن
له الجليس كتاب

اما الذى قاله قسطنطين فهو سراب :

اليس مُرُّهُ جاوزَ الحد
اكلُه والشرابْ
يكون عرضة حصر
ويعتريه اكتئابْ
والأكل والشرب مالا
به الكرام تعابْ
وإنما العيب إسراف

منــه يبدو العجــابْ
هـذا الملغـق يا قسطنطين
منــا الجـــوابْ
يهــدى اليـك عليــه
مـن الحيــاة ثقــابْ
لأنــه ليـس كفــؤا
للــدر وهــو تــرابْ
فاستر ملغـق يمحــى
فالستــر فيــه تــراب

● وأما الفريق الآخر من الناس فيرى أن مجالس القات كانت فى المدينة تمثل الخلايا الأولى لتطوير الفكر السياسي حسب مفهوم ذلك الوقت ومحاولة تغيير الواقع إلى الأفضل فتعززت تلك الروابط واصبحت مفاهيم مجتمع جلسات القات قريبة من بعضها ، ونتج من تلك الاجتماعات احاسيس موحدة وامال مشتركة لتغيير الواقع المعاش انذاك .

ويقول هذا الفريق انه إذا امعنا النظر الى تاريخ الثورات اليمنية نجد ان النواة الأولى كانت بدورها مجالس القات التى زادت احاسيسها والامها الشديدة وآمالها فى تغيير ذلك الواقع إلى الأفضل . فمثلا ثورة ٤٨ كانت من مجتمعات القات . وكذلك ثورة الثلاثاء .

ويذهب هذا الفريق اكثر من ذلك لينفى بأن القات هو أفيون الشعب اليمني . فالقات ليس له التاثير الجسمي والفكرى الذى يصاب به مدمن الأفيون والحشيش . ودليلها أن الشعب اليمني هو من أنشط المجتمعات العربية المجاورة وطاقته الانتاجية تفوق كثيرا من إنتاج متوسط الانتاجية لعمال البلدان المجاورة ، يذكر ذلك كثير من خبراء الأمم المتحدة . وأن أسباب التخلف هو الفراغ والعزلة وعدم وجود المصادر الطبيعية الغنية فى البلاد ، فهذه الأسباب لم تتح للمجتمع فرص العمل والحياة فى رغد وسعة . وكما ذكر سابقاً بأن الشعب اليمني قد قدم الكثير من التضحيات فى سبيل الخروج من النظام القائم فى تلك الفترات وكانت منطلقاتها مجالس القات البريئة . وتسترسل هذه الفئة من الناس فتقول :

إن إمكانات البلاد محدودة بل إن موقعها الاستراتيجي (اليمن الشمالية) لم يجعلها تدخل ضمن البلدان التى تطمع فيها الدول الكبرى لتصبح ضمن إطار مناطق نفوذها . فهي أي اليمن لم تحتك بدول اخرى تكسب من حضارتها لكي يستطيع ان يتطور فى مجالات عديدة كان يامل ويحلم بها .

اخيرا ترى هذه الفئة انه لم يكن للقات الأثر الكبير فى محاولات الشعب اليمني للتخلص من الأنظمة السياسية منــذ ظهـور القـــات ، ولـــم يكــن عائقـــا للشعـــب اليمـــني امـــام مقاومتـــه للاحتـــلال التركي . فالشعـــب اليمني ممثل فى مقاومته القوية كان يدافع بكل امكانياته امام الجيش التركي المدجج بالسلاح وغير ذلك من الوسائل الحربية التى تضمن له النصر

واخيــــرا ..

من كل ما تقدم نرى ان عادة مضغ القات هي ملهاة مضرة ولكنها ليست بالصورة التى يعتقدها كثير من المحاربين لهذه العادة . وستزول فى نظرنا بزوال الأسباب والظروف التى أدت الى نشاتها . فنحن نرى ان كثيرا من الشباب اليمني يميل الى ترك مثل هذه العادة بسبب انعدام الفراغ ووجود الأعمال التى تشغل كل وقته ، ولانفتاح اليمن على العالم الخارجي ، وتحطيم العزلة التى عاشها وللاستقرار الذى بدأ ينعم به لوجود الملاهي البريئة التى يرى فيها الشباب متنفساً لقضاء اوقات فراغـــه كالسينما والنوادى الرياضية والتليفزيون . والوقت كفيل بالقضاء على مثل هذه العادة . ونرى أن فى التوصيات الآتية فائدة كبيرة مساعدة للقضاء على مثل هذه العادة تدريجيا :

● على الحكومة أن تفرض ضريبة تصاعدية على البائع .
● فتح وتشجيع النوادي الرياضية
● تشجيع المزارعين على زراعة المحاصيل المربحة مثل البن ومحاولة ايجاد أسواق لها .
● منع موظفى المؤسسات الرسمية وغيرها من مضغ القات اثناء الدوام .
● منع رواد السينما والنوادي الرياضية من مضغ القات
● التوجيه والحملات الاعلامية المنظمة .

زيد محمد حجر

سكرتير اول سفارة الجمهورية العربية اليمنية بدولة قطـر .

لم يمنعه اداء العمل من « التقييت »

ملاحظة :

● لقد تم اعداد البحث قبل صدور قرار مجلس الوزراء بمنع مضغ القات ، ونأمل استكماله فى المستقبل من الناحية الاقتصادية ،

المراجــــع :

(١) نزيه العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة من صنعاء إلى مصر ـ ص ٦٣ .
(٢) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى ـ ص ٩٩ .
(٣) محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٤) المصدر السابق والصفحات .
(٥) نفس المصدر ص ١٤٠ .
(٦) هانز هولفريستر : اليمن من الباب الخلفى ـ ص ١٠١ .
(٧) سليم الزبال : مجلة العربى الكويتية عدد ١٤٨ ـ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٨) امين محمد سعيد : ملوك المسلمين للعاصرين ودولهم ج/١ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

REFERENCES:

1. AKIL, A.E. : COMMUNITY PEOPLE OF HOJJORYYA Y.A.R., A.U.B., 1971 P. 128.

2. LOUGMAN, F.M.: YEMEN 1970, ADEN, P. 150

3. AI-ATTAS, O.M.: FINAL REPORT ON UNITED NATIONS FEL. AT THE UNITED NATIONS NARCOTICS LAB., GENEVE, G71/13930.

4. DR. EL MABI, T. : A PRELIMINARY STUDY ON KHAT " CATHA EDULIS FORSKAL" WHO, MARCH 1962, EM/MENT/29/4.

قالوا هذا الشهر...

● لي معارف كثيرة فـي جميع الدول العربيـة .. حتى فى دول الرفـض لي اصدقـاء ، ومـن جانبي احس بان الموقـف بين مصـر وبين العالم العربي افضل ، خاصة وإنني اقفلـت سجـل الهجـوم الاعـلامي ضـد العـرب نهائياً ، وحتى لو هاجمني البعض فاني اشعر بان قلوبهم معنـا .

الرئيس المصري حسني مبـارك

● ساقاتل بكل ما تبقى من عمـري إلى جوار الرئيس حسني مبارك .

د. يوسف إدريس

● اسرائيل جزء من الغرب ، ولذلك فانها مثل الغرب تماما تهتم بأمرين اساسيين : الاعلام المنظم والعلمي ، والمخابرات المنظمة والعلمية .

د. محمد الرميحي

● إن الحريق العربي إذا اشتعـل فسيكون غير قابل للاخمـاد ولا بواسطة مائة قوة من قوات التدخل السريـع ذات القيمة المسرحيـة فقط .

احمد بهاء الدين

● الطلبة العرب فى انجلترا هم اقل الطلبة الأجانب زواجاً من فتيات انجليزيات اثناء دراستهم الجامعية أو بعدها . كما ان الطلبة العرب هم اقل نسبة من الطلبة الأجانب الذين يعيشون مع زوجاتهم داخل الحرم الجامعي .

« جريدة الشرق الأوسط »

● إن مشروع السلام السعودى المؤلف من ثماني نقاط قـد صيغ بأسلوب « محنك » ولكنه يهدف فى الحقيقة للقضاء على اسرائيل تدريجيا .

« مناحيم بيجن »

● لقد برهنت اسرائيل برفضها مشروع السلام السعودي انها لا تريد السلام بل على العكس من ذلك تريد حلولا استسلاميـة .

محمد عبده يماني
وزير الاعلام السعودي

● إن محاولة نزع صفحات البطولة من تاريخ اية امة ينزع قلب الامة ويمزق روحهـا ولا يبقى منها إلا السلبيات .

احمد بهاء الدين

● على رأي انطون تشيكوف نحن بحاجة إلى كاتب لكل الف إنسان . والمفروض ان يكون فى بلد مثل مصـر ٤٢ الف كاتب ومع ذلك إذا اقتربنا من الواقع سنجد ان الكتاب الموجودين وينشرون فعلا لا يتعدون ٤٠ كاتبا فقط .

د . يوسف إدريس

● ازمة النقد الأدبي عندنا هي جزء من المأزق العربي العام فى الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد .

محمد على شمس الدين

● السينما العربية تمر بحالة اكتئـاب نفسي !

المخرج السينمائي
حسين كمال

● إن معاملـة اسرائيـل لأهل الضفة الغربية تشبه معاملة النازية لليهـود .

لورد كارينجتون
وزير الخارجية البريطانيـة

الحياة والموت في بحر ملون

السمكة التى اكتشفت أسرار البحر الأحمر

بقلم :
صنع الله إبراهيم

لايمكن ان يخطر ببال احد ان هذه الشجرة لا تربطها صلة بعالم النبات ، وانما هي مستعمرة من المرجانيات القرنية الحمراء ، التى تعتبر من ابرز حيوانات البحر الأحمر التى تعيش على عمق عشرين مترا تقريباً من السطح .

مثل هذه الصورة لا يمكن التقاطها بالنهار . ففي الليل فقط تتمدد البوليبات المرجانية (تظهر بوضوح الى يمين الصورة) ، وتنبسط لوامسها التي تبدو كبتلات الزهور ، وتنشط لتصيد الكائنات الدقيقة الهائمة .



السمكة التي اكتشفت أسرار البحر الأحمر

ليس بوسع أحد أن يجزم بشأن جذور السلوك الذى انفردت به سمكة «أبو دقن» الصغيرة رقم ٢٩٩٩ .

فما اتسمت به هذه السمكة بالذات من طباع ، لا يعتبر من خصائص النوع كله، الذى ينتشر بين الشعاب المرجانية فى البحر الأحمر ، ويكتسي افراده لونا أصفر يتحول الى الوردى إذا ما توغلت السمكة فى الأعماق ، كما يتميزون برؤوسهم المسحوبة على شكل رأس العنزة ، وبالزائدتين اللتين مثل اللحية من مقدمة الفك السفلي لكل منها .

ومن ناحية اخرى ، فان التجارب القليلة التى مرت بها منذ تحولها من بيضة الى سمكة بالغة ، لا يمكن أن تكون وحدها المسئولة عن تميزها بطباع خاصة عن آلاف غيرها من أبناء وبنات نفس الأم والأب . فهي تجارب مشتركة ، تتعرض لها أغلب الأسماك الصغيرة .

ولعل من الأوفق القول بأن البيضة التى وضعتها «أم دقن» الأم فى شق بين الشعاب ، داخل شريط طوله عدة أقدام يحتوى على ٤٩,٩٩٩ بيضة ، تشكلت المواد المكونة لخلاياها بنسب معينة ، جعلتها تستجيب بصورة معينة لما تعرضت له من مواقف مفعمة بالأخطار !

أول وجبة

وقد تلاحقت هذه الأخطار من الوهلة الأولى .

فلم تمض دقائق على وضع البيض ، حتى جرفت المياه عدة آلاف منه ، انضمت الى مجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة ، تصعد وتهبط معها فى حركتها اليومية التى تنظمها حركة الشمس .

وبين عدة ملايين بيضة من نفس النوع ، قضت البيضة رقم ٢٩٩٩ عشرة أيام من الحياة الحرة ، متخبطة هنا وهناك ، مفلتة بمعجزات حقيقية من عمليات الافتراس التى أودت بعدة آلاف من أخواتها .

وخلال ذلك تكونت السمكة الصغيرة داخل كيس المح ، الذى أبقاها طافية فوق ظهرها ، الى أن اكتمل نموها ، فانكمش الكيس وتقلص ثم انفصل . وعندئذ استطاعت السمكة الصغيرة التى لا يتجاوز طولها سنتيمترين أن تعتدل لتستقر ببطنها فوق المياه ، فى الوضع الذى سيرافقها حتى النهاية .

وعلى الفور انفرج فمها ثم انغلق ، مبتلعا المياه فى بحث غريزى عن الأوكسجين اللازم للتنفس . فقد مرت المياه فوق صفوف من خيوط تحتوي على



أحد انواع الأسماك الهلامية وهي من اقارب البوليبات المرجانية .

لقطة نادرة لمجموعة من البوليبات المرجانية وقد بدت مثل باقة من الزهور. وترجع الوانها الزاهية الى تأثير النباتات الدقيقة التى تعيش داخل الكؤوس المرجانية ، وتبدو فى الصورة افواه البوليبات وقد احاطت بها اللوامس المتعددة .

شعيرات دموية ، امتصت الأوكسجين الذائب فيها ثم شحنتها بما لديها من ثاني أوكسيد الكربون . واتجهت المياه مباشرة الى فتحتين مغلقتين على جانبي السمكة هما فتحتا الخياشيم . فما إن بلغتهما حتى ارتفع الغطاء العظمي لكل منهما ، سامحاً للمياه بالعودة الى البحر

احدثت هذه الحركات البسيطة تموجات خفيفة للغاية وسط المياه المحيطة بالسمكة ، ضغطت عليها ، فتطلبت منها ضغطاً مضاداً . هكذا بذلت ٢٩٩٩ أول محاولة لتحريك عضلاتها وزعانفها ، فعامت .

وفى الحال تبينت انه لابد من دفع المياه ،، وانها لهذا يجب أن تتلوى يساراً ويميناً الى الأمام كالأفعى ، فتزيح المياه جانبا برأسها وانثناءة جسدها وذيلها المرن ، وتوجهها الى الخلف ، حيث



يعيش هذا الدود داخل انابيب جيرية من افرازاته ، بينما يلتقط طعامه ويتنفس بواسطة لوامس مروحية يمكن سحبها داخل الانابيب عند اي خطر

تتجمع عند الذيل ، ضاغطة على جسدها ، دافعة إياه إلى الأمام .

لكن الزعينفات البارزة من ظهرها ، وجوانبها كانت أضعف من أن تواجه تيارات الماء ، فكفت عن محاولة الحركة ، وتركت نفسها للماء ، فطفت قريباً من سطحه بين جيرانها من سكان مجتمع الكائنات الدقيقة .

وجعلها المجهود تشعر بالجوع . ولم تجد أية صعوبة فى العثور على ما يؤكل . فالمياه الجارية فى فمها فوق خياشيمها ، حاشدة بالنباتات وحيدة الخلية ــ وهى الطحالب المسماه بالدياتومات ــ وباعداد غفيرة من بيض الأسماك الاخرى والقواقع والقشريات . وقد قامت مصفاه خاصة تقع قرب البلعوم ، باحتجاز هذه الكائنات الدقيقة ومنعها من الانسياب الى الخارج ، وسرعان ما انزلقت الى معدة السمكة .

طعم الدماء

كان الطعام متوفراً للغاية ، لا يتطلب من السمكة ٢٩٩٩ سوى جهد الالتقاط .

لكن المائدة الحافلة حوت ، بالاضافة الى الطحالب الدقيقة ، يرقات شفافة وجمبريات صغيرة ، وقشريات غيرها فى حجم البرغوث .

وكان ثمة جاذبية خاصة فى هذه القشريات ، بسبب اجسامها المستديرة وسيقانها الشبيهة بالمجاذيف ، التى تخفق فى ارتعاشات متتابعة اثارت اهتمام السمكة الصغيرة وفضولها . وكان لها مذاق متميز رائع .

ونسارع بالقول ان السمك لا يملك حاسة للذوق بالمعنى الانسانى ، وإنما تنتشر براعم التذوق الدقيقة على الرأس والجسد الخارجى والذيل والزعانف ، فتميز بين انواع الأطعمة من قبل أن يبتلعها الفم .

كانت القشريات اللذيذة ، دائبة الحركة ، واضطرت السمكة ٢٩٩٩ لأن تندفع خلفها . وبالتدريج اكتشفت انها لو حركت زعنفتيها الصدريتين قليلا امكنها أن تتقدم الى الأمام ، وإذا مدتهما فى زاوية قائمة مع جسدها توقفت فجاة . وأن الزعنفة البطنية هى التى تساعدها على الانثناء فى الماء ، وكل من الزعنفتين الظهرية والحوضية أو الشرجية ، تحميها من التعرج اثناء العوم .

وتتابعت الاكتشافات المثيرة .

فثمة كيس بداخلها ، اذا امتلأ بالهواء ثقل جسدها وغاصت الى اسفل ، واذا خف صعدت .

وعلى جانب جسدها خط من الخلايا الحساسة ، القادرة على التقاط أدق الذبذبات البعيدة فى الماء ، والتمييز ــ بالتعاون مع الخياشيم ــ بين درجات



مستعمرة كبيرة بعض الشيء من المرجان اللين ، وتظهر الفروع البيضاء للمستعمرة بين الصخور وفوقها تلك البوليبات الدقيقة التي تنتهي بلوامس كالأهداب .

الملوحة والحرارة ، والأماكن المختلفة بالتالى .

ولم تقتصر اكتشافاتها على امكانيات جسدها وأعضاء مجتمع الكائنات الدقيقة ، فسرعان ما تعرفت على سكان البحر الكبار .

فقد اندفعت تطارد جمبرية صغيرة ، عندما ألفت نفسها وجها لوجه امام كائن ضخم ، تخطف ألوانه البصر .

وما بدا لها كائنا ضخما ، لم يكن سوى واحد من سمك الصندوق الذى ينفرد بين أسماك الشعاب المرجانية بهيكل عظمى على هيئة الصندوق يحيط بكل جسمه ، ويكبله بحيث لا يسمح بالحركة إلا للزعانف وقاعدة الذيل .

كان ثمة ما يبعث على الخوف فى فم الصندوق الذى انفرج كاشفاً عن عشر أسنان فى كل فك . لكن السمكة ٢٩٩٩ لم تفكر فى الابتعاد ، واوشكت ان تنزلق بين فكى الصندوق لولا أن حملته موجة قوية مفاجئة بعيداً .

وتلاحقت الأحداث بسرعة .

فقد ألفت السمكة ٢٩٩٩ نفسها محاطة بسحابة كثيفة من الحيوان القشرى شبيه الجمبرى الذى يعرف باسم الروبيان ويتميز بعيونه الكبيرة . ولم يكن الروبيان يتغذى على الكائنات الدقيقة ، ولا كان طافيا فى طمأنينة ودعة ، وإنما كان يندفع الى الامام بأقصى ما يملك من سرعة مستعينا بأرجله السابحة التى تفلطحت وتحولت الى شفرات مجاذيف ، هرباً من الأفواه الفاغرة لفوج من أسماك الرنجة الجائعة وبعضه كان يقفز خارج الماء فتتلقفه طيور النورس المنتظرة .

ومن الطبيعى أن السمكة ٢٩٩٩ لم تتبين شيئاً من هذا كله وسط الاضطراب العنيف الذى ساد المياه ، لكنها اصيبت بذعر حقيقى عندما أبصرت احدى أسماك الرنجة ، الفاغرة الفاه ، تشق المياه نحوها بسرعة فائقة .

وضاعف من ذعرها انها كانت منساقة نحو الفم الفاغر ، عاجزة عن المقاومة .

أصبحت أخيراً على بعد سنتيمترات من فم الرنجة ، وكادت تنزلق اليه مع تيار ماء امتصته السمكة ، لولا أن الأخيرة تعرضت الى لطمة عنيفة من زميلة لها كانت مندفعة فى رعب ، ومن خلفها بقية الفوج .

وما حدث بالضبط لم تعلمه غير النوارس التى حلقت على مقربة من سطح البحر .

فهى أول من لمح السمكة الكبيرة التى تجاوز طولها المترين ، وخلا جلدها من الحراشيف ، وهى تمرق تحت سطح الماء دون أن يبرز منها خارجه سوى الزعنفة الخلفية الطويلة ، والفص العلوى من



لقطة مكبرة لبوليب مورجاني يلتهم قطعة من ...

زعنفة الذيل .

وهى التى ميزت السيف الطويل الذى يمتد من راس السمكة مسافة المتر . وتابعت صاحبته وهى تقتحم صفوف الرنجة .

لكنها لم تر شيئاً مما حدث بعد ذلك بسبب الاضطراب العنيف الذى ساد المياه والرذاذ الذى ارتفع فوقها حاجباً الرؤية . واضطرت النوارس للاقتراب ، وقد اثارت المذبحة المرتقبة انفعالها ، فاستقر بعضها بارجله فوق سطح الماء . وعندئذ رات السيف تهاجم وتدور وتطعن ، يساراً ويميناً ، فى حركات مجنونة ، وسط صفوف الرنجة الهاربة .

هدأت المياه التى غطتها الرغاوى البيضاء بعد قليل ، فطفت على السطح عشرات من اسماك الرنجة الجريحة ، والاخرى التى لم تصب بشيء وإنما شلها الخوف ، فعامت فى ذهول لتمسكها «السيف» بسهولة ويسر .

اصطبغ الماء بلون الدم الذى انتشر فى ثناياه على هيئة بقع داكنة . وتسلل الى فم وخياشيم السمكة ٢٩٩٩ طعم جديد هو طعم الدماء !

داخل الفم المفترس

كان اول رد فعل غريزى لمذبحة الرنجة من جانب السمكة ٢٩٩٩ ، هو الابتعاد بسرعة عن المكان الذى انتشر به مذاق الدم .

ورد الفعل الغريزى الثانى هو الانكماش فى مكان امن .

وقد اعتمدت فى بحثها عن هذا المكان الذى قادها الى اسفل بعيداً عن الضوء ، على ما يحمله اليها الخط الجانبى من احاسيس ، أكثر مما اعتمدت على عينيها المحدودتى الرؤية ، اللتين لا يتجاوز مدى ابصارهما امتاراً قليلة .

هبطت فى محاذاة حقل عمودى من كائنات لينة على شكل نباتات ، اتخذ كل ساق منها لوناً مختلفاً . ومرت اسفل حدائق معلقة كالمظلات ، من مراجين صخرية ، وسفنجيات على شكل اقماع متشابكة ، وكرات من الطحالب الخضراء فى حجم قبضة يد الانسان ، واسماك متنوعة الزخارف والالوان .

كانت تسبح فى عالم ازرق ذى صبغة خضراء . ولم تكن لتميز اللون الاحمر ، فهو والظلام الكثيف ، بالنسبة لها ، سواء . لكنها تبينت اللونين الاصفر والاخضر بسهولة .

استقرت فوق درجة بارزة من درجات الشعاب ، ودفنت نفسها فى اول شق قابلها .

كان الخوف مازال مستولياً عليها . فقد ايقظت تجربة المذبحة ذكرى إحساسات مبهمة بالخطر ، اختزنها الجهاز العصبى الرقيق عندما كان اسيراً لكيس المح ، تتلاطمه الامواج وتدفعه



(تحت المجهر تبدو القطرة الواحدة من مياه البحر أشبه بلوحة تجريدية من أشكال متسقة ليست سوى دياتومات أو طحالب دقيقة للغاية) .

هنا وهناك ، معرضة إياه للالتهام فى اية لحظة .

تركزت كل احاسيسها فى محاولة تحديد ما يجرى خارج الشق . وعند اية حركة مفاجئة ، كانت تدفن نفسها اكثر .

لكن الانفعال الذى تعرضت له ضاعف من نشاط جهازها الهضمى . وعجزت الكائنات الهائمة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر ، عن إشباع جوعها .

وبعد ساعات طويلة لم تعد تحتمل الجوع . فجازفت بالخروج من مكمنها .

كان الظلام الكثيف يسود الماء . فعامت الى جوار حائط الصخور والمراجين الذى بدا ممتدا الى ما لا نهاية . وعندما التقطت حواسها ذبذبات مألوفة ، اتجهت نحو مصدرها .

عامت الى جوار كتلة من الصخور المتلاحمة تغطيها مرجانيات متفرعة حتى اشرفت على مجموعة من الديدان ، تعلقت فى الصخور بمؤخراتها ، ودلت رؤوسها فى الماء وقد انفرجت افواهها لتلتقط الدياتومات الميكروسكوبية بواسطة مراوح دائبة الحركة من الريش تحيط برؤوسها .

اجفلت السمكة ٢٩٩٩ من حركة المراوح ، فابتعدت عنها ، واتجهت نحو حشد من القشريات الصغيرة ، فالتقطت احداها وسحقت جسدها الشفاف على سقف فمها قبل ان تبتلعها . ثم التقطت قشرية ثانية وثالثة .

شجعها هذا الصيد السهل على مطاردة واحدة ممتلئة ، فاندفعت خلفها الى أعلى حتى اقتربت من سطح البحر . وفجاة ومض امام عينيها ضوء ساطع اكتسح الماء ثم تلاشى . وتبعه على الفور وهج فى الوان قوس قزح ، استقرت فى أعلاه كرة بيضاوية ، يصدر عنها وميض فسفورى واهن .

اجتذبها الضوء فتقدمت منه فى فضول دون أن تعرف ، بالطبع ، أنها فى حضرة واحدة من أخطر الكائنات المفترسة على سطح البحر .

كان ثمة جماعة كبيرة من هذه الحيوانات الطافية ، التى تسمى احيانا بعنب البحر ، لأن الواحدة منها تشبه فى شكلها وحجمها حبة من حبات هذه الفاكهة .

لكن الاسم الذى تعرف به عادة هو الهلاميات المشطية ، أو حاملات الأمشاط . ذلك أن حبة العنب التى يتألف منها جسد الحيوان ، تعوم بواسطة ثمانية صفوف من أهداب متلاحمة على هيئة الأمشاط ، تتحرك فى الماء كما تفعل مجاذيف السفن الشراعية القديمة .

أصبحت السمكة ٢٩٩٩ على مبعدة نصف متر من الحيوان الغريب ، الذى كان يتحرك ببطء بالدوران حول نفسه الى



توجد فى البحر الاحمر عدة انواع من سمكة الصندوق اشهرها هذا النوع المعروف باسم ابو صندوق النخر .

الخلف ثم الامام ، وهو يصدر ضوءا اخضر اللون .

ومن السطح العلوى لجسم الحيوان – الذى لا يزيد طوله عن سنتيمترين – امتد فجاة لامسان رفيعان ، فى سمك الشعر ، اخذا يستطيلان حتى بلغا السمكة الصغيرة فالتفا حول ذيلها .

جذبت السمكة ٢٩٩٩ جسدها بعيدا ، لكن هذه الحركة ضاعفت من قبضة اللامسين ، فقد كانا مغطيين بخلايا دقيقة تفرز سائلا صمغيا ، يلزق بالفريسة ، فلا تملك منه فكاكا .

وعلى حين غرة ، اخذ اللامسان يتقلصان ، ويتضخمان فى الوقت نفسه ، حتى اصبحا فى سمك خيط سنارة الصيد ، جاذبين السمكة العزلاء الى الفم المفترس الذى توسط سطح الحيوان السفلى ، مستقرا فوق الماء .

وتعلقت عينا السمكة ٢٩٩٩ بوهج فوسفورى ، كاد يعميهما ، انبعث من الامشاط الممتدة على جسد الهلام ، بالصورة التى تمتد بها خطوط الطول على سطح الكرة الارضية .

وللمرة الثانية خلال ساعات قليلة ، كانت السمكة ٢٩٩٩ على شفا الهلاك .

ومن حسن حظها ، أن الهلام المفترس كان قد امسك بسمكة اخرى قبل نصف ساعة فحسب . ولم يكن قد تمكن بعد من ابتلاعها كلها ، فظل ذيلها بارزا من فمه . وكان على السمكة ٢٩٩٩ أن تنتظر بين طيات اللامس حتى ينتهى من هضم السمكة الأولى بالتدريج .

هكذا كانت على قيد الحياة ماتزال ، عندما ظهرت سمكة سوداء مندفعة كالطوربيد ، فتحت فمها لتبتلع الكتلة المؤلفة من الحيوانات الثلاثة ، ثم فتحته مرة اخرى فى تقزز لتلفظ الهلام المشطى ، وقد تقطعت اوصاله ، بحيث انفصل اللامس المحيط بام ذقن وفقد لزوجته ، فتحررت سجينته !

مصادفات البحر

خرجت السمكة ٢٩٩٩ من هذه التجربة برضوض عديدة فى زعانفها ، فشقت طريقها فى إعياء ، باذلة جهدا بالغا للمحافظة على توازنها ، هابطة الى حيث يوجد الشق الذى اكتشفته بين الشعاب .

لم تجد مشقة فى الاهتداء اليه ، مسترشدة بشبكة من المعالم الدقيقة المختزنة فى ذاكرتها الضئيلة ، تتالف من ذبذبات وتيارات معينة ، وتغيرات طفيفة فى درجات الحرارة والملوحة . وما إن بلغته حتى ولجته فى حذر ، واستلقت على جانبها وهى تتنفس بسرعة .

ظلت فى مكانها طوال اليومين التاليين ، لم تغادره إلا مرة واحدة كى تعتدل على جانبها الآخر . وتحسنت صحتها بالتدريج فاستعادت شهيتها للأكل . وقنعت فى البداية بالكائنات



مجموعة من اسماك البحر الاحمر تضم سمكة السيف الشهيرة ، وفوقها ثلاث سمكات كبيرة من نوع التونة . وتظهر ثلاث من اسماك الرنجة الصغيرة الى اقصى ال

الشاردة التى تحملها المياه الى الشق بين الحين والآخر . وأسعفها الحظ فعثرت بكتلة متماسكة من بيض القواقع ذات مرة ، وفى مرة اخرى أمكنها أن تلتقط جماعة من الدود السمين غادرت مكامنها فى انفعال عندما اشتمت رائحة ثعبان بحرى جريح .

لكن هذه المصادفات السعيدة لم تكن تتكرر كثيرا . واضطرت أن تلجأ الى الطين الناعم الذى يحيط بها ، فتاخذ منه ملء فمها ، وتطحنه على مهل بين فكيها مثل البقرة ، الى أن تستخرج ما به من طحالب دقيقة لا تغنى او تسمن .

وفى صباح اليوم الرابع لحادث الهلام المشطى ، احست بموجة مفاجئة تصطدم بخطوطها الجانبية . وتبعتها موجات أخرى متباينة الأثر . وبدا للسمكة المنكمشة فى شقها ، وجه شبه بين الضغط الناشىء عن هذه الموجات ، وذلك الذى احدثته المعارك التى شهدتها فى الأيام القليلة الماضية .

استولى عليها انفعالان متعارضان . فبقدر ما أوحت ذبذبات المياه بالخطر ، أوحت أيضا بالطعام بفريسة مبتعدة أو تصارع صائدها .

وتغلب شعورها بالجوع على خوفها ، فأبرزت رأسها من الشق وهى تمتص المياه يمينا ويسارا ، لتتعرف على مصدر «الأصوات» التى تتلقاها . ولم تلبث أن غامرت بالخروج ، وعامت نحوه فى فضول .

اعترضتها صخرة بارزة تغطيها اسفنجيات داكنة ، فدارت حولها فى بطء ، ثم جمدت مكانها .

ألفت نفسها أمام جماعة من الأسماك المختلفة الأحجام والألوان يغلب عليها اللون الأصفر ، وتتدلى من ذقونها تلك الزوائد الجلدية التى تملك السمكة ٢٩٩٩ اثنتين منها .

أحاطت بها الأسماك الملونة ، وهى ترمقها بفضول ، ثم اقتربت منها فاغرة الأفواه .

لم يطرأ أى تغيير على عينى السمكة ٢٩٩٩ ، اللتين تشبه حدقتاهما حلقتين معدنيتين تدوران ببؤبىء العينين . لكن العدستين انتقلتا قليلا الى الأمام ، حتى أمكنهما التركيز على الأفواه المقتربة .

شعرت بعدد منها يستقر فوق أطرافها ثم ينطبق عليها ، كانما يهم بالتهامها .

وصدرت عن كل فك ضغطة خفيفة ، استمرت لحظات ، ثم توقفت .

وتكررت الضغطة عدة مرات .

وتبينت السمكة ٢٩٩٩ ، أخيرا ، أن الأسماك الملونة تلعق جسدها .

وحقيقة الأمر أنها كانت تمتص الافراز الرغوى الذى يغطى أجساد الأسماك ، ليحميها من الصدمات ويساعدها على العوم .

وسواء تبينت الأسماك أمر السمكة ٢٩٩٩ عندئذ ، أو أنها عرفت فيها ، من



صورة مكبرة لاحدى القشريات الصغيرة التى لا يزيد حجمها الطبيعى عن حبة ارز ، وتعرف باسم برغوث البحر .

الوهلة الأولى ، قرينة من نفس النوع بل والجماعة ، فانها كفت فجاة عن امتصاصها ، ثم استدارت مبتعدة .

سكن روع السمكة ٢٩٩٩ ، وبدات خياشيمها تعمل فى قوة ، واذا بها تشعر باضطراب عنيف فى المياه . وبطرف عينها رأت احدى سمكات «أم دقن» الصغيرة تندفع نحوها فى سرعة البرق .

لم يكن ثمة شك فى أن هدف السمكة الأخرى هو الاصطدام بجانبها . لكن السمكة ٢٩٩٩ بوغتت بالأمر فلم تتمكن من الابتعاد ولو قليلا . وكانت السمكة الأخرى هى التى انحرفت فى الوقت المناسب ، دون أن تنقص من سرعتها ، فمرقت أسفلها ، محدثة موجة صغيرة لطمتها بشدة .

دارت رأس السمكة ٢٩٩٩ من الصدمة ومضت لحظات فقدت فيها كل قدرة على الادراك ، حتى شعرت بالسمكة الأخرى تدفعها برأسها فى جانبها ثم تقرض طرف ذيلها .

ايقنت السمكة ٢٩٩٩ بعد قليل أن السمكة الأخرى لا تبغى بها شرا ، وان كل ما تسعى اليه هو قليل من المداعبات التى لا تؤذى ولا تضر . ولم تعرف - بالطبع - انها امام اخت لها من امها وابيها ، تتقدمها قليلا فى العمر ، ويجعلها ترتيبها فى الخروج من البيضة جديرة برقم ٣٧٥ .

ولابد أن نذكر هنا ان الاشارة الى السمكتين بصفة التانيث لا يعين حقيقة جنس كل منهما . ففى مقتبل العمر يستحيل تحديد جنس السمك ، إذ تحتفظ أفراده بمكونات كل من الذكر والأنثى ، الى أن تبلغ مرحلة النضج ، فتتغلب احداهما على الأخرى .

غريزة الجماعة

استجابت السمكة ٢٩٩٩ لدعوة ٣٧٥ مستسلمة لحاجة غريزية لدى كافة الحيوانات فدفعتها برأسها فى جانبها ، وحاولت أن تجذبها من زائدتى ذقنها ، ثم جرت أمامها ، واختفت منها خلف احدى الاسفنجيات ، واخيرا طاردتها بين المرجان إلى أن شعرت ٣٧٥ بالضجر فانسحبت من اللعب . وانطلقت تلحق بجماعتها .

وما إن قطعت ٣٧٥ عدة أمتار ، حتى شعرت بمن ينزلق الى جوارها ، صوبت ذيلها نحوه فى ضيق ، وحاولت الابتعاد. وتراجع الغريب الى الخلف قليلا ، ثم عاود الاقتراب وهو يهز ذيله متوددا .

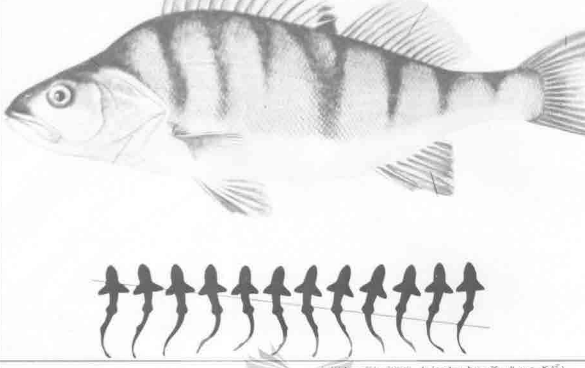
لوت ٣٧٥ جسدها قليلا ، وبطرف عينها تبينت فى الغريب السمكة رقم ٢٩٩٩ .

لم تفهم ما يدفع الأخرى لملاحقتها ، ومن عدم الفهم نبع احساس بالخوف ، فحاولت أن تتخلص منها .

لوحت لها بذيلها مهددة ، فابتعدت الأخرى بسرعة . واستأنفت ٣٧٥ طريقها . وتبينت بعد لحظات أن الأخرى تقتفى أثرها .

لم تكن السمكة ٢٩٩٩ تضمر شرا . كل ما هنالك ، انها التمست شيئا من الطمأنينة والتسلية فى رفقة السمكة الأخرى . وهو شعور يبلغ درجة الحاجة الغريزية لدى أفراد الأنواع التى تعيش عادة فى جماعات .

لكن ٣٧٥ ضاقت بالحاحها رغم انها تبينت فيها واحدة من نفس جماعتها ، بحكم اللحية المدلاة من ذقنها ، والظلال



(تشكل جسد السمكة بحيث يساعدها على الانزلاق بخفة وسط الماء) .

اللونية المشتركة بين جميع الصغار ، والتى ستتحول فى الوقت المناسب الى غطاء كامل من اللون الأصفر الزاهي .

ولعلها حنقت عليها لهذا السبب بالذات . فغالباً ما تكون العلاقات بين أبناء نفس الجماعة من الأسماك ، متوترة أكثر منها بين أفراد الجماعات والانواع المختلفة . وسبب ذلك هو الصراع الذى لا يتوقف بين أبناء نفس الجماعة على توزيع المساكن والمناطق .

لم يكن ثمة مفر من الاشتباك مع السمكة ٢٩٩٩ ، فاندفعت نحوها فى غضب ، وطاردتها عدة أمتار حتى أجبرتها على الاختفاء بين الشعاب .

لكنها لم تكد تبتعد قليلا ، حتى شعرت بها تتبعها عن كثب .

جربت الافلات منها بأن عامت بأقصى ما تملك من سرعة ، لكن السمكة ٢٩٩٩ لاحقتها ، ونجحت فى أن تبقيها فى مجال حواسها .

ولم يلبث اليأس أن انتاب ٣٧٥ ، فاستسلمت للأمر .

وكأنما شعرت السمكة ٢٩٩٩ بما طرأ على موقف الأخرى من تغير ، فتشجعت على الاقتراب منها حتى أوشك رأسها أن يلمس ذيل ٣٧٥ .

فى المستعمرات المرجانية

استقبلتها الجماعة فى غير مبالاة ، بل بشىء من العداء الذى تجلى واضحاً عندما احتلت أحد الشقوق ، فطردتها منه سمكة أخرى أكبر منها ، بعد أن أوشكت أن تمزق لها زعنفتها الظهرية .

وفيما عدا هذا الحادث ، بدا أن الجماعة قد قبلتها بين صفوفها ، وسمحت لها أن تستقل بشق خاص ، وإن كان ضيقاً بعض الشىء ، قريباً من تيارات الماء ، مما يضعها فى طريق المفترسين .

ولم يمض وقت قليل حتى تجلت لها فوائد الحياة الجماعية . فلم تكن مضطرة لركوب المخاطر سعياً وراء الطعام ، إذ كان عبء اتخاذ القرار يقع على عاتق الجماعة ، الذى يعرف أماكن الطعام وأسرار الشعاب .

لهذا تسبح الجماعة كلها كتلة واحدة وقد تلاصقت رؤوس البعض بذيول غيرهم ، واتجه انتباه الجميع الى القائد فمن تصرفاته يدركون ما يحدث ، وما يتعين عمله . فهم يعرفون اندفاعاته السريعة عندما يرى شيئاً ذا بال ، والتماع زعانفه الصدرية وخطه الجانبى عندما يستدير على جانبه ليضرب عدواً ، والحركة السهلة لذيله المتارجح عندما يركب التيار فى ظل صخرة منتظراً ، أو بروز زعنفته الصدرية الى الأمام اشارة الى أنه رأى عدواً ، وأنه يستعد للاختفاء فى حفرة يعرفها الكل .

وأهم ما فى الأمر ، أن التجمع المشترك يحمى الأفراد جميعاً من المفترسين . إذ أن السمكة المفترسة ترتبك فى مواجهة كتلة من الأسماك المتراصة ، ولا تتمكن من فريستها ـ عادة ـ إلا اذا انفردت بها .

مما جعل أسماك الشعاب المرجانية تفضل الحياة الجماعية . نظراً لكثرة المفترسين المحليين والعابرين ، ولامكانيات الاستقرار المتاحة ، وإن كان بعض الأفراد يميلون للانفصال عن الجماعة والاستقلال بذواتهم ، حالما يتجاوزون أطوار الطفولة والصبا .

على أن ما أثار اهتمام السمكة ٢٩٩٩



فوج صغير من اسماك « ابو دقن » المعروفة باسماك العنزة .

بالحياة وسط الفوج ، هو ما اتاحته لها من فرص اللهو والعبث .

فقد كان افراده ، فيما يبدو ، مغرمين بلعبة الاستخفاء ، فكثيرا ما ينطلقون خلف بعضهم البعض ، فى مطاردة طويلة بين الفروع الصخرية ، يتعمد اسرعهم خلالها الابطاء حتى يلحق به الآخرون ، فيغافلهم فجاة ، ويتقدم عنهم ثم يختبىء فى احد الشقوق او خلف فرع مرجانى وينتظر ان يعثروا عليه ، او يثير دخانا كاذبا من الرمال البيضاء المتناثرة فى أكوام فوق درجات الشعاب واسفل المستعمرات المرجانية ، ويستغله فى الاختفاء عن زملائه .

خطوة جريئة

مضت الحياة بالسمكة ٢٩٩٩ هنيئة وادعة ، لا يعكر صفوها غير شىء واحد .

وسواء كان الأمر راجعا لما خلفته التجارب الأولى فى الحياة من خوف وذعر ، او ان وجودها وسط الجماعة قد كشف عن استعداد طبيعى عندها للتواكل والاعتماد على الآخرين ، او ان تكوين جسدها ذاته جعلها ثقيلة الحركة بطيئة التصرف ، فان اقرانها كانوا يسبقونها دائما الى الصيد والتهام ثماره .



صورة اخرى للنباتات الدقيقة الهائمة كما تبدو تحت المجهر .

فاذا لمحت احدى القشريات واتجهت نحوها ، كانوا أسرع منها الى التقاطها ، واذا خرجوا فى رحلة جماعية للصيد ، أوقعوا بالفرائس والتهموها قبل ان تتمكن من الاشتراك معهم ، ولا تجد أمامها حينما تفعل سوى الدماء والقشور والعظام المتناثرة .

وبالتدريج اقلعت عن الاشتراك فى حملات الصيد الجماعية ، بل وعن اى مغامرات فردية فى هذا الشأن ، اللهم إلا اذا كانت الفريسة فى متناول فكيها ، ولم يكن هناك خطر ، وكان بعض الأفراد على مقربة ، تفصلها عنهم مسافة كافية ، تجعلها بمأمن من شرهم ، وتتيح لها فى الوقت نفسه أن تحتمى بهم عند اللزوم .

والنتيجة انها بدأت تعانى من الجوع .

وكانت منذ التحاقها بالفوج ، حريصة على أن تكون قريبة من السمكة رقم ٣٧٥ التى قادتها اليه ، رغم التناقض الذى تجلى بمرور الوقت بين «شخصيتيهما» ، أو ربما بسببه . فبقدر ما كانت السمكة ٢٩٩٩ خاملة ، وادعة تهاب المغامرة ، لا يساروها فضول أو رغبة فى المعرفة ، كانت السمكة ٣٧٥ على عكسها ، متوثبة نشاطا وحيوية ، دائبة الحركة ، لا تتوقف عن محاولات الاستكشاف ، ولا تتراجع امام الخطر .

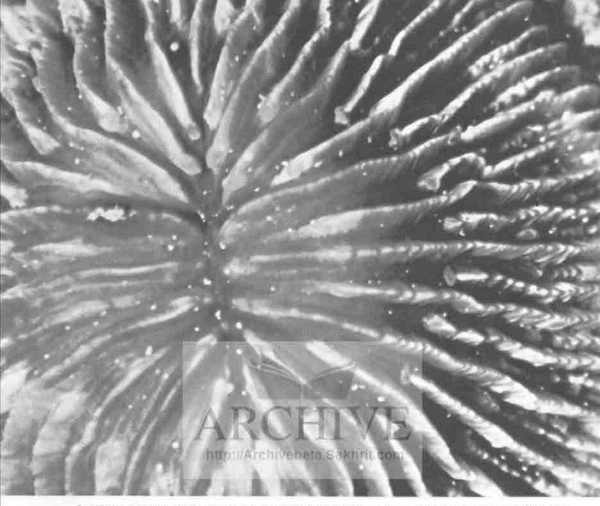
وكثيراً ما كانت السمكة ٣٧٥ تغادر الجماعة ليوم أو بعضه ، كأنما تستعد للحظة قريبة تستقل فيها بنفسها ، فتطارد سرطانا وحيداً أو تستكشف كهفا مجهولا . وساعدتها هذه المغامرات اليومية على الاحتفاظ برشاقتها ، وخفتها ، وسرعة بديهتها . فبغير زملاء يمكن ان يساهموا فى ارباك العدو ، كان مصيرها يتوقف على مقدار ما تبدى من دقة فى الملاحظة ، وسرعة فى التصرف .

ودفع الجوع السمكة ٢٩٩٩ ذات يوم للاقدام على خطوة جريئة للغاية . فقد تبعت السمكة ٣٧٥ عندما رأتها تبتعد عن الفوج . وحالفها الحظ ، إذ قادتها السمكة ٣٧٥ الى فجوة بين الصخور ، اختفت مياهها تحت ستار من الجمبريات الصغيرة الشهية .

انتظرت السمكة ٢٩٩٩ حتى تقدمت السمكة ٣٧٥ من الفوج وبدأت فى التهام افراده . وعندما اطمأنت الى انه ليس هناك خطر ما ، تشجعت على الاقتراب ثم التقطت أقرب الجمبريات اليها .

ملأت السمكة ٢٩٩٩ بطنها لأول مرة منذ زمن بعيد . وعادت الى مسكنها راضية .

ومنذ تلك المغامرة ، لم تدع السمكة الأخرى بعيداً عن ناظريها لحظة واحدة ،



يشبه هذا المرجان نبات القطر المعروف ولهذا يسمى باسمه . هو لا يفرز جيرا ، كما انه يعيش فى مستعمرات . ولا تظهر البوليبات فى هذه الصورة

ولزمتها فى حلها وترحالها ، بعد ان وجدت فى مرافقتها حلا مثاليا لمشكلتها .

لكن السمكة ٣٧٥ التى لم تبد اهتماما بالامر فى البداية ، لم تلبث أن ضاقت ذرعا بوجود السمكة ٢٩٩٩ دائما قرب نيلها ، ومشاركتها إياها فيما تجنيه من صيد . وفى أكثر من مناسبة ثار غضبها ، فاندفعت اليها ، وصوبت اليها لطمة براسها ، تلقتها الاخرى فى هدوء واستسلام دون ان تبتعد عنها ، او تقلع عن تتبعها .

وما وقع بعد ذلك كان نتيجة محتومة للشخصية التى كونتها الظروف للسمكة ٢٩٩٩ ، وإن بدا كانه مكيدة من تدبير السمكة ٣٧٥ ، (وهو امر غير صحيح بحكم القدرات العقلية المحدودة للاسماك عامة) .

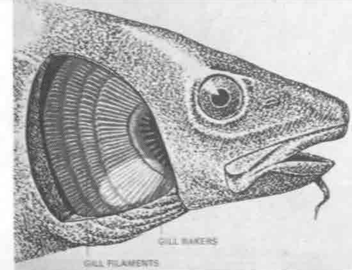
الأسماك الشفافة

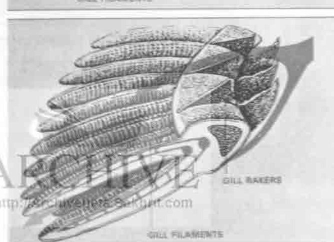
فقد كانت السمكة ٣٧٥ تعوم ذات مساء على عمق عشرين مترا من سطح الشعاب ، فى الطريق الى مساكن الفوج ـ تتبعها السمكة ٢٩٩٩ كالعادة ـ عندما اشرفت على عدة مستعمرات من المرجانيات اللينة تجمعت فوق قطعة صخر لا يتجاوز قطرها القدم .

وتختلف هذه المرجانيات عن غيرها بأن بوليباتها (اى اجسادها الصغيرة العمودية التى تنتهى من اعلى بقرص عمودى يتوسطه فم دقيق وتحيط به لوامس متفرعة) لا تفرز هياكل صخرية ، وان كلا منها يملك ثمانية لوامس او مضاعفاتها بدلا من ستة ومضاعفاتها فى حالة المرجانيات الاصلية ذات الهياكل الصخرية .

وبسبب الظلام السائد ، كانت البوليبات متمددة ، تتدلى بلوامسها المنبسطة من فروع المستعمرة ، التى لا يزيد قطر كل فرع منها عن سنيتمتر ونصف سنتيمتر ، ولا يتجاوز طوله ثمانية سنتيمترات . اما البوليبات نفسها فلا يزيد طول الواحد منها ـ دون اللوامس ـ عن سنتيمترين ، ويبعد عن اقرب زميل له عدة ملليمترات .

وفى قليل من الضوء ، تكشف هذه





رسم توضيحي لخياشيم السمكة وتركيبها . وفي القسم الاعلى من الرسم تظهر الفتحة الخيشومية عارية بعد نزع غطائها ، وداخلها المصفاة التي تحتجز جزئيات الطعام ، وشبكة الخيشومية التي تظهر في الجزء الثاني من الصورة تتخللها شعيرات دموية (السهم الاحمر) هي التي تمتص الاوكسجين من المياه المتدفقة .

البوليبات عن أجساد شفافة داخل البعض منها ذرات مستديرة سمراء اللون ، عبارة عن نباتات دقيقة ، ليس لها جذور أو سيقان او أوراق ، لكنها تستطيع القيام بعملية كيميائية معقدة ، فتحول ثاني أكسيد الكربون والأملاح التي يتخلص منها جسد البوليب الى ما يحتاج اليه من سكريات وبروتينات .

اقتربت السمكة ٣٧٥ من احدى المستعمرات التي تضم بضعة عشرات من البوليبات ، ودارت حولها ، وهي تدرس الحيوانات الصغيرة التي كانت لوامسها تنطوي وتنبسط في ايقاع متسق .

كانت تعرف من تجاربها ، أن هذا النوع من البوليبات لا يؤذي أحدا ، لأنه يعتمد في طعامه على الطحلب المزروع داخل انسجته . لكن لوامسه لم تفقد الخاصية الوظيفية التي تتمتع بها كافة لوامس الحيوانات المرجانية الأخرى وأشباهها من الحيوانات البحرية ، من الشقائق الى الأسماك الهلامية . فما ان يقترب منها كائن حي حتى تنطوي فوقه وتحتجزه فوق سطح القرص الذي تتوسطه فتحة الفم الدقيقة .

وهنا لا يسع الحيوان المسالم إلا ان يحاول التخلص من هذا الكائن ، فيضخه بفمه الى الخارج في قوة . وفي أغلب الحالات لا ينجح في ذلك من أول محاولة ويضطر الى تكرارها عدة مرات ، يتحول خلالها الكائن الغريب الى عجينة دائرية على شكل القرص .

وخلف هذه العجينة الجاهزة للهضم كانت السمكة ٣٧٥ تسعى .

وقد وجدت بغيتها بسهولة لدى احد البوليبات ، لكنها لم تكد تهم بالتقاط العجينة الشهية من بين اللوامس المنطوية ، حتى كان البوليب قد ضاق ذرعا بفشل محاولاته في التخلص منها ، فمال بجسده كله جانبا ، وانبسطت اللوامس مرة واحدة ، فسقطت العجينة في الماء .

التقطت السمكة ٣٧٥ العجينة الدائرية من الماء ، فابتلعتها ثم مضت بين البوليبات ، تلتقط العجائن المماثلة . وعندما اكتفت لجأت الى معابثة البوليبات بأن ترقد بين لوامسها ، فتنطوي هذه فوقها على الفور وتحاول جذبها الى الفم ، بينما ينكمش البوليب ذاته . وبعد لحظات تنبسط اللوامس من جديد ، ويتمدد البوليب ثم يميل جانبا ، وبخفقات متسارعة من اللوامس يلقي بالسمكة بعيدا ، دون أن يمسها أذى .

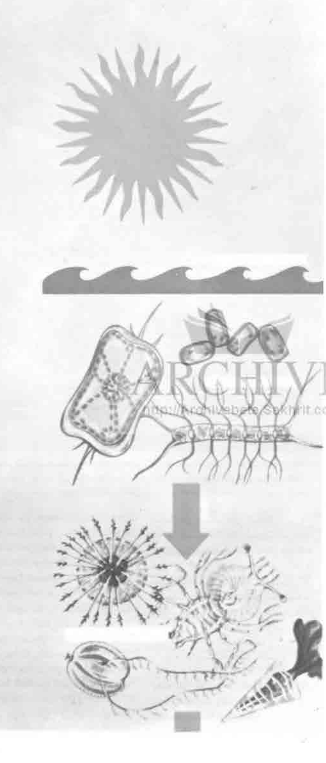
الحادث

تابعت السمكة ٢٩٩٩ كل هذا وهي على مسافة آمنة تكفيها شر كل من السمكة ٣٧٥ التي قد يثور غضبها فجأة فتنقض عليها ، والحيوانات الغريبة التي لم تصادف مثلها من قبل في حياتها المحدودة بعالم الفوج الأمن .

وسرعان ما اطمأنت الى هذه الحيوانات عندما رأت كيف تتحرك السمكة ٣٧٥ بينها في حرية دون أن يصيبها شيء ، بالاضافة الى ما تلتقطه بفمها بين الحين والآخر .

تحاشت الدنو من السمكة الأخرى ، فاتجهت الى مستعمرة بعيدة بعض الشيء ، وتقدمت في جرأة من رأس احد بوليباتها ، فاستقرت فوق قرصه العلوي بين اللوامس ، كما فعلت زميلتها .

لكنها ارتكبت خطأ فادحا كانت له نتائج بعيدة المدى .



رسم توضيحي لمجتمع الكائنات الدقيقة الهائمة فى البحر . تحت سطح البحر مباشرة نماذج من الكائنات النباتية الدقيقة واسفلها نماذج اخرى من عالم الحيوان تضم الهلام المشطي او عنب البحر وقد امتد لامساك اسفله .

فبسبب ضالة معارفها ، النابعة من محدودية تجاربها ، كانت تجهل أن هذه المستعمرات المتشابهة يمكن أن تنتمى الى نوعين مختلفين ، يعيش احدهما فى اكتفاء ذاتى بالطحالب المزروعة داخله ، بينما يتغذى الثانى على الكائنات الهائمة بين طبات المياه .

ولم تكد لوامس البوليب تنطوى فوق جسدها ، دافعة إياها نحو الفم ، حتى انفرجت فتحته فى شبه دائرة لابتلاعها .

استيعاب الدرس

إلا أن كاتب هذه الأحداث لا يعرف مصير السمكة ٢٩٩٩ على وجه الدقة .

والغالب انها لم تفقد حياتها على يد البوليب القاتل .

ففتحة فمه التى لا تزيد عن جزء من المليمتر فى الأحوال العادية ، يمكن أن تتسع لقطع من الطعام اكثر سمكا من جسد البوليب نفسه الذى لا يتجاوز عدة مليمترات ، تتضاعف عدة مرات اذا ما جن الليل .

لكنها قد تعجز عن ابتلاع السمكة ٢٩٩٩ ، التى نما جسدها الصغير فى الآونة الأخيرة ، وأصبح عرضه لا يقل عن سنتيمتر كامل .

وفى هذه الحالة لابد أن تكون قد تعرضت لاصابات خطيرة ، استغرق الشفاء منها بعض الوقت .

أما الشىء الذى يستعصى على الحدس ، فهو ما اذا كانت السمكة ٢٩٩٩ بملكاتها الذهنية المحدودة ، قد تمكنت من استيعاب الدرس جيدا ، او انها ظلت أسيرة الشخصية الضعيفة التى تكونت لها !

صنع الله ابراهيم

من عجائب العلم

ثمانون عجلا من بقرة واحدة في عام واحد!

بقلم: د. توما شماني



الطفلة (لويز براون) طفلة انبوبة الاختبار ، ليست المخلوق الأول الذى جاء بطريقة زرع البويضة الملقحة فى الرحم .

لان أول مخلوق يعتبر بحق نتاجا للانبوبة المختبرية كان قرداً من نوع البابون يسمى (بريميرو) والذى جاء إثر ٤١ عملية زرع فاشلة .

لهذا يمكن القول إن عالم الحيوان قد عرف عملية تلقيح البويضة فى الأنبوبة ومن ثم زرعها فى الرحم بعد تخصيبها ، ولكن الفارق بين العملية فى الانسان والحيوان هو أن طفلة الانبوبة (لويز براون) قد أخذت بويضتها التى تدرجت منها ، من امها ثم لقحت بحياض والدها ثم ردت الى رحم امها بالزرع. وكان من الممكن أن تزرع فى رحم أم مضيفة اخرى . اما فى الحيوان فليس هناك ثمة ضرورة للتقيد بالنواميس الاجتماعية بل إن الواقعية الاقتصادية تقتضي اخذ اكبر عدد ممكن من البويضات من الأنثى ذات الأرومة الرفيعة ثم تخصيبها من اباء جيدى الصفات ثم زرعها فى أرحام اخرى اقل رفعة . والواقع أن أولى الابحاث فى هذا الباب كانت قد دارت على الارانب فى جامعة تكساس ، وكانت ابحاث مشابهة اخرى قد مورست منذ عام ١٨٩٠ .

وقد تدرجت هذه الابحاث حتى شاهدت اعوام السبعينات اعدادا هائلة من الأبقار تاتى بطريقة «زرع الأجنة» .

والتقنية فى الابقار تقوم على أساس زرقها بهرمون يدفعها الى الخصوبة وحيث يؤدى ذلك الى انضاج عدد من البويضات دفعة واحدة اى (انطلاق بويضى متعدد) ويكون معدل الانطلاق ٦ بويضات، يمكن ان تعطى ثلاثة عجول على الأقل ، فى وقت لا تستطيع فيه البقرة الواحدة انتاج اكثر من بويضة واحدة وبالتالى ولادة عجل واحد . ولقد حدث أن انتجت احدى البقرات ٢١ بويضة دفعة واحدة ، واستطاع احد القائمين بتربية الأبقار إنتاج ٨٠ عجلا من بقرة واحدة فى مدى عام واحد .

واذا انتجت البقرة انتاجها من البويضات ، فإنها تلقح بالتلقيح الاصطناعى بحياض ثور مختار، ثم يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم فى وسط يسمح للأجنة بالنمو داخل رحم الأم لمدة ٦ ـ ٨ أيام . ومن ثم تغسل من الرحم وتخزن فى وسط سائلى ملائم لمدة ٢٤ ساعة . الواقع ان كل جنينين من هذه الأجنة المخزونة يمكن أن يزرع فى بقرة اخرى مضيفة وذلك عن طريق اجراء شق صغير فى الخاصرة ثم الرحم . وهناك دراسات قائمة لتبسيط هذه العملية الجراحية .

وبسبب وجود إمكانية تجميد الأجنة فانه يقوم الآن نظام مصرفى للاجنة وبالطريقة التى تقوم فيها (مصارف حياض الثيران) .

إن الزرق بهرمون الخصوبة ينبغى أن يكون بضوابط خاصة وإلا أصيبت المبايض بالانهاك . كما أن زرع الأجنة فى ارحام مضيفات غريبات لا يستدعى ظهور ظاهرة (الرفض) الموجودة فى عمليات زرع الأعضاء لأن الجنين ينتج المادة النوعية الواقعية له والتى تحميه من النظام المناعى للأم .

إن عملية نقل الأجنة تفتح أمام القائمين بتربية الماشية افاقاً رحبة جداً . ففى الوقت الذى يستطاع فيه زيادة القطعان الحيوانية فانه سيكون بالوسع ايضا تحسين العديد من الانواع الحيوانية واكثار الضروب جيدة الأرومة منها والتخلص من السلالات الرديئة .

د. توما شمانى

●● على هامش دورة الشباب الكروية في استراليا ، والتي بلغت أوجها في لقاء مجيد بين شباب قطر وألمانيا ●●

يا شباب العالم اتحدوا

بقلم : محمد فتحي

يخلع صاحب الرداء الأبيض رداءه الأبيض ، ويخلع صاحب الرداء الخمرى رداءه الخمرى ، وتلتحم الأجسام الوردية بالأجسام البرونزية ، وتتعانق . يمتزج العرقان ، لا احسب ولا يحسب احد أن ماء هذا العرق أو ذاك ملون . ويخلع كل على صاحبه رداءه فيرتديه ، فلا نعرف من هو الألمانى ومن هو القطرى .

لا منتصر ولا مهزوم .

مشهد يهز الوجدان .. وجدان كل إنسان . كما الأنشودة ! أو الأمنية السابحة فى افاق الخيال يعز إدراكها ! ومع ذلك فهى واقع ماثل للعيان . عيان الخلق فى كل الدنيا .

شباب القارة الاسترالية ، وشباب العالم كله يشهد ، عن طريق الأقمار المزروعة فى الفضاء فوق خط استواء كوكب الأرض . هذه المظاهرة الربانية ، ذات الرداء ، وذات البهاء ، وذات الجلال ..

التحام شبابى برىء ، مطهر من كل غاية ـ عقائدية أو فلسفية او نظرية ـ اللهم إلا غاية الأخوة ، اخوة الانسان وصداقة الانسان وتعارف الانسان . وربما من اجل وحدانية مقدرة فى ظل مجتمع انسانى فاضل قوامه الاخاء والتكافؤ والمساواة .

ما هذه العصا السحرية التى تحقق ما لا تقدر على تحقيقه الأبواق والطبول والكلام المنمق المعسول ، والتى تحشد الوان الملايين حول شاشات التلفزيون ليذوبوا فى مشهد واحد وحس واحد .. حس ببهاء الانسان ، وجلال الانسان ، حين ينازل ، على ساحة التكافؤ بعضه بعضا .. بتجرد تام .. تجرد من الانتماءات الكتلية أو العرقية أو العنصرية او اللونية ، او غيرها من تلك الحواجز التى بدعها ابناء ادم ، وعزلوا بها انفسهم عن ساحة التوحيد الفاضلة التى قوامها الاخاء والتكافؤ والمساواة ؟!

مهما قيل فى الأداة ، اداة التلفزيون العالمى الناقل للكوكب الأرضى عن طريق قمر الاتصال ، فما الأداة إلا اداة ، واسطة إنما الحدث والمضمون هو الذى يحشد ويجمع على هذا الصعيد الكوكبى . فما هو سحر الرياضة الكروية ، ذات القدرة على هذا التجميع الهائل ، شبابا فى المقام الأول ، وشيوخا وكهولا ، ونساء أيضا ؟! عندما اجتمعت فرق الكرة فى الأرجنتين من أجل كاس العالم ، وعندما اجتمعت فرق الناشئين هذا الاجتماع الزاهر فى استراليا ، رأينا هذا التظاهر الأممى ، بصورته الأخاذة وابعاده الخارقة .. مشهد من المشاهد غير المسبوقة فى تاريخ الأرض .. مشهد اقرب الى مشاهد السماء المذكورة ..

مشهد يقرب الى الذهن معنى التوحيد والوحدانية فى الله ، لأنه ينطوى على تجرد تام من معانى الأثرة المقيتة والتفاضل الجاهلى وشتى الادعاءات .

لابد أن فى كرة القدم ، دون غيرها من رياضات ، سحراً خاصاً هو الذى يجعل لها هذه المكانة المتزايدة على الأيام بين البشر .. لا السباحة ولا التنس ولا حمل الأثقال ولا العاب القوى ولا كمال الأجسام ، ولا غيرها من رياضات تجتذب هذه الجماهير الهائلة ، من السائرين فى ركب الانسان ، المتقدمين منهم والمتخلفين على حد سواء ، تذيبها



فريق الشباب القطرى الذى فاز بالمركز الثانى فى مباريات كرة القدم لدورة الشباب الكروية فى استراليا ، وحقق نصراً عالمياً لبلاده .

وتوحدها فى الحدث وفى المشاعر المتسامية .

أهذا السحر نابع من المعنى الرمزى المتمثل فى المشهد الكبير ؟! يرى الخلق فيه رمزاً وبشارة. ؟! الساحة الكبيرة الخضراء يحيط بها عشرات الألوف من الشهود ، أتوا من كل فج وصوب ، ومن ورائهم الوف الملايين ، عيونهم محدقة ووجدانهم يهتز وأرواحهم تهفو .. أهذه الساحة وهذا الموقف رمز للقاء عصيب موعود .. أو لقاء مرتجى من الضمير البشرى التواق الى ما أسماه المدينة الفاضلة ؟!

وهؤلاء اللاعبون الكثر ، المؤدون ، الممثلون لشعوبهم الكبيرة وقبائلهم الصغيرة فى تكافؤ يتبارون .. يسّاقط عليهم وابل ، أو يشوى أبدانهم القيظ ، أو تخنق أنفاسهم الرطوبة .. كل فريق يكشف عما قدمت يداه أو رجلاه ، وكأنما يقول هاكم اقرأوا كتابيه .. والحكم مسيطر فى الساحة ينفخ فى الصفارة ويقضي فى الأمر ..

أهذا السحر نابع من هذا الرمز ؟!

أهو كامن فى معانى البطولة والجهاد والمشقة التى تتجاوز حدود الممكن الى حدود المستحيل ؟! أهو فى روح التسامى والتكاتف والبذل والتفانى فى الفريق ؟! أهو فى التطوير الدائم للرياضة من تنقيتها من كل مظاهر الخسة والتسلل والتهجم والعنف .. والتسامى بها الى قيم النبل والذكاء وسعة الحيلة والألمعية. ؟! أهو فى هذا التجاوب العجيب المحير من جانب الجماهير نحو المؤدين ، مؤازرين داعين مبتهلين ؟!

ثم ما مظاهر القداسة هذه التى تشهدها ساحات الرياضة الكروية. ؟!

المؤدى الموفق يقبل التربة .. يركع لله .. يضعون أيديهم بعضها فوق بعض .. يقرأون الفاتحة .. وهؤلاء المؤدون الأفارقة .. يحملون تمائمهم السحرية وأحجبتهم ويودعونها العرين حماية وحجبا .. عن الشياطين ؟!

هل هذا هو مغزى التظاهر العالمى الكبير ؟ إن يكن ذلك فهو مغزى إنسانى عظيم ، يضفى على الدورات العالمية لرياضة الكرة بالذات أبعاداً ، لم تكن قبل اتصال الفضاء تؤخذ فى الحسبان .

فى بداية العشرينات من هذا القرن دعا رجل انجليزى ثاقب البصيرة اسمه «بادن باول» ، شباب العالم للانتظام فى حركة رائدة أسماها الكشافة . وراحت الفكرة اللماحة تدرج وتقوى ، دون سند من حكومات أو نظم سياسية . غير أن الدفع الايديولوجى السياسى القوى الذى عرفته الثلاثينات ، من فاشية ونازية وغيرها أنشأ ، بدعم شديد من الحكومات ، أنظمة شبابية سرعان ما خسفت بحركة الكشافة ثم ذوت هى الأخرى وأضحت رماداً مع رماد الحرب العالمية الثانية .

وفجأة ، مع اتصال الفضاء الموحد ، قبت تلك التجمعات الكوكبية الهائلة حول دورات رياضة الكرة ، فى قوة جارفة مستقطبة ، ومزرية بالانتماءات الصغيرة العديدة التى أشرت اليها ـ ايديولوجية وعنصرية وغير ذلك . بريئة مبرأة من غايات الأثرة والتعالى والعسف . دعوة للتعارف وللتآلف والتضامن والود ..

نداء يدوى فى الأرجاء ..

يا شباب العالم اتحدوا !

محمد فتحى

دكتور زين محمد النيل
أخصائي استشاري أمراض النساء والولادة

أيتها الأم الحامل

أوقفي التدخين فورًا.. حفاظًا على طفلك القادم



فى الماضي .. تركز البحث العلمي فى مجال أضرار التدخين على المدخنين فقط من الرجال، حيث كان الرجال يمثلون النسبة الغالبة من المدخنين. لكنه لوحظ فى السنوات الأخيرة أن المرأة بدأت تشارك الرجل هذه العادة الضارة، الأمر الذى حدا بالباحثين الى التفكير فى آثار التدخين على المرأة الحامل، ابتداء من صحتها وانتهاء بالتأثيرات الضارة التى يتعرض لها الجنين.

وقد تبين من خلاصة البحوث العلمية المتعلقة بأضرار التدخين على المرأة الحامل أن التدخين أثناء الحمل يكون مصحوباً بـ :

- انخفاض فى وزن المواليد.
- ارتفاع فى نسبة الولادة المبكرة قبل الموعد.
- ارتفاع نسبة الاجهاض فى الشهور الأخيرة.
- زيادة المضاعفات أثناء الحمل والولادة.
- ازدياد نسبة وفيات المواليد فى الأسبوع الأول.
- ظهور التشوهات الخلقية فى المواليد.

وقد أشارت هذه البحوث إلى أن الأم فى سن العشرين ، إذا كانت مدخنة بصورة متوسطة أثناء الحمل – مع الغذاء الكافي ، والرعاية الطبية المتوفرة – فإن نسبة الإجهاض تزيد على ٢٠٪ عن مثيلاتها ممن لا يمارسن عادة التدخين ، كما أن السيدة التى تدمن عادة التدخين فى سن الثلاثين ، ولاتتوفر لها الرعاية الصحية والغذاء الكافي ، تصل نسبة فقدانها للطفل إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪. ففى بنجلاديش مثلا كانت نسبة موت الأطفال فى الأسبوع الأول من الحياة عند المدخنات الفقيرات غير المتعلمات قد بلغت ضعف نسبتها عند غير المدخنات من نفس الطبقة ، وبالرغم من عدم المعرفة بالتحديد للطريقة التى يموت بها هؤلاء الأطفال ، إلا أن ارتفاع نسبة أول أوكسيد الكربون والنيكوتين فى دم الأم والطفل ، تكون العامل الأساسي فى هذه النتيجة . هذا وقد لوحظ أيضاً أن الأطفال البريطانيين من الأمهات المدخنات أقصر طولا وأقل مقدرة على القراءة ومعرفة الرياضيات والقدرات العامة من الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات ، ولو أنه من الصعب الحكم على أن التدخين هو السبب الوحيد لذلك التخلف .

انخفاض وزن المواليد

أصدرت الحكومة الأمريكية تقريراً فى عام ١٩٧٩م ، عن التدخين والصحة ، يتضمن ملخصاً لـ ٤٥ بحثاً علمياً لما يزيد عن نصف مليون مولود ، وقد برهنت هذه البحوث على انخفاض وزن مواليد المدخنات فى جميع أنحاء أمريكا ، بالرغم من الفروق فى المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، ومستوى المعيشة ، والموقع الجغرافي ، بما فى ذلك اختلاف عوامل البيئة . كما لوحظ هذا الانخفاض فى الوزن بالنسبة للأطفال مكتملي النمو وغير مكتملي النمو بما يعادل ٢٠٠ جرام عن متوسط وزن الأطفال المولودين من أمهات غير مدخنات . كما أن كثيراً من أطفال المدخنات يزنون أقل من ٢٥٠٠ جرام ، وهو الحد الأدنى للطفل المكتمل النمو . وهناك ارتباط وثيق بين نسبة انخفاض الوزن وكمية التدخين التى تدخنها الأم أثناء الحمل ، حيث يزيد انخفاض الوزن كلما زاد عدد السجائر المدخنة ، بالاضافة لعدة عوامل أخرى تؤثر فى وزن الجنين مثل الوراثة وعمر الأم وحجمها وجنس المولود ، ولكن تبين أن أثر التدخين أكثر وضوحاً من كل العوامل السابقة .

ويعتبر ايقاف التدخين فى الشهر الأول من الحمل انتصاراً كبيراً ، حيث يزيد وزن الطفل . فقد ثبت أن أهم سبب لانخفاض الوزن هو حرمان الطفل من الاكسجين نتيجة لتكاثر غاز أول اكسيد الكربون فى دم الأم والطفل ، كما أن مادة النيكوتين والسيانيد الموجودة فى التبغ لها أثر فى انخفاض الوزن .

الولادة المبكرة

لا يفوتنا أن نذكر أن الولادة المبكرة قبل نهاية الأسبوع السابع والثلاثين ، ترتفع بالنسبة للمدخنات مما يزيد من احتمالات انخفاض الوزن ، وتوجد هذه الظاهرة بوضوح بالنسبة للسيدات اللاتي يدخن عشرين سيجارة أو أكثر فى اليوم .

مضاعفات الحمل والولادة

تزيد نسبة مضاعفات الحمل والولادة عند الأمهات المدخنات ، ومن أهمها النزول المبكر للماء المصاحب للجنين ، والأنزفة الدموية من المشيمة ، وانفصال المشيمة المبكر ، ونزو ل الماء المبكر يؤدى الى الولادة المبكرة ، والتهابات الرحم ، كما أن الانزفة الدموية الشديدة تؤثر على صحة الأم والمولود مثلما تؤدى الى زيادة فى نسبة المواليد والأمهات ، وهذه النسبة تزداد كلما زادت كمية التدخين أثناء الحمل .

الاجهاض المفاجىء

ترتفع نسبة الاجهاض المفاجىء عند المدخنات بشكل مذهل ، إذ تبلغ حوالى ٨٠٪ فيما بين الثامنة عشرة والسادسة والعشرين ، وما بين الثامنة والثلاثين والأربعين .

والاسباب هى نفس الأسباب التى تدعو إلى الولادة المبكرة والموت المبكر للأطفال .

الموت المبكر

لوحظ فى هذه البحوث أن موت الأطفال المبكر يزيد عند المدخنات لأقل من عشرين سيجارة بنسبة ٢٠٪ ، وترتفع هذه النسبة إلى ٣٥٪ عند المدخنات لأكثر من عشرين سيجارة فى اليوم كما تبين أن التدخين يرتفع الى السبب الرابع لوفيات الأطفال وتزداد نسبة وفيات الأطفال بصورة أوضح إذا تلاقت أضرار التدخين على الجنين ، مع عوامل أخرى مثل الولادة دون العشرين سنة وبعد سن الثلاثين ، وعند ولادة الطفل الأول وما بعد الطفل الخامس ، وانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي المصحوب بفقر الدم . أما عن العوامل التى تتسبب فى موت الأطفال فانها تشمل الوزن المنخفض ، وصعوبة التنفس ، والالتهاب الرئوي ، والعاهات الخلقية التى ترتفع نسبتها عند أطفال الأمهات المدخنات .

الرضاعة والتدخين

يحتوى لبن الأم التى تدخن على كمية من النيكوتين الذى يسبب القيء والاسهال عند الأطفال الرضع ، كما أن نمو الطفل فى عائلة مدخنة يرفع نسبة الالتهاب الرؤي والنزلات الشعبية عند الأطفال مما يرفع نسبة وفاة الأطفال فى السنة الأولى من حياتهم .

والآن يبقى الخيار لك ياسيدتي بين التدخين أو الصحة والسلامة لك ولأطفالك .

تحت ظلال غرناطة الحمراء

بقلم : محمد محمد الخطابي

سموه فردوسا ولكنه ليس مفقودا كما وهموا ، إنه هنا حاضر الكيان ، قائم الذات ، إنه هنا بسيره وأسواره ، وبقاياه وآثاره ، ونفائسه وذخائره ، إنه هنا فى عاداته وطبائعه ، فى عوائده وأهوائه ، إنه هنا فى البريق المشع ، فى المدائن والضيع والوديان ، فى اللغة والأدب والعلم ، بل فى لهجة القروى النائى والفلاح المغمور ، إنه هنا فى الإباء العربى والحزازات القديمة التى مازال تفعل فى ذويها فعل العجب .

الأندلس ،،، أى سر أنت كائن فينا وبيننا ؟ أى سحر أنت تائه فى طيات الألسن ومخادع القلوب ؟ .

يتساءلون وقد علت جباههم علائم الشدوه وأمارات السؤل كيف حدث ؟ كيف استطاعت سنابك خيولهم المسوقة بقيادة طارق الفاتح أن تطأ هذه الأرض البكر ، وتقام أسس حضارة عريقة تشعت على العالم المعروف فى ذلك الأبان ، وأنارت دياجى الظلام فى أوربا دهرئذ ، إنهم يتساءلون كيف تسنى لهؤلاء القوم الغبر الوشاح ، البداة الجفاة أن يضطلعوا بكل ذلك ؟ كيف أمكن لهم أن يروعوا كسرى فى إيوانه ؟ ويجعلوا الرومان يفرون تحت وخزات الرماح وثقل الصفلح ؟ إنهم ليسوا قوما قساة جفاة عتاة كما وهموا ، بل إنهم قوم فاتحون مبشرون بحضارة وعلم وعمران وتاريخ .



العادات الشرقية

هذه الجزيرة المحروسة التى هاموا بعقيانها هياما ثم سرعان ما خبت الضياء وجفت الماقى ، هذه الواسطة فى عقد من جمان مرصعة فى جيد الزمان كيف وهنت قلادتها ، وتناثرت حباتها ، وتحولت الى عبرات تبكى العهد والجد والدار .

هكذا كانت البداية ثم افلت الشمس بدون شروق قريب وغاض النبع الرقراق ولم يبق سوى وميض خافت تتلمسه هنا وهناك ، سرعان ما يتحول الى بريق مشع قوى نفاذ تراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العربية الدقيقة التى تحملك فى رمشة الى اعماق الجزيرة الاولى او الى جنان الرصافة والجسر ، او تتيه بك فى غياهب المسافات اللامرئية ...

إنها هنا فى هذه العادات الشرقية الجميلة فى رعشات الأنامل وانحناءاتها فى ضربات الأكف والأرجل المتوالية التى تذكرك بمراكش الحمراء وزحلة الأرز وحماة القاهرة ، إنها هنا فى هذه الأقراط العربية المدلاة عبر جيد ناصع وذوائب فاحمة . إنها هنا فى هذه الراح التى لا تلبث ان تتحول الى روح حية قائمة محاورة .

ايها النائى القريب إنهم يحنون اليك ويتغنون باسمك الآن ، حسدوك زمنا ولكنهم سرعان ما فاقوا من نكرانهم فراحوا يشيدون لك الأبنية والتماثيل المخلدة ، ولكنهم فى خبل من أمرهم ، ذلك ان ربيعك دائم متجدد لا تراه الأعين فى الحدائق والجنان او على ضفاف الأنهار المنسكبة بل إنه فى النغمات والخطى والعيون والحواريات إنه ربيع لا يعقبه صيف قائظ بل يتولد منه ربيع تلو ربيع !

مازالت فى العيون

إنهم يتاوربون أحيانا اكثر من الأوربيين انفسهم ، وأحيانا اخرى تشط بهم الأحلام بعيدا ولكنهم ابدا ملتصقون بأرضهم (العربية) وتاريخهم (الحافل) وعاداتهم (الدخيلة) وتقاليدهم (العريقة) !

يضحكون عنك وهم فيك ومنك واليك، ينكرون طبائعك وعوائدك وهم الزائذون عنها ! . هنا حط الشاعر يوما رحله ليهجر الشعر ولغوه ويقرر أن يبنى له محرابا للصلاة ففعل وكانت له جنة الخلد فى هذه الحياة الدنيا قبل الآخرة .

إنها تعد عدا ، ثمانية من الرواسي الراسخات فى عمق التاريخ تعلو فى عنان الافق معلنة للملأ اجمعين انها هنا ماتزال قائمة ثابتة فى الصور والمنقوشات والعيون والرقصات ، والعقل واللسان والجنان .

إنها هنا تسلب لب العاشقين وتروي صدى الهائمين، من دوحها انطلق صوت حمامة ذات مساء حزينا باكيا شاكيا يعلم المحبين أصول الهـوى والصبابة، إنهم لا يمقتونك إنهم معجبون ، إنهم يفرون منك ولكنهم ينتهون اليك . الأندلس : هذه الفاكهة المحرمة المعلقة فى شجرة ليس لها جذع قائم من يطولها عادت إليه الحياة فى ثوب جديد متجدد ! .

الأندلس : هذا النهر الجارف من يستطيع الغوص فيه او الدنو منه لآب الى النبع الاول بعد أن طالت به المسافات وشحط المزار !

الأندلس : هذه الأغرودة الحالمة الحلوة تنطلق عند الأصيل على ضفاف العيون فلا يمل السمع منها ولا يتعب اللحظ ،،، هذه الأنثى الهائمة المخصاب التى شق النسيم عليها يوما جيب قميصها فانسابت من شطيها تطلب ثارها ، وما ان تضاحكت ورق الحمام بالأدواح الشاهقة هزءا حتى ضمت من الحياء إزارها !

كيف حدث ؟!

ولكن .. قل لي بربك أيها الصديق كيف امكن لهم ؟ كيف أمكن لهم ان يغيروا وجهة التاريخ ؟ كيف استطاعوا

تحت ظلال غرناطة الحمراء

الاضطلاع بذلك الدور القيادى ؟ لأنهم كانوا أصحاب إرادة وإيمان ، ومن توفر فيه هذان الشرطان كان له دائما ما أراد ولكنهم اخفقوا فى النهاية ، إن الاخفاق من صفات البشر ، وهذا ليس عيبا بقدر ما يكمن العيب فى ألا يعمل الانسان شيئا ، ولكنهم بعدما كانوا مفخرة فى جبين التاريخ وذرة فى أعين الناس غدوا مهزلة أمام ناظريهم حتى أصبح أمرهم يثير الشفقة ، كيف تجرؤ على قول مثل هذه الترهات وهم بناة أعمدة ضخام مزركشة ، ورافعو أقواس عظام منمقة ، ولكن البلى قد أتى عليها كما يأتى على كل شىء ، إنه شأن الحياة ، إننا اذا اخذنا بهذا المبدأ فلنترك كل شىء على عواهنه ونمضى ، إنهم قد عملوا جهدهم وبذلوا كل ما فى وسعهم ليتركوا لنا شيئا نتملى بالنظر اليه والتأمل فيه وإعمال الفكر والعقل وكل الحواس من أجله ، ترى ماذا فعلتم انتم بالمقابل الآن ، إنكم لم تفعلوا شيئا ، كيف لم نفعل شيئاً وقد قمنا بترميم كل ما تركوه لنا ، ووضعنا حارسا على الباب والآخر فى الداخل يسهران على تلك الكنوز المتبقية ، حسنا فعلتم فتلك شيمة من شيم الأمم الراقية ، وإن من يحافظ على ماضيه إنما يبنى مستقبله ، إننى أصاب أحيانا بالشدوه فيراودنى نفس السؤال الأبدى المؤلم .. كيف حدث ؟ بل كيف أمكن أن يحدث ... ؟

لا غالب إلا الله

كيف أمكن للدهر أن يأتى على جنس بأسره من على سطح الخريطة ؟ ولم يبق سوى على اسماء بعض العوائل والمدن والقرى والمداثر والأنهار وجملة مصطلحات وأسماء أصابتها العجمة واللكنة ، على كل حال إن الذى يقوم به علماء البيئة من أجل المحافظة على جنس بعض الحيوانات سواء البرية أو البرمائية أو المستانسة أو المتوحشة شىء مفيد ويستحق التصنيف ، ولكن كيف حدث إذن ؟ أنا شخصياً لا أدرى ، ومن يدرى ، كفى هراء وقل كيف حدث وإن لم يكن لديك الجواب فالقِ السؤال على سواك ، وإن تعذر عليه الجواب فاطلب منه أن يجول به فى الأسواق العامة أيام الجمع والآحاد ويسأل الناس علنا عن ذلك ، ومن كانت لديه الاجابة فليقدمها فى أقرب الآجال ، إننى جاد ومتى لم أكن جادا معك ، وإن خلتنى أمزح فاطرد هذه الفكرة الخاطئة فورا من رأسك ، واعمل ما انهيت به اليك واسأل القوم عن سر ذلك اللمعان الغريب ، وكيف استطاعوا أن يمزجوه بالعطر والكافور ويصيروا منه بخارا رقيقا أو رذاذا منعشا يتطاير بين الناس ويحدث فى الأبدان القشعريرة ويضفى عليها ذلك البريق العجيب الذى مازالت آثاره بادية ماثلة للعيان حتى الآن ، إسأل القوم عن سر تلك التعاريج المائية الملتوية المحيرة التى أذهلت الأذهان والتى تشق طريقها فى باطن الأرض بشكل يثير الاعجاب ويبعث على الحيرة ، ثم تجول فى القصور والبساتين وفى الأزقة والدروب فتسقى الأشجار وتورق الأزهار ، وتحيى الأنفس وتنعش القلوب وتجعل الجو ربيعاً فى قيظ الصيف ، وصيفا فى عز الشتاء ، وتؤتى من كل فن غرابة وعجبا !

زيد أم عمرو ؟!

سواء كان الذى أمَرّ بذلك عمرو أو زيد فقد أحسنا صنعا هما الاثنان معا ، ولكنى أفضل عمل عمرو فقد كان أكثر ذكاء وفطنة،وعلم مسبقا انه قد يتدحرج نحو أسفل السفح حيث المنحدر سحيق بعيد الغور ، أما زيد فقد صعد الى قمة الهضبة ، وفضل أن يعتصم هناك ظانا أنه قد بلغ الجوزاء علوا ، إلا أن التاريخ أثبت انهما كانا مخطئين الاثنين معاً ، فلا الذى كان فى أعلى الأكمة نجا من الطوفان ، ولا الذى كان فى الأسفل احتمى من الآتى المنهمر من الأعالى الشاهقة ، أجل انك الآن قد أصبت عين الصواب .

ولماذا تتسرع فى الأحكام ،فانت تلقى اللوم على الجميع ، وهذا ليس صحيحا خاصة وانت تعلم ان الأمر كان يتعلق بالسادة العارفين وليس بسواد القوم ، إننى لا أتسرع كما وهمت بل إننى اقول ما يعنّ لي صحيحاً غير خاف على أحد .

إننى اخشى أن يكون القارىء قد مل هذا اللغط ، فما أكثر ما يمل القراء فى هذه الأيام ، ولكن لا عليك ثق أن قارئنا لا يمل إنه قوى الشكيمة عالى الهمة فلا تيأس واعدك أننى ساطلب منه أن يستمر معنا حتى النهاية ، بل ولماذا لا نستعين بحكمته ولباقته ومعارفه ، ولكن كيف يمكن ذلك ، الأمر هين ، توقف قليلا ريثما يسترجع القارىء انفاسه ويزم شفتيه ويدرس اقتراحنا ، دعه يسرح بفكره بعيداً وله أن يحكم بما يشاء ، حينئذ سيجد نفسه مشتركا .

جنة العريف

ولكن كم الساعة الآن ، لعلنا تاخرنا عن موعد الوصول الى الجنة ! أية جنة تعنى ؟ جنة العريف أم جنة العرفان أم كليهما ... الاختيار لا يهم ، المهم أنها جنة وكفى .. لا عليك لدينا الوقت الكافى للحديث ، فالساعة لم تقم بعد ، ومازال أمامنا متسع من الوقت لنسترسل فى الحديث كما نشاء ، ولكن أليس من الخير أن نضع ضوابط لحديثنا .

على كل حال إن اللوم لا يقع عليك بقدر ما يقع على أهل العصر فقد عدوك بعد أن أصيبوا جميعا بالاسهال اللفظى فتعرف كم من اذاعة وتلفزة ومحطة ارسال أو التقاط وكم من جهاز واشرطة تعمل فى هذه اللحظة لاشك أن العدد كبير بل وهل تتخيل بكم لغة تعمل هذه المخترعات جميعا ؟ الكل يصيح ويحتج

ويلعن أو يغنى ويتاوه او يمزح وكانى بالأسطورة قد تحققت أمام الملأ اجمعين فاذا بالقوم قد بلبل الله السنتهم ، الم يريدوا الصعود الى البرج الشاهق ، انك مازلت تتعلق باهداب الخرافات والاساطير الم تر كيف فعل أصحاب كولومبياءفبعد كولومبوس المغامر الذى شق عباب البحار ، وذلل الجبال المائية حتى اكتشف القارة البكر ها هى ذى كولومبيا تشق على نفس النسق عباب الضباب والسحاب فى الفضاءات المرئية واللامرئية لتكتشف فى اخر المطاف ضالة الانسان إزاء الكون ، وعظمة الخالق وسعة ولامحدودية ملكوته ، ويحك أتسخر من العلم؟ لقد استطاعت كولومبيا بالفعل الوصول الى قمة البرج وحومت حوله واستطاع ربابنتها العودة الى الأرض سليمين معافين طليقى اللسان تماما كما انطلقا منها ، اى هذر وهذيان هذا الذى تروم تخلط العلم والتاريخ بالأسطورة والأحلام والخرافات- ؟ وهل هناك فرق بين هذه المعانى ، الا يكمل بعضها الآخر ، ولكن تان فانت تعلم ان العلم إن هو إلا انعكاس وتجسيد لما سبق ان تخيله اجدادنا واسلافنا الأولون . فما الطيور الجارحة والغيلان المرعبة والجنيات المسحورة والوحوش الضارية وسواها سوى هذه المخترعات الغريبة من طائرات وغواصات ومدرعات ومصفحات وصواريخ ومراكب فضائية إن ما كان يبدو للناس بالامس خرافة قد غدا حقائق علمية مدهشة ، الم يقل العلماء اننا بعد لأى من الأعوام قد نستطيع القيام بنزهة فضائية ما بين زحل وعطارد بل نستطيع الاصطياف فى الزهرة ونقضى وقت الظهيرة عند سطح القمر ، ألست على وفاق معى إذن ؟ اجل إننى متفق معك؛ أما الوفاق فموطنه لبنان وهيئة الأمم وهلسنكي والمؤتمرات التى تلته . إنه مصطلح خاص بالبلدان التى تعيش ازمة ما تشعر انها على حافة ازمة ما او تنوى الدمار أو تخشى الدمار ، فهذا هو المجال الذى تستعمل فيه هذه الكلمة . على كل حال إنها كلمة تتمتع بجاذبية خاصة لدى البلدان التى تجيد اللعبة . أما الاتفاق فهو من شان البلدان التى ماتزال فى طريق تعلم اللعبة !



الصدق مفتاح للقلب

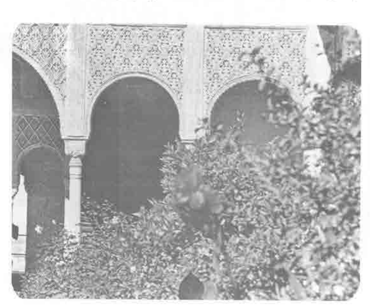
الا تظن ان القلم قد جنح بنا قليلا فمزجنا شعبان برمضان كما يقال فى الأمثال . بل إننا ننقل ما يختلج فى صدورنا وما يطفو على هامش الشعور كما يقول النفسانيون ، إذ انت تعلم اننا اذا لم نكن صادقين فان القارىء سيعود لملله وسيفطن سريعاً لادعاءاتنا وينصرف عنا ، الصدق إذن هو مفتاح قلب هذا القارىء الذى يريد ان يستحوذ عليه جميع الكتاب فى كل عصر ، مسكين إذن هذا القارىء خاصة القارىء الصبور الدؤوب الذى يسهر الليالى فى التحصيل والاطلاع ولم يفكر أحد بعد فيما يعانيه هو الآخر ، اليست القراءة الجيدة نوعاً من المعاناة كذلك ، ثم انك تعلم ان القراءة والتحصيل كنز وفضيلة واستفادة وغذاء للعقل والروح معاً ، ولماذا لا تقول للبطن أيضا،أليس هناك قراء رغم انوفهم يتلقون اجورا نظير قراءاتهم؛أنت تعرفهم وأنا وقارىء هذه السطور كذلك ، الم أقل لك ان القراءة تحصيل أى ان يحصل الانسان من جرائها على علم ومال وإلا فلماذا عندما وضع اجدادنا النحاة قواعد الاسماء الخمسة المعروفة ختموها بذى مال . والختام دائماً مسك كما تعلم ، ارايت لم يقولوا ذا علم او فطنة بل (ذو مال) نعم مال،افهمت ؟

ارايت ما اصغر حجم هذا الجهاز الذى ينطلق منه ذلك الصوت اللعين وما اكبر ذبذباته ، ان موجاته تغرقنا فى بحرها وتنهمر علينا انهماراً ، إنه لا يتوقف برهة ليلا ونهاراً ليس فى الأمر أى عجب فتلك علامة من علائم العصر فدعه يصرخ كما يشاء فان الضوضاء والصخب واللجب والهرج والمرج أمور اعتادت عليها اذاننا والفتها طبائعنا فلا تعجب كذلك إن طالت خطب هذا الهذر .

صاح ..

لقد غاض النبع الرقراق ولم يبق سوى هذا الوميض الخافت الذى تتلمسه هنا وهنالك ، وتراه فى هذه الأعين النجل ذات الملامح العريقة الدقيقة التى تحملك فى رمشة عين الى أعماق الجزيرة الأولى أو الى جنات الرصافة والجسر .. وصدقت أيها الشاعر المكلوم؛ وصدق حبك للأرض الفردوس وللمرأة الولود،كيف لا وحولك ماء وظل وانهار وأشجار .

محمد محمد الخطابى



عذاب كل عام

شعر: فتحي سعيد

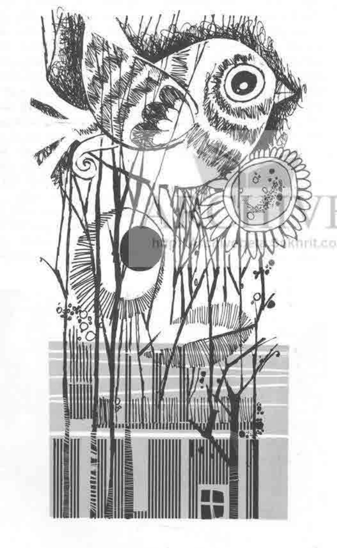
باسم الربيع أبتدى الكلامْ
أيار .. شاعر الفصول طفلها البسامْ
ياوجهَنا الجميلَ يامهاجر الغمامْ
أغدق على الغلام الكهل .. ،
نفحةً من الشام
وكن دوائي فى الصقيع والهجيرِ ...
فى مواسم السقامْ
وفضلة الرداء حين تَعْرَى
فى خريفك الأنسامْ ..
جاء الشتاءُ فاسقني
وعلنى .. لعلني أنامْ
الليل لحيةٌ بيضاءُ والجبينُ البدرُ
فى التمامْ
والوجهُ وجهه الجميلُ .. والعينان ،
والتفاتة السلامْ
والسحب حُبْلَى ..
والربا شبت عن الفطامْ
ولم يزلْ على جبينها الصباحُ
لاهثَ الأنسامْ
وفى دروبها الوجوه لم تزلْ غريبةَ
الأفواهِ والأقدامْ ..
مجهولةَ الأسماءِ والمقامْ
جاء الشتاءُ ياقصيدتي
فأشعلي مجامرَ الحروفِ والأنغامْ ..

● ●

ياشعر .. كن لي كنزَ هذا العامْ
وسائرِ الأعوامْ
وكن جوادَ الريح للمسافر الغريبِ .. ،
فى عواصِمِ الضبابِ والظلام
وهتفةَ النشيد للفقيرِ والشريدِ .. ،
فى مدائِنِ الزحامْ
ولليتيمِ في موائدِ اللئامْ ..

● ●

يا شعرُ يا عذابَ كلِّ عامْ
فى الدار لا ديارِ او حوامْ
فكن لى الدواةَ والمشكاةَ والأقلامْ
وكن لي الكليمَ والنديمَ والمدامْ ..



■ قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة

■ تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة

■ تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب

مع كل عدد هدية









■ مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي بداية احتفالات العالم الإسلامي بهذه المناسبة كان صدور مجلة الأمة .

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم وذلك بأقلام كبار الكتاب.

■ من رسالة المجلة :

جعل المسلمين أكثر إحساساً بمتغيرات الحياة وضرورة اختصار فترة التخلف.

مواكبة التطور على هدى من تعاليم الإسلام.

حتى يعود المسلمون إلى مكانهم في قيادة البشرية إلى الخير وتتوحد كلمتهم، يرمز لذلك شعار المجلة حيث الهدف اتحاد المسلمين في القارات الخمس.

إسلامية
شهرية
جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي



كوتسيراس

شاعر الصخرة المتدحرجة

بقلم: د. نعيم عطية

ولد الشاعر اليوناني المعاصر جورج كوتسيراس بأثينا عام ١٩٢١ ودرس الحقوق . بدا ينشر كتاباته الادبية عام ١٩٤٢م . فقدم قصائد ودراسات ومقالات وقصصا وترجمات على صفحات مجلات ادبية بأثينا وبيريه وتيسالونيك . ومما ترجمه « عالم دون كاميللو الصغير » للكاتب الايطالي جيوفاني جواريسكي و «الغريب» لالبير كامو . وفي عام ١٩٤٧ أصدر روايته القصيرة «البيت» ثم انصرف الى الشعر . فاصدر عام ١٩٤٩ ديوانه «بلد آكلي اللوتس» ثم ديوانه«حراس الصمت» عام ١٩٥٠ وديوانه «حصار الزمن» عام ١٩٥٥ و «أسطورة الأشياء » عام ١٩٦٨م .

يقول جورج كوتسيراس « تبدو الأشياء والأحداث خاوية قبل ان يلقى الشاعر من ضميره ضوءا على الواقع المعاش .

عندئذ فحسب يبدأ الوجود يتنفس . ومن دفء الانفاس تكتسي الحقائق وضاءة تحيلها الى كائنات ذات مضامين رمزية ، تومىء الى ما هو ابعد بكثير من اطار كيانها المحدود . وتقترب الأشياء بالتالي من الانسان بالفة بالغة وحيوية لم تكن معروفة له من قبل . لان القلب يكون قد نجح بذلك فى ان يبسط على الوجود جناحيه . لقد أصبح الحجر ذهبا » .

ويتسم شعر كوتسيراس بانه شعر خشن . فقد استقى عطاءه منذ بداياته الاولى من منابع الفكر وليس من منابع الحلم . ومع ذلك يرقى شعره الى ان يكون روحيا ، ولا يقف عند عتبة العقلانية فحسب . وقد تاتى له ذلك من تسليط الفكر على أعماق الانسان بدلا من متابعة الظواهر الخارجية ، فتوصل بذلك الى ما يمكن ان نسميه « بالمشاهد النفسية » وهو ما يجعلنا نعتبر ان الشاعر قد بلغ الى مايعد « صعبا » ، بل وربما « عسير المنال » على غيره . وقد صدمت قصائد كوتسيراس متذوقي الشعر منذ البداية ، فقد اكتسح العطاءات الشعرية الوديعة المتزنة الرزينة التى سادت فى ايامه . وبقفزة تحتاج الى جهد ودربة تجاوز كوتسيراس منذ ديوانه الاول « بلد اكلي اللوتس » الواقعية المالوفة . ولفت إليه بذلك انظار النقاد .

لوحـــات مرســومـــة

ويعتمدكوتسيراس فيما كتب على ذكرياته وانطباعاته عن الحياةاكثر مما يعتمد على الخيالات والأحلام . ويشبه كوتسيراس رحالا ، يجوب العالم ، يلتقط منه مشاهد يختزنها بداخله ثم يعود فيعكسها فى اشعاره ، بالوانها وضيائها وظلالها ، ولكنك ستتبين أن هذا الرحالة ليس مجرد سائح يلتقط ما يسره من مناظر ، بل إنه ناسك فى رحلة حجيج ينظر الى العالم من حوله نظرة شجنية تروي مشاهده بعواطف واحاسيس داخلية تكسب قصائده لمسات انسانية لا تقصرها الوقوف عند السطح ، بل تدفعها متغلغلة الى الأعماق . ولهذا فقد قال النقاد عن قصائد كوتسيراس الوصفية بانها ليست مجرد « كروت بستال » سياحية بل لوحات مرسومة بريشة مصور مرهف الحس ومغموسة فى دماء العالم . ويشبه كوتسيراس فى هذا المقام أفلاطون الذى كان يجمل محاوراته عن الموت بسماوات صافية زرقاء ، ومياه شفافة رائقة . وانه لشاعر غريب حقاً جورج كوتسيراس، فهو ولئن كان يرتدي فى قصائده أنفس الثياب ، إلا انه يخفى تحتها كيان راهب شديد الزهد والقناعة .

حوى هذا الجوهر ايضا البذور الأولى التى راحت تتفتح بعد ذلك ، وتعطي ثمارا سخية . ومن الطريف أن تذكر عن كوتسيراس أن من رفاقه الشعراء من تحمسوا له أشد الحماس ، فاخذوا على عاتقهم أن يفندوا ما التبس على بعض النقاد تفسيره من عطاء زميلهم ، ولعل ما من احد يفهم شاعرا حق الفهم قدر شاعر مثله . ولندخل الى عالم كوتسيراس من خلال قصيدته « احاديث مع سيزيف » وفيها يقول :

وهكذا امكننى ان اعرف أن أعلى القمم
فى لحظات الحياة هي الموت .
ومن اجل هذا ، فان البجع ، ذلك الطائر شامخ الكبرياء ،
لا يموت ابدا دون ان يشدو بالغناء . نحن اليوم
تجاوزنا الموت دون أن نبعث احياء .

نحن اليوم نشق طريقنا بين « النعم » و « اللا » .
مثلما تمضي فى النور حشرات عمياء .
مثلما تجوس طيور الليل فى الظلام
لأن الانسان ـ مثلما تطارد الرياح السحب ـ لن يكف عن
مطاردة الأوهـــام .
نحاول ان نقيم التوازن بين شيئين من الصعب أن
يتحقق بينهما توازن ،
بين « النعم و اللا » .
أعنى نحاول أن نحقق ذواتنا بالطريقة التى ليس لغيرها
وجود .

الحفـــــر فـي الأعـــمـاق

ويعمد كوتسيراس بشعره الى «الحفر فى الأعماق» ، فيصل الى اغوار سحيقة من الصمت ، والحوار مع النفس ، والانفتاح على الروح . وبسبب ذلك تتسلل الى قصائده نبرات من « الانبهار » بما ينكشف له بعد أن انهتكت من امامه السحب ، فهو يتبين ان الحياة ليست على الدوام «حضورا» بل هي في بعض الأحيان « غياب » إنها ليست في كل الأحوال امتلاء بل هي أيضاً « زهد » و « قربان » . إنك تكون أقدر على الحركة أحياناً وأنت « خاوى الوفاض » من ان تكون مثقلا بالعطايا والأحمال . وكم تعبر عن ذلك أصدق تعبير لوحة المصور الفرنسي « هنري روسو » بعنوان «البوهيمية النائمة» فان الأسد القوي عندما يقترب فى هذه اللوحة من البوهيمية الحافية التى لا تملك من متاع الدنيا سوى قيثارة وجرة ماء وضعتهما الى جوارها وراحت امنة فى الأحلام . يتشممها دهشا ولا يمسسها بالأذى ، وسط الصحراء القاحلة التى يطل عليها من السماء قمر فضي يكشف بضوئه الحاني ماذا يعنى أن الحياة ليست بلازم أن تكون امتلاء . وهذا ما نجده أيضا فى ديوان جورج كوتسيراس بعنوان « حراس الصمت » والقصيدة الرئيسة فيه التى تحمل عنوان « الصمت » حيث يكتسي الايقاع برحابة تواكب حاجة الروح الى أن ترفرف جناحيها وتطير فى ارجاء عالمنا الداخلي . ولنستمع الى الشاعر فى قصيدته يقول :

النجوم دمــــوع
ليلة تنزل الصمت فيهـا
مثل امرأة جلست على الرصيف
اسندت ذقنها الى راحتيها
هيكل لا حراك فيه من وطاة النسيـان
طيف شبه منطفىء ، لاتكاد تبدو فى الضوء الخفيض
معالمهـا .

لا قائمـة لصـوت ، ولا كلمـة تصدر عنهـا
فى الوضـع الابـدي للمنسيين تنـام
صمـت وتجاهـــل
ومع ذلك فالاحساس موجـــود
والألـم ايضـا موجـــود
ويضحــى الحب فى غابة النوم حلماً مهشمـاً
صمـتوليل ـ شجـن وصمت
الناس لا تنبس بكلمة
لا ينعمـون بايام مشمسة
وساعة الظهيرة مملكة حزن والم
هنالك تتدلى الخفافيش مقلوبة باحثة عن دفء الظلمة
هناك لا يجد المنسيون الضوء، فتتخبط خطواتهم فـــي
العتمـــة

الإنســـان والزمـــن

وفى غمرة الصمت يجرى التساؤل عن معنى الزمن الذى يتلفنا ويبددنا ، ولكن معنى الزمن لا يتجلى تبدد اللحظة تلو اللحظة ، بقدر ما يبدو فى إدراك ما يفعله الزمن بنا ، وفى هذا يتمثل جوهره الانساني والماساوي . ومع الصمت يتحقق هذا الادراك الذى يخفى علينا فى الصخب الذى يلف حياتنا ويجرفنا بعيداً عن ذلك الادراك الذى لا يتاتى إلا بموقف الشعر من الوجود ، فهو موقف صمت وتامل ، ينفتح امام ناظريه معنى الزمن ، عدو الانسان الأكبر .

وفى ديوانه « حصار الزمن » نقرا على الأخص « مرثيات » للانسان ، تعتبر من اقوى ما عرفه الشعر اليوناني الحديث فى هذا المقام . ونجد فيها أن الانسان قد وضع فى مواجهة اخطر أعدائه وهو « الزمن » . والانسان فى هذه المواجهة يعرف باس عدوه وعجزه أمامه ، ومع ذلك لا يكف عن النضال الصعب . عارفاً منذ البداية مصيره الذى لا مفر منه . ومن وقت لآخر « يومض فى الظلمة بصيص من نور » وتهب فى بيداء النسيان نسمة من ذكرى بعيدة . ولهذا فقد لقب يانيس سفاكيناكيس صديقه كوتسيراس فى دراسته النقدية عنه بانه « شاعر الأمل المر » ولنستمع الى جورج كوتسيراس يقول :

نمضى قدماً بلا صوت فى خضم من صخب اصواتنا
وبلا أمل فى خضم امالنا .
تعزف الريح بين الأغصان مواويل ياس حزينة .
وتشق أوراق الأحراش أصابع مرتعشة
وتزرع همهمـات الأمطار فى الطين حكايات مريبة
الليلة تزهر الذكرى مثل زنبقة على شط دافىء ، ويفوح
أريجها بشكوى مسمومة .

على أن الفكر الانساني يجرؤ ، رغم كل شيء ، أن يوقف جريان الزمن ، وذلك بتحويل اللحظة الفالتة المناسبة الى «شيء» له ثباته وبقاؤه . ويقف الزمن مكتوف اليدين ، وذلك لأن الشاعر يعرف أيضاً « اللحظة الأبدية » ومهما ندرت ، فمثل هذه اللحظة موجودة ، ويقف الزمن متسمراً ازاءها . وفى ديوانه « حصار الزمن » الذى يبدو كوتسيراس متاثراً فى بعض قصائده « بجحيم » دانتي نسمعه يقول :

الموت ببرده وصمته فى الزمان ساكن
روح الخراب يسود الوديان المترامية الفسيحة
تغرق اللحظات ، تغوص خاوية
تنفتح مصاريع نوافذ على ممرات تيه
يصعد فيه وينزل الدرجات موتى متغيرون
وتفد أصوات لغير أصحابها ، كما لو كانت ذكريات من
من حيوات أخـــرى
فيندمج الحاضر بالماضي ، ويختلطان بالمستقبل .

يجدل الشاعر فى ابياته الماضي بالحاضر ليقدمها قرباناً للمستقبل . والزمن القائم على الدوام وفى كل مكان يترك اثار خطواته على وجودنا الهزيل كله . ويقول الشاعر « بني الزمن أسواره من حولنا ، وحوطنا بها » كما يقول « وها هي الأجيال جذوة من نار ملتهبة فى الليل اللانهائي » ثم يمضي فيقول فى قصيدته :

بين الاسوار الحجرية ، الليل أسود ،
فى جحيم اسود
ليلة بعد ليلة ، سنة بعد سنة ، لحظة بعد أخرى
ما يفقد قصة اليمة
مغامرة لا مفر من ان تقع فى قبضة الليل
ترتدي ثيابا جنزية ، وعلى وجهها قناع النسيان
تنزل بلباس الغواصين الى اعماق بحر من الصلب المنصهر
وتختفي بعجلة نجاة تعجز ان تطفو
تغوص وتضيع خلف اعمدة الظلمة
بعيداً ـ بعيداً وراء احزان الضياء
عميقاً ـ عميقاً ـ حتى مولد النجوم .

ثم يمضي جورج كوتسيراس فيجرى « حوارا مع سيزيف » ليواجه الضعف الانساني ازاء القدر ، ويكاد يهتف الشاعر فى حواره الطويل هذا « ما أعظم الضعفاء لحظة قوتهم » ولنستمع إليه يخاطب سيزيف فيقول :

انتظرتـــــك
وتنتظـــــرني
اعــرف اني سالتـقي بــك
وستجدنـــي كما كنـت منـذ الاف السنين
خلف اللحظة الأبدية اختبــىء ، فى انتظارك .
سيزيــــف
سيزيــــف
لمــاذا لم تعــرف للسعادة طعمة ؟
وماذا يهم حتى لو كنت نهاباً ، وقاطع طريق ؟
بالنسبة لك تحلل البحر الى آلاف القطـرات
ونـام المــوت نومة البشر
أخــذت الحياة البحـر فى احضانها ورحلــت .

إعـــادة بنـــاء الأســطورة

ولقد احب الشاعر سيزيف كثيرا ، فنفخ فى صورته الأسطورية انفاسا بشرية ، وجعلها تنبض بآلام الوضع الانساني ، بكل صموده واحباطاته .

سيزيــف
سيزيــف

حتى لو انك ميت ، فانـي أراك الآن حياً
وراء الموت تقبع منتظرا فى اصرار
وراء الحياة تختبـىء ولا تتـزعـزع
تهيب بضمائرنـا ان تفتـح عيونـا عادلـة
لانـي أراك بسيـف الظلم المشرع عاريـا
واسمـع صوتـك مثل حجـارة تتدحـرج
أراك
اسمعـك
واشعر بك حيـاً
هنـا
عبر الضفة الأخـرى لصوتي
سيزيـف
سيزيـف

ومن هنا يبدأ الشاعر فى اعادة تشييد الأسطورة المزلزلة على صورة جديدة ، ينفث فيها رؤيته وفكره . وقد سجل ذلك بعض النقاد الذين درسوا شعر كوتسيراس وفى مقدمتهم ثيمليس وسباندينوديس وميخائيل سيراكليس . وكم من صدق وثراء تضمنته أسطورة سيزيف . وقد ادرك كوتسيراس ذلك ، ورفض أن يعتبر هذه الاسطورة قد طواها ضمن ما طواه النسيان ، بل عمد الى نفض ما تراكم عليها من تراب . وابرز سيزيف على انه رمز العصر الذى نعيش فيه ، وقدم معاناته على انها معاناة الانسان الحديث ، وقد وجد فى كفاحه تعبيراً عن آمل الانسان فى غد افضل ، تنتهي فيه كل الآلام . ويقول الشاعر :

الظـلام فى أعماق العقـل يضيء
فينعكـس على سطـح البحـيرة
طيـف وضيء
لبطـل جديـد
يسير الموتى الذين لايرحمون ، هائمين ، فى ضياء النجوم .
ينزل الدرجات على مهل عجـوز لم يحـظ بالتوبـة
هنـا ، حيـث لم يعد الزمـن يـروح ويجيء
هنـا ، حيث احتفظت الوديان بذكريات فضية
من الصينية الكبيرة للقمر صاحب السيـادة .

أحياء كالأموات يرحلون . ينزلقون الى أمل كالسراب . يطأون باقدامهم الذكريات كأوراق شجر جافة ، ومع ذلك يحيون ، ويتحركون ، يجاهدون ويشقون ،
يحيا الانسان ، ويؤمن ، ويأمل . ويمضي بأصرار يجاهد وقد ركبه وهم كاليقين بأنه ربما غير مصيره . ولنستمع الى الشاعر اليوناني يعبر عن ذلك بقوله :

أولئك الذين يحيون يكسبون الحياة
أولئك الذين يموتون يكسبون المـوت
يجتاز الأحياء الضوء الباهر ، مهذبين ، مؤملين ، يحدوهم
فضول ان يعرفوا
ويجوس الموتى الظلمة التى لا فجر لها ،
ويمضون فى مخيلة الدهر الذى لا ينقضي
يحيون من جديد لحظة ميلادهم
يحتفلون بذكريات ماضية تحللت فى التراب
اما الأحياء فيظلون يرسمون الأسطورة الوضيئة ، فى
انعكاسات المرآة .
ويضخمون فى مكبرات الصوت الكلام الذى سيبتلعه
الصمـت
ويسابقون الصوت فى سرعته ليبلغوا المسافة بين الصمت
والصـدى
يغرقـون الظـلام فى لجة مـن الضيـاء
تنحدر نازلة خلف بوابات الشمس ، وتختفي
بعيداً ـ بعيداً فيما وراء احـزان الضيـاء
عميقاً ـ عميقاً حتى مولد النجوم .

●●

إن ما يضيع هو بالنسبة للجميع اقاصيص احزان فى سيرة الزمن غير المفهوم . وتضحى هذه القصص مأساوية الى حد الجنون ، وعندما ننظر اليها من زاوية العدم الذى لا مفر منـه.ويمضي كوتسيراس فيقول :

لم اكن أعرف ، يا سيزيـف
انـك تدحـرج صخـرتك
فى الموت كما كنت تدحرجهـا فى الحيـاة .
رأيتـك تحـت الشمـس الحارقة فى نهـار الحيـاة
يتصبب عرقـك ، وانـت تدحـرج صخـرتك .
وتمنيـت لـك قطـرة رطيبـة
تبلـل من لظـاك .
ثم رأيتـك فى الظلمـة الطينيـة
تلعق الديـدان قدميـك
وتمنيـت ان تهب ريح حارقـة
تزيل من على جسـدك الأدران .

معنى كفاح الانسان

إن الحياة مزدوجة المعنى . هي صراع وغاية ، جهد يبذل ، وغنم ينال . هل هذا صحيح ؟ اليس الألم هو الطريق الوحيد للخلاص ؟ ولكن كوتسيراس في «حواره مع سيزيف» يبقى أيضاً على عزيمة القوة ، على ارادة الكفاح من أجل الكفاح .

ولا يتخلى سيزيف عن دفع الصخرة الى أعلى مهما تدحرجت نازلة سفح الجبل . إنه العناد والاصرار اللذان يجعلان لكفاح الانسان معنى ماساويا . ان البطل الأسطوري لا يكف عن السعي الى هدفه ، ولا تثنيه عن ذلك أي صعاب . ألم يكن بامكان سيزيف أن يكف عن دحرجة الصخرة ؟ كان بامكانه ذلك ، لكنه كان سيفقد معنى وجوده ذاته . إن النكوص والتراجع ليسا قيمة انسانية بل ضعفاً . وقد اراد كوتسيراس من خلال مرثيته لسيزيف أن يمجد الجهاد من أجل الجهاد ،

حتى ولو لم يكن تثبيت الصخرة في مكانها بأعلى الجبل شيئاً ذا بال . وما الذى كان يعني سيزيف فى النهاية أن تظل الصخرة بالقمة أو أن تستقر عند أخمص الجبل ؟ ان المهم فى الأمر هو الاصرار والصمود . وهذا هو معنى سيزيف . وهذا أيضاً مضمون حوار كوتسيراس مع بطله الأسطوري الحبيب الذي جعل منه نداء الى بني عصره ، ودعوة الى الكفاح من أجل ما هو شامخ ونبيل . إن المطلوب من الانسان هو أن يجعل حياته صعوداً متصلا الى القمم ، ولن تكون خاتمة المطاف بالنسبة للانسان ان يبلغ قمة . لأنه لا يزال عليه أن يحافظ على وجوده بتلك القمة ، ولن يكون ذلك إلا بمواصلة صعوده الى قمة أعلى . ولا نهاية للقمم فى مسيرة الانسان النضالية . ويقول الشاعر اليوناني فى قصيدته :

جسدك ممزق ، يدمي ،
روحك متاكل .
نصفه غارق فى الظلمة
ونصفه الآخر فى الضوء الباهر
والزهرة المسمومة
بين الصخور الجدباء تنمو ،
سواء فى النور أو فى الظلمة
وبأعماقها ينضج
طعم الحياة المرة .

عذاب السعادة

إن الحياة الانسانية تمضي تحت وطاة لعنة أبدية بالكفاح المرير من أجل سعادة عسيرة المنال . ومع ذلك توجد هذه السعادة ، ومن أجل الظفر بها يمضي الانسان فى تحمل العذاب :

سيزيف
التقى بك الآن فى الحياة الأخرى
ينتقل صوتي الى الضفة الأخرى
ألقاك مجهداً ، يائساً ، معذباً
فى الحياة تموت
وفى الموت تحيا
ألقاك فى كل حركة هنا للانسان
ألقاك فى الشقاء اليومي هنا لزميلك الانسان
سيزيف
كيف تدحرج صخرتك هناك ،
بين النور وبين الظلمة فى الأعماق ؟

أهي السعادة تلك الصخرة دائبة التدحرج ولا تثبت فى مكان ؟ وما تلك اليد التي تعبث بنا ، ولا تترك صخرة السعادة فى مكانها ؟ ولنستمع الى جورج كوتسيراس فى هذه الأبيات الأخيرة :

أي يد تجذب الآن
الستار فى السماء ؟
منذا الذى يسرق النور
ليبيعه ليلة الشتاء
عندما لن يبقى وجود
لنجمة واحدة تضيء منسية
ولا حتى لنجيمة مزيفة
مثل وسام صدىء على صدر السماء ؟
امتلأ أديم السماء بالثقوب وتسلل البلل
مطر حزين ينهمر
مثل دموع
أين الشفاه التى ستنفخ ريحاً
تكفكف هذه الدموع
وتجفف النشع ؟
إنها تمطر ، تمطر ، فى الظلمات





« الصمت والتامل » ينبغي ان يكون موقف الشعر من الوجود لكي ينفتح معنى الزمن امام الشاعر .

ترتج الابواب
تسلل البلل الى كل مكان
انتفخ الوجود تعيسا
مثل خشبة
بين مياه البحار دب اليها العطن .
هذا قدر الانسان ،كما يراه «حراس الصمت» فى عطاء جورج كوتسيراس شاعر اليونان ،،

ترجمة د. نعيم عطية

فرسان الصحراء



الفنان القطري علي الشريف رأي:

الجيوكندا لا تستحق كل هذا الصخب



الفنان القطري علي الشريف

بشرى ناصر

قال لي وهو يقف امام لوحاته : أريد الآخرين ان ينظروا إلى اللوحة على انها فعل قادر على الوصول .. وعالم سهل الولوج .. الرسم عندي عملية خلق .. ثم ولادة .. ولادة ليست متعسرة ـ ولوحاتي ليست إمساخا ولا قاصرة النمو .. أراها متعافية تتحدث بأصالة وواقعية .. حين انجز عملا وانتهي منه اقيم معه احتفالا ودياً واقول له : هاقد صرت يافعاً فانطلق .. وحين يجد طريقه على جدار مبنى ضخم او فى حوزة شخص ما .. أستعيد الذكرى معه .. وأود لو أعود إليه او يعود .

قدمت «لسيتي بنك» مايقارب الأربع عشرة لوحة .. وساهمت فى إحياء

الدشة



المها

معرض « رامادا » قبل عامين باربعة أعمال .. كان اثنان منهما بحريين .. واللوحات الأخرى لموضوعات صحراوية وساشارك قريباً فى معرض يقام فى بريطانيا .. عرضت على الفكرة إحدى المتاحف الانجليزية .. وبصدد إنجاز ثلاثين لوحة .

وقال لي أيضاً أثناء حواري معه : أحدد مراحل عدة لقيامي باي عمل . أبحث عن الموضوع .. اعمل الاسكتشات .. ثم احولها الى التكوين الذى اريد .. ثم انتهى الى العمل المدروس الذى يكون بالطبع من الأعمال العشوائية . فموضوعاتي تقريباً تسجيلية .. كثيراً ما تفتقد ضبابية الخيال .

من أنت ؟

انا علي محمدالشريف .. من مواليد ١٩٥٣م .. بدأ اكتشافي للـــون ولذة «الخربشات» والخطوط المدهشة حين كنت فى السابعة .. وبدأت عملياً في الفن بعد تخرجي .. تخصصي تسويق .. ولكني أيضاً درست الرسم فى بريطانيا .. كثيراً ما استخدم موديلا فى أعمالي لأنه يخدمني .

ــ ترى ماالذى يجعل للوحة فنية قيمة عالية عن غيرها ؟ . وماذا تعني القضية الجمالية فى اللوحة .٠ ؟

● الاختيار الفردى فى أسلوب التذوق له أهميته فى عملية التقييم الفني ، فكل شخص له انطباعات معينة وإحساس مختلف .. ولعل هذا هو العامل الأساسي فى كون لوحة ما تختلف فى تقييمها الادبي والمادي عن لوحة اخرى .

انتظار الربيع

البحث عن حياة



الفنان القطري
على الشريف

ولعل العوامل الموجودة فى لوحة معينة اتقنت بشكل لم يستطرق من قبل حتى إن كان الموضوع مكرراً .. ولكن المعالجة الفنية والمهارة اليدوية أبدعت بصورة خيالية .. ومن المحتمل ايضا في حالات التفضيل بين لوحة واخرى هى عملية الدعاية نفسها ، فمثال ذلك لوحة الموناليزا .. للفنان ليوناردو دافنشي . مع أن هناك فنانين أجادوا وابدعوا فى كثير من الأعمال الفنية التى هي فى نظري أرقى بكثير من الجيوكندا .. ولكن الدعاية الاعلامية جعلتها واحدة من الروائع الفنية التى لاتقدر بثمن .

أما القضية الجمالية .. فان الجمال



الرحيل

في مضمونه يعني الجميل .. ولكنهما أبعدتا عن بعضهما البعض باعتبار ان علم الجمال لا يتضمن قيمة علمية لأنه يبدأ من تجربة معينة .. فالجمال ليس بنموذج ابدي .. او بقانون قائم مسبقا .. بل انه يجب إعداده .. والفكرة الجمالية تتضح وتتنوع وتتبلور بحسب كيفية التأمل الفني نفسه .. وكيفما أبدع الفنان في الاختيار .. فالابداع هو الرقي بالجمال ــ والجمال لدى معظم الناس هو وعد بالسعادة .. والسعادة باختلاف أنواعها مبنية على تذوقات جمالية معينة .

التواصل مع البيئة

ــ ماذا تعني اللوحة بالنسبة لك ..؟

● وظيفة العمل الفني بصورة عامة هي تكرار للطبيعة ولكن بتعبير آخر وبمعالجات مختلفة .. وبحسب الاندفاع الحسي لكل فنان .. والهدف من اللوحة هو إيصال المتعة الى الناظر أولا .. فلابد لنا أن نميز في كل عمل تصويري بين الموضوع والقطعة .. ومن الممكن معالجة الموضوع بمهارة فائقة في حين تظل القطعة عديمة القيمة .. فان اللوحة شيء يتضمن قيمة وبناء ووجودا قائما بذاته وتختلف كل الاختلاف عن مواضيعها ..

فقيمة اللوحة لا ترجع إلى موضوعها .. لأنه من الممكن الحكم على اللوحة الفنية بمدى المهارة التى طرق بها الموضوع ..

ــ ما هي علاقتك كفنان بالطبيعة والبيئة ؟

● انا لست فنان مناسبة .. أرسم دائما .. والفنان الجاد ــ المجدد هو الباقي .. بيئتنا مجال خصب للرسم ويبقى على الفنان البحث والقدرة على الاستشفاف ــ فعناصر الطبيعة لا تنتهي ولا تتوقف .. وانا لا استطيع إلا ان اتواصل مع بيئتي تواصلا عاطفيا .. وأترك الواني حرة .. فرحانة ببساطتها وقوتها ..

إنني لا أملك طموحا واسعا .. أعرف انني كبقية اخواني من البشر الذين يملؤون وجه الكرة الأرضية لا نملك إلا الادعاء والتداعي .. ولكني اثق بهذا الطموح .. واتركه يغني لي دائما حتى اقف .. وكثيرا ما اناديه ليشاركني طعامي ...

الهوية الفنية

ــ ما هو موقفك من الفن التجريدي ؟

● الفنان التجريدي حين يكون تجريديا لابد أن يمر بمراحل عديدة منها الواقعية التأثيرية إلى ان يصل إلى اسلوب خاص .. وانا من مدرسة الواقعية التأثيرية .. وهي برأيي مرحلة سليمة لايجاد هوية خاصة بي .

وعند ذلك الحد ينتهي حواري مع الفنان القطري علي الشريف الذى يطل على العالم بعينين باحثتين .. ترتبط اصابعه بعلاقة مع الرمل والصحراء .. ويرتبط هو مع اللون والمساحة والواقع .. بحيث لا تضيع أحلامه في عبثية مع اللون ومداعبات الريشة .

بشرى ناصر



المجتمع الأسطوري كما تخيله الفنان فرانك فرايت

الفن بين روح العصر وعالم الأساطير والخيال

بقلم : جمـــال قطـــب

فى عام ١٩٢١ ، انتهت الدادية كمذهب فني انعكست على أساليبه كل أهوال الدمار ومآسي الحرب العالمية الأولى ، التى داهمت الحضارة الأوربية كشبح كئيب القى بظلاله وظلامه على المدنية وعلى الأذهان والنفوس البشرية ، فحطمت كل شيء ، حتى اصطبغ الفن بهذا اللون القاتم المأساوي .. وأفرز تعبيرا (سيكولوجيا) كئيبا أطلق عليه انذاك الدادية .. أو (فن ضد الفن) ، وذلك لكي يواكب الدمار الذى استشرى فى ربوع البلاد الأوربية من جراء تلك الحرب المدمرة ؛ ثم لجأ الفنانون بعد ذلك إلى الهروب من الواقع بأسره ، وانتهجوا (السيريالية) .

وكما جاء فى بيانهم الاول فانها مذهب يتلخص فى التعبير عن خواطر النفس فى مجراها الحقيقي ، بعيداً عن كل رقابة يفرضها العقل ، ودون أى حساب للاعتبارات الجمالية ؛ ثم الارتماء نحو سلطان الأحلام المطلق ، والعمل على إحلال هذا المذهب مكان كل المذاهب الأخرى كحل جوهري وجذري هروباً من مشكلات الحياة :

ويتضح من ذلك ، أن انتهاج السيريالية ، لم يقصد به ابتكار أسلوب مستحدث فى الفنون الجميلة ، ولكنه كان سلوكاً جديداً فى الفكر والحياة .

ولعل رسم الخيالات والأحلام والرؤى الخاصة ، مذهب قديم كان يلجأ إليه كثير



انطلاقة الخيال الفنى فى العصر الحديث .. عندما لا تقاس حياة الانسان إلا بقدرته على تحويل الآلة الى بطل اسطورى .

من الفنانين كتعبير عن انطلاقة الفكر فيما وراء الواقع ، وكان ذلك قبل ظهور السيريالية عام ١٩٢٤ ، حيث نلمس تلك الرؤى الذاتية بوضوح فى أعمال (أركمبولدو) و (فوسلي) و (وليم بليك) و (بروجل) و (شاجال) وغيرهم ، وجميع هذه الأعمال تبدو سيريالية تجمع (على حد تعبير أندريه بريتون ، زعيم السيرياليين) بين حالتين متناقضتين هما : الحلم والواقع .

وتنقسم اللوحات السيريالية إلى نوعين من حيث طريقة الأداء : نوع يعتمد على التجسيد الواقعى ، ونوع آخر يميل إلى التجريد ويكاد أن يخلو من البعد الثالث . والنوع الأول يمتاز بأنه يجمع بين الخيال والواقع فى صورة واحدة ، ويعالج الفنان أشكاله بدقة واقعية لكي يبرز الكائنات التى يرسمها ، سواء أكانت واقعية مقتبسة من الطبيعة ، أو وهمية من عالم الجن والأساطير والأحلام . أما النوع الثاني فهو إطلاق الفكر بحرية كاملة لكي يملي خواطره وشوارده ونزواته وشطحاته ، بدون رقابة من العقل المقيد بقواعد المنطق والحساب ، فتاتي هذه الأفكار لتسجل تسجيلا مباشرا خلجات النفس وومضات الخيال ، دون أية مبالاة بالصورة التى ينتهي إليها هذا التسجيل أو بقيمتها الفنية أو الجمالية .

وقد ظلت السيريالية ـ كحركة منظمة

ـ تسيطر على عالم الابداع منذ عام ١٩٢٤ ، وكان آخر معارض السرياليين هو ما اقيم فى باريس عام ١٩٤٧ عقب الحرب العالمية الاخيرة .

السريالية المعاصرة

واذا كانت نظريات (سيجموند فرويد) فى التحليل النفسى التى ذاع صيتها فى أوائل هذا القرن ، والتى اتخذ منها السيرياليون ركيزة ومنطلقاً نحو عالم الأحلام الفسيح ، قد تفرغت بدورها الى عوالم إبداعية شتى تعنى بالشكل تارة وبالمضمون تارة أخرى ، إلا أن العصر الحديث ـ ولاسيما النصف الثانى من هذا القرن ـ قد فرض على الابداع أساليب وانماط أخرى ، عززت انطلاقة الفكر والخيال بافاق علمية واكتشافات جديدة ، وجد الفنانون فيها مادة غزيرة لشطحات عبقرياتهم نحو عالم المجهول الذى يرتكز على دعائم علمية مفرطة فى الغرابة والتعقيد : غزو الفضاء ـ أعماق البحار ـ اسلحة الدمار ـ عجائب المخلوقات على الكواكب الأخرى ـ القوة المذهلة للذرة والالكترونات .... الى آخر الاكتشافات العلمية فى عالم اليوم !

وصار طبيعياً أن نرى العديد من الفنانين المعاصرين ينتهجون المذهب السيريالى العلمى الحديث ، ويشتط بهم خيالهم لينقلنا الى عالم المجهول ، وكأنه حقيقة ماثلة أمامنا بكل اسراره وخباياه المثيرة !

ولم يقتصر فنانو اليوم على رسم اللوحات كما كان يفعل الفنانون فى الماضى ، بل تعدت نشاطاتهم الى عالم السينما والمسرح والكتب ومختلف وسائل الأعلام ....

وأصبح الفنان ـ بالرغم من اشتغاله بهذه الاهتمامات (الجماهيرية) ـ نجماً له جمهوره الذى يعد بالملايين ، يتلقفون ما ينتجه بالاعجاب والتهافت والتقدير اى ان الفنان من هذا الطراز قد أصبح اليوم فناناً جماهيرياً يسابق الزمن ليلم باطراف البحث العلمى الذى يسبق لغة الالوان والخطوط وفنون الرفاهية .

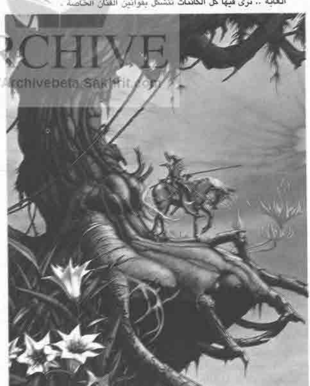
وكما وجد الفنانون الاوربيون فى أواخر الربع الأول من هذا القرن ، ان اللجوء الى الخيال والأحلام هو الملاذ بعد أن اصطلوا بنار الحرب والواقع المؤلم فى الحرب العالمية الأولى ، كذلك فعل هؤلاء (الخياليون الحالمون) من الفنانين الغربيين ، حيث وجدوا فى هذه العوالم الغامضة فرصة رحبة لايحدها المنطق ولا المعقول ولا الحساب ! .. جموح اتخذ من الاكتشافات العلمية ركيزة ثم انطلق بعدها الى عالم لا نهائى من مغامرات الخيال ! ومن الغريب أن هذه (الشطحات الفنية) قد سبقت العلم الى غاياته ، وكثيرا ما نجد أن الاختراعات الحديثة اللاحقة تتشابه الى حد كبير مع ما تصوره المفكرون فى عهود سابقة ! يتساوى فى ذلك الرسام والشاعر والأديب ، فكما سبق (ليوناردو دافنشى) عصره ، وتنبأ باختراعات وآلات قبل تحقيق صنعها بمئات السنين ، نرى أن هـ . ج . ويلز وغيره ممن تخصصوا فى القصص العلمى ، قد تخيلوا عوالم وكائنات ومبتكرات مثيرة ، ربما حقق العلم مثلها أو بعضها فى العصر الحديث !

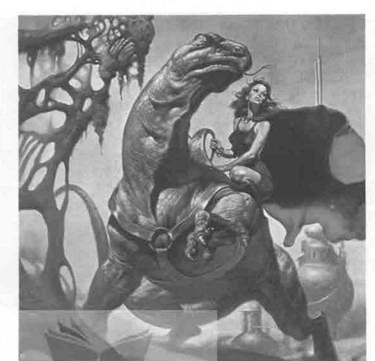
كما اننا نلاحظ إقبالا غير عادى على تلك الابداعات الخارقة فى الخيال ، وكأن الانسان الذى ألف الواقع منذ مئات وآلاف السنين قد تحرر فجأة من كل ما هو معقول تحكمه الروابط المنطقية وانطلق الى أطياف المجهول ، ليتصور عالما من وحيه هو ويعيش فيه بوجدانه وكأنه يتمرد على الواقع ليحيا فى مدينة الأحلام التى لم يكن ليراها إلا فى خيال الفنان !

الهروب من الواقع

وكثيرا مانرى أن الفنان بنزوحه عن الواقع المأساوى للحياة ، يلجأ الى عالم الحيوان ويتعايش معه فى ود وتعاطف يبلغ درجة الهيام ، فقد شاهدنا أعمال فنان ألمانى جماهيرى مثل (هنريش كلاى) الذى عمر نحو تسعين عاما (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢) قضاها فى انطوائية وتأمل فى ملهاة المأساة الانسانية ومحنة البشرية المتجددة دائما ، وآثر أن يبتدع عالما خاصا مليئا بالشخوص الاسطورية والأحلام والرؤى الذاتية ، فكما أن الأحلام


الغابة .. نرى فيها كل الكائنات تتشكل بقوانين الفنان الخاصة .





الوحوش الاسطورية التى انقرضت من على سطح الكرة الارضية .. هل تعود فى عصر العلم لتزيد اسلحة الدمار فى العالم من حولنا ؟

ــ كما يقول داروين ــ هى خلاصة رغبات ونوازع نفسية وجسدية لاتجد متنفسا لها الا فى عالم الموت الاصغر وهو النوم ، فان الفن يقوم بنفس الدور فى الحياة الواعية ! وبالرغم من أن هذا المجال الخرافى هو عالم خاص بالفنان ، إلا أن ملايين الناس تتفاعل معه وتعيش وجدانيا مع تلك الرؤى الغامضة وقد اختار (هنريش كلاى) عالمه الخاص على هيئة غابة اسطورية تسكنها الاشباح والشياطين ، خليط من الحيوانات والادميين ، ولعل هذا التعبير القاسى والخيالى في أعيننا ، هو تعبير منطقى عند الفنان عن روح العصر الذى غلبت عليه نزعات الشر والبوهيمية البدائية ممثلة فى سيطرة المادة وويلات الحرب والدمار !

وفى بعض حقبات التاريخ نرى أن هذا الاتجاه يسود كمذهب عام كما رأينا فى اليابان فى القرن الثالث عشر ، حيث تميزت تلك الفترة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية ، وبالقطع لابد انها ترجع الى عوامل نفسية سيطرت على روح الفنان وحولت تفكيره وابداعاته الى تلك الاتجاهات العبقرية الغامضة .

العالم الخاص

وعلى هذه الصفحات ــ فى الشهور الماضية ــ استعرضنا بعض الفنانين الذين نالوا اكبر قسط من الشهرة والانتشار فى العصر الحديث ، وتهافت الملايين على أعمالهم وكأنها متنفس لهم هروبا من الواقع ولجؤوا الى عالم الفنان الخيالى ، فرأينا فنان الاساطير (فرانك فرازيت) الحائز على جائزة التقدير الكبرى من أكاديمية الفنون الجميلة فى نيويورك ، وقد أصبح الشعب الامريكى ، وكثير من شعوب العالم الأخرى ، يتلقفون لوحاته الاسطورية التى اشتهر بها فى تسابق غريب .

وكذلك شاهدنا أعمال الفنان البريطانى الأشهر (دافيد شبرد) ، وهو لم يحلم أحلام اليقظة كما فعل (هنريش كلاى) او (فرانك فرازيت) ولم ينتهج منهج فنانى السيريالية كما فعل سلفادور دالى وغيره ، ولكنه بلغ قمة الشهرة والتألق الجماهيرى ، لنزوعه الى رسم حيوانات الغابة الأفريقية ، وكان نجم لوحاته صديقه (جامبو) ... وهو الفيل الأفريقى المهيب !

الفنان وعلوم العصر

... الخيال ... والحلم ... والأساطير ... وعالم الحيوانات والأدغال ... وجد الفنان فيها بغيته فى انطلاقة فكره حرا طليقا بعيدا عن قيود الواقع المرير !!! أما عالم الفضاء واكتشافاته العلمية المثيرة

فقد وجد فيه مئات الفنانين أرحب المجالات الفكرية واخصبها ... فتباروا فى الكشف عن خباياها ، وسبقوا العلم الى غاياته بخيالهم الحالم ، وتعايشوا مع كائنات الكواكب الأخرى ، وأقاموا مجتمعاتهم الأسطورية المتعاونة حينا ، والمتخاصمة المتحاربة احيانا أخرى ، وابتكروا أسلحة الدمار الرهيبة التى تغزو الفضاء والأجرام والكواكب بأنواع من الاشعاعات التى لم يتوصل اليها العلماء بعد ، وصوروا علماء الفضاء وقادته على هيئة مستقبليه ممعنة من التطور والذكاء والمعرفة الكونية الخارقة

ولا عجب أن تتلقف دور النشر وأجهزة الاعلام هذا الفيض من الابداع الخيالى ، وتغمر به العالم على هيئة مستنسخات فنية وكتب ومنشورات وأفلام وصور وشرائح وغيرها ، وتداخلت الحقائق العلمية بأوهام الاحلام الممتعة فى الخيال والتصور !

فأصبح (الفن) وسيلة عصرية تشد انتباه الناس الى نوع جديد من الرومانسية التى لم يألفها العالم من قبل ... وتغير مضمون العمل الفنى ، وتغيرت ــ بالتالى ــ رسالة الفنان فى عالم اليوم ، واختلفت الآراء ، وتضاربت المقاييس والمعايير ، وأصبح الحكم فى ذلك كله نسبيا تتحكم فيه العوامل النفسية والأحداث والمتغيرات اللاهثة ... وهذه هى طبيعة العصر .. وفى نفس الوقت ، فانها عظمة الفن الجميل وحيويته المتجددة التى لاتعرف السكون !

جمــال قطــب



سوق «اليوربا» .. حيث يلتقون فى ازياء كرنفالية فى غرب افريقيا .. والمعروف عنهم انهم تجار نشيطون



قبائل "اليوربا" بين الكبش والفيل والقرد

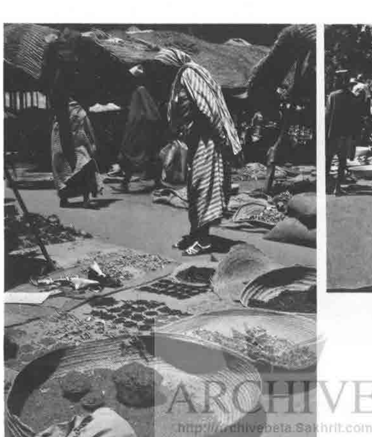
بقلم : د. حسن عيسى عبد الظاهر

قبيلة مشهورة وقديمة فى غرب افريقيا .. وفى هذه القبيلة يتزوج زعيمها مائة زوجة ... يرسلهن الى الأسواق للبيع والتجارة !

لقاؤنا هذه المرة فى (غرب افريقية) مع (اليوربا) مجموعة من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة هناك ، وبالتحديد فى (نيجيريا) ، وبالأخص فى الولاية الغربية ، وولاية (كوارا) منها ، وسوف نلتقى بهم بعامة فى حزام (السفانا) ، ثم فى منطقة الغابات الجنوبية التى تغطى أكثر من ثلث مساحة البلاد ، وفى غرب مصب نهر النيجر بما فيه الشريط الساحلى المطل على مياه المحيط الأطلسى ، غير ان معظم معيشتهم فى الداخل ، وليس لهم نشاط ساحلى كبير .

اختلف الكتاب من مؤرخين واجتماعيين ، وعلماء أجناس ولغات فى شأنهم . فمنهم من يعدهم من أهم المجموعات الزنجية الكبيرة ، وإن كانوا يختلفون قليلا فى النسبة الرأسية عن قبائل ساحل (غانة) . ومنهم من يجعل كلا من (يوربا ، وبرنو ، ونوبة) أبناء عمومة ، أو أبناء إخوة ، هاجروا سوياً من (آسيا) الى السودان ـ بمفهومه القديم غرب افريقية كله تقريباً ـ فتخلف النوبة فى أرض (دنقلا) شمال سودان وادى النيل ، واستمر الباقون فى هجرتهم حتى استقروا فى هذه المنطقة ، كل منهم بالجهة المعروفة به حتى اليوم . ويؤيد هذا القول بوجوه الشبه القائمة بين هذه الأجناس من ملامح وجوههم ورسماتها التى يرسمونها على أصداغهم ، وترى فى وجوههم على سواء .

والأمير (محمد بلّ) ـ من علماء الفولانى فى غرب افريقية فى القرن التاسع عشر.م ـ يذكر فى كتابه (إنفاق الميسور) : «أن أهل هذا البلد (يوربا) ـ على ما يقال ـ من بقايا (كنعان) وانهم قدموا من جهة مصر والحبشة حتى وصلوا الى (يوربا) ـ باعتبار أنها سميت باسمهم ، أو سموا باسمها ـ وكانوا يخلفون فى كل بلدة طائفة منهم .





مجموعات «اليوربا» اختلفوا حول أصلها، وقال بعضهم انهم جاءوا من مصر والحبشة .

الأحمر

اليوربا وقدماء المصريين

وروايات تواريخ (يوربا) الشفوية تفيد أنهم وفدوا من (حوض النيل) وبالذات من (مصر) ــ غالباً ــ منذ قرابة ألف سنة . كما تذكر أن مدينة (إيفى) قد غزتها جماعات من الشمال ، وأن عاصمة (اليوربا) انتقلت بعد ذلك الى (أويو) . ويستأنس لهذا القول : بانه وجد فى مدينة (أليفى) أقدم مدن (اليوربا) آثار الفن الفرعونى من المسلة الحجرية ، وتمثال الرءوس المصورة من الخزف ، وبعضها من النحاس ، وبعضها من الحجارة ، كما وجد على الجدران ، وألواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية .

بين اللغة المصرية ولغة اليوربا القديمة

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة الصلة اللغوية بين اللغة المصرية القديمة ولغة (اليوربا) من مثل ما كتبته المستفرقة الفرنسية (ل همبورجيه) فى كتابها (اللغات الزنجية الافريقية) وأثبتت فيه وجود ألفاظ مصرية قديمة في ديانة شعب (اليوربا) الوثنية فى غرب افريقية ، ومن مثل ما ذهب اليه (لوكاس) بمعجم ضخم لهذه الألفاظ المصرية التى لاتزال متداولة بين (اليوربا) الى اليوم ، فاذا ما عرفنا أن مصر ــ قديماً ــ كانت على اتصال دائم بسائر أجزاء القارة عن طريق مجرى نهر النيل وعن طريق الصحارى التى كانت أكثر رطوبة وأقل جفافاً فى الماضى البعيد مما هى عليه الآن أمكن وضع ذلك كله فى الاعتبار .

ويرجح (آدم عبد الله الآلورى) ــ من علماء اليوربا ومؤرخيهم المعاصرين ــ أن قبائل (اليوربا) ينتسبون الى (يعرب) ، وأن هذا الاسم وحده كاف لاثبات هذه النسبة ، وأن مدينة (اليفى) أقدم مدن (اليوربا) يحتمل أن يكون سكانها الأولون من الزنوج ثم نزل بها المصريون ، ثم (يُرْب = يعرب) الذين غزوهم من



المساجد ترتفع فى مناطق «اليوربا» بعد انتشار الدعوة الاسلامية على ايدى خير الدعاة .

قبائل «اليوربا»

(اويو) واستعمروهم .

غير أن هذه الآراء يعارضها بعض الباحثين وعلى راسهم المستفرق الأمريكى اليهودى (يوسف هـ جرينبرج) رئيس قسم البشريات فى جامعة ستانفورد فى كاليفورنيا بامريكا وهو صاحب مدرسة جديدة فى دراسة اللغات الافريقية إذ يرى أن لغة (اليوربا) أكبر وحدة من مجموعة لغات (كوا) تلك المجموعة العظيمة التى تسود بعامة الأقطار الحافة بخليج غينيا .

خصائص حياة اليوربا

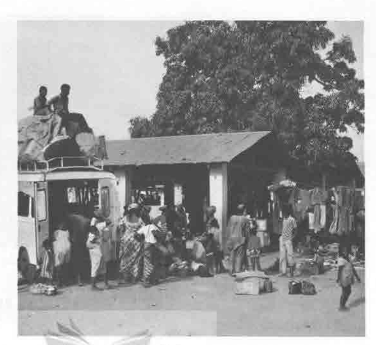
تتسم حياة (اليوربا) بالنشاط والجد وبخاصة فى التجارة ، فهم تجار نشطون بل إن التجارة تحتل مكانة كبيرة فى حياتهم الاقتصادية ، وتشارك فيها نساؤهم بقدر كبير إذ يقمن بعبء تجارة التجزئة بخاصة . وكذلك هم نشطون فى الزراعة ، والصناعة ، والمهن اليدوية ، ومع أن النشاط الزراعى له المكان الأول عند (اليوربا) فإن هناك حرفاً عديدة يقوم بها المتخصصون مثل النسيج والصباغة والحدادة ، وصب النحاس ، ونحت الخشب ، والعاج ، والقرع ، وصناعة العقود ، والصناعات الجلدية ، وعمل الحلى والتمائم وغير ذلك من الصناعات الدقيقة ، وقد اشتهرت كل من (بنين) و (إيفى) العاصمة الدينية بما اشتملت عليه من ذخائر فنية ، ومن تماثيل منحوتة من الخشب أو مصنوعة من القرميد ، ومن الحديد ، والبرنز ، وقد نقل كثير من التحف الى خارج البلاد حتى امتلأت بها المتاحف فى أوربا وامريكا ، وكان ملوك (اليوربا) ورؤساؤهم يشجعون هذه الصناعات والمهارات الفنية الى ان جاء الغزو البريطانى وغلبوا على امرهم وفر الفنانون والصناع الى الغابات هرباً من المستعمرين ، وبعد فترة تنبه المسئولون الى هذه الظاهرة فاخذوا يشجعونهم على العودة ، وعادت معهم فنونهم وصناعتهم الى الانتعاش . وهذا النشاط على اختلاف انواعه يتركز حول المدن التى طالما كانت ايضا مركزا للنشاط السياسى ، كما أن الفرد يتمتع فى سلوكه بقسط كبير من الحرية .

و (اليوربا) بعامة يعدون فى طليعة الشعوب الافريقية واكثرها تقدما .

الأسرة عند اليوربا

أما عن حياتهم الأسرية فتقوم على تعدد الزوجات وبكثرة ، والزوجة الأولى هى رئيسة بقية الزوجات ، ويلقى عليها مسئولية إقرار النظام بين النساء ، وتلقب بربة البيت ، بينما تلقب الأخريات (بزوجات التجارة) ، ولعل ذلك راجع الى أنهن يمارسن البيع فى الأسواق بصورة كبيرة ومنتشرة ، ويقول احد الباحثين (الأستاذ لاندر) ــ وقد زار بلاد اليوربا عام ١٨٣٠ م ــ : إن احد ملوك (اويو) كانت له مائة زوجة يرسلهن لبيع الغلات الزراعية .

وقد مارس (اليوربا) قديما تجارة



إنهم يبنون المدن على اساس التوسع التجاري .. وفي كل مدينة من مدنهم رئيس مطاع .

الرقيق ، وكانوا يجلبونه ــ غالباً ــ من الشمال ــ حيث بلاد الهوسا ــ ويبيعونهم على الساحل للمستعمرين من الاوربيين ، وهم بدورهم يرسلونهم الى اوربا وامريكا ، ويذكر عنهم الأمير (محمد بل) في (إنفاق الميسور) : (وكان اهل هذا البلد ــ (يوربا) ــ يجلب لهم العبيد من بلادنا هذه ــ دولة الفولاني في بلاد الهوسا ــ ويبيعونهم للنصارى أصحاب المرسى ــ الساحل ــ وإنما ذكرت لك هذه القضية لئلا تبيع عبداً مسلماً لمن يجلبه اليها ، وقد عمت البلوى بذلك) .

اشتهر (اليوربا) بانشاء المدن ذات الحجم الكبير ، وكلها في الداخل ، ويفضلون السكنى بها والحياة فيها ، حتى المشتغلين بالزراعة منهم يسكنونها معظم السنة ، وكل مدينة مقسمة الى اقسام يسكنها في العادة اناس من بطن واحد ، ولهم مجلس يسهر على مصالحهم له رئيس مطاع ، وهذا من أهم عناصر الاستقرار الذي يتميزون به .

ومن اعظم مدنهم « ابادان » وهي مدينة يوربية خالصة ، وتبعد عن العاصمة (لاجوس) قرابة ١٥٠ كم ، وهي عاصمة الاقليم الغربي من (نيجيريا) الاتحادية حالياً ، وتعد من أكثر المدن الافريقية نشاطاً ، وأكبر مدينة في (نيجيريا) ويزيد عدد سكانها على المليون عدا من تعج بهم من وافدين ، ويرجع التوسع المستمر فيها الى موقعها كمركز تجاري لكل ما يتعلق بمحصول الكاكاو النيجيري .

بين المعرفة والخرافة

وتجمع (إبادان) بين مراكز المعرفة والخرافة معاً ، ففيها مجموعة من المدارس ، وفيها المعهد العربي وهو قلعة للثقافة العربية والاسلامية ــ وقد قامت عدة محاولات من المبشرين لاغلاقه ولم تفلح ــ وفيها جامعة علمية من كبرى جامعات غرب افريقية ، ويقوم بجانبها سوق للسحر والسحرة بكل مستلزماته وادواته وشعوذته ، فمن اكاذيب وتهاويل الى جماجم قرود وحمير ولن تعدم فيها جمجمة ادمي الى أرجل حيوانات بجلدها وشعرها مشدودة في حُزَم الى نباتات ، واعشاب ، وأوراق واقلام الى كتبة ومشعوذين .. الخ .. عالم له سطوته وسلطانه ودولته على البسطاء وغيرهم .

ويقوم التبشير بنشاط واسع بين اليوربا وبخاصة في المدن ، ولمختلف المذاهب المسيحية كما ان له دوره في إثارة الفرقة والنزعات العصبية بين القبائل ، وتغذية الحركات الانفصالية وبخاصة في الشرق ــ في الايبو ــ وله نفوذ كبير مستمد من أكثر من جهة .

الديانات القديمة والعادات الجاهلية

كان ــ ومازال ــ الكثير منها قائماً وحتى الآن ، ومن مظاهرها في بعض البطون التمييز بين ثلاث انفس ، من بينها نفس تسمى (نفس الطير) وتفارق البدن وقت السبات ، ويمكن اقتناصها عن طريق السحر . كما ان الصلة بين الانسان والحيوان وثيقة إذ يزعمون ان لكل انسان شبيهاً وصنواً من الحيوان ، فاذا قتل حيوان قتل صنوه .

وبعض عشائرهم تسمى نفسها بالكبش ، أو الفيل ، أو القرد الأحمر ، حيث تربط الأساطير بين أجداد العشيرة وبين الحيوان المعين ، الى كثير من مظاهر (الطوطمية) : ... وتبلغ عدد الالهة المزعومة عند (الوثنيين) قرابة أربعمائة ، اكبرها (اولورن) وهم ــ في زعمهم ــ ينشرون الحماية على القرى والعشائر ، كما تنتشر عندهم الجمعيات الدينية وهي عبارة عن اندية خاصة ، ونفوذها سياسي واجتماعي وعلى جانب عظيم من الأهمية والخطورة ، وهي اقرب الى التنظيمات السرية ، ومنها جمعية (أورو) وهي تمثل أرواح الآباء والأجداد ، وتعبر عن ارادتهم ويحكم اعضاؤها بالاعدام ــ أحياناً ــ على من ينتهك عادات القبيلة ومقدساتها ، ويخرجون في الليل لينفذوا هذه الأحكام سراً ، وعلى النساء أن يبقين في بيوتهن إذ ذاك حتى لا يرين هذه المشاهد .

وينتشر فيهم نوع من السحر يتكهن



يشتهر «اليوربا» باتقان الحرف العديدة ومن بينها صناعة الفخار والنسيج والحلى والجلود .. وتشترك النساء مع الرجال فى هذه الصناعات .

قبائل "اليوربا"

أصحابه بواسطة ضرب الرمل وهو من تعاليم إله المستقبل عندهم (فا) وهو الكاشف عن أسرار الوجود والمعبر عن ارادة الاله الأعظم ويعرف كهنة (فا) هذا باسم (بوكوئون) .

ومن العادات كذلك انه يوجد يوم ــ من أيام السنة ــ تختفى فيه كل النساء من شوارع مدينة (إبادان) ، ليس من الشوارع فحسب ، بل تخلو منهن المدارس والأسواق والمتاجر والمكاتب ، إنه يوم (ظهور الغول) ، وإنه ــ كما يزعمون ــ لغول خطير يظهر مرة فى السنة ، ويسير فى المدينة ، وكل امرأة يراها ، أو يقع نظره عليها لابد ان تموت فى سنتها هذه ، ومن هنا كان لابد لهن أن يختفين فى ذلك اليوم منه .

أما هذا الغول ماهو ؟ إنه فى حقيقته عبارة عن رجل ما يظهر فى يوم معين ويلبس لباساً ملوناً ومخيفاً ، ويضع فوق رأسه جمجمة لامرأة . يقال إنه نظر اليها فلم تختف منه فماتت ، واخذ جمجمتها وانه يضعها على رأسه كل سنة ويسير بها فى المدينة لتعتبر النساء وتخافه ، وتخاف سطوته وتأثيره الخ ...

ومن الرياضة العنيفة والمألوفة فى (إبادان) ويتجمع حولها الجموع أن ينزل شابان الى حلبة اللعب يحملان العصي ويظل يضرب كل منهما صاحبه ضرباً شديداً على الصدر والظهر متجنباً الرأس حتى تسيل الدماء منهما وهما يتضاحكان !

وقد يكون لهذه اللعبة هدف ــ أحياناً ــ وهو امتحان من يريد الزواج ، فان صبر على هذا الامتحان القاسى زوجوه ، وإلا فليستعد لجولة أخرى بل جولات .

الاسلام فى اليوربا

ظلت مناطق اليوربا محرومة من نور الاسلام فترة طويلة رغم انتشاره فى شمالها فى (السفانا) لكن وقفت أمامه فى الطريق اليهم قسوة الجو المشبع بالرطوبة على الساحل ، وكثرة الغابات الملتفة التى لا مسالك فيها ، والمستنقعات المنتشرة فى تلك الأرجاء ، وكثرة الجماعات الوثنية ، وعداؤها لكل قادم عليها . لكن بعد أن قامت فى بلاد الهوسا فى القرن الثانى عشر الهجرى ــ التاسع عشر الميلادى ــ دولة اسلامية قوية على يد (الفولانيين) استطاعت أن تمتد بالفتوح الاسلامية الى جهة الجنوب حيث مناطق الوثنية قديماً من (يوربا) وغيرهم فى (إيلورين) وما يليها ، وظل يواصل امتداده حتى وصل (إبادان) واتسع انتشاره فيها .

ومن الدعاة الأوائل الذين قاموا بعبء الدعوة الاسلامية فى تلك المنطقة نذكر منهم : الشيخ العلامة : ابراهيم البيغورى الفولانى ، والشيخ أحمد التاختى التفاوى ، والشيخ ابراهيم الملقب بقبر العلوم الهوساوى ، والشيخ أبو بكر المدعو (بوبى) الفولانى ، والشيخ ابراهيم بتورى الذى جاء من (أغاديس) والامام موسى الكبير الذى جاء من (أبج) وامثالهم ممن هاجر من (اهير) و (أويولى) وغيرها .

ومن هذا يبدو أثر (الفولانـــى) و (الهوسا) فى نشر الاسلام فى (اليوربا) وكيف انه تم ذلك كله على يد عناصر افريقية دخلت الاسلام مبكراً وحملت أمانة نشره بين بنى جنسهم من أبناء القارة .

وقد سهل انتشار الاسلام فى اليوربا ــ وفى غيرهم ــ أنه دين الفطرة ، سهل التناول لا لبس فيه ، ولا تعقيد ، ولا غموض ، ولا تناقض ، ميسر الشعائر والتكاليف وتبدو اثاره فى معتنقيه طهراً وسلوكاً كريماً ، متميزاً .

وقد خطا الاسلام فى (اليوربا) الآن خطوات كبيرة وواسعة رغم ما يقام فى طريقه من صعوبات جمة ، وتحمل أجيال (اليوربا) أمانة الدعوة اليه ونشره فيما بينهم وفيما حولهم ، ويأتى الكثير منهم الى الجامعات والمعاهد فى العالم العربى دارسين ومتعلمين ، كما انه ينتشر فيهم الآن المعاهد التى تعنى بالدراسات الاسلامية واللغة العربية فى (إبادان) و (إيلورين) وغيرهما .

والناظر الى المسجد الكبير فى (إبادان) يبدو له معلمة اسلامية ومنارة تشع بالهدى وسط الغابة فى غرب افريقية ، وهو مكون من خمسة طوابق خصص الأول منها للنساء ، وتراه يوم الجمعة ، وقد توافد عليه المصلون زرافات ووحداناً ، واحتشدوا فيه وخارجه حتى لتموج الميادين والشوارع من حوله بهذه الجموع البشرية المسلمة فى ملابسها البيضاء ونور الاسلام يغمرها ، ويضيء جوانب الغابة من حولها ، وسيظل ما بقى الليل والنهار .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

عبد الله الشيتي

رينيه كاسبار فنانة فرنسية ترسم مظاهر الحياة في منطقة الخليج



فى السوق .. لوحة من لوحات الفنانة الفرنسية التى تزور منطقة الخليج العربى .



الفنانة الفرنسية « رينيه كاسبار »

لقيتها فى الكويت مؤخرا .

وبالتحديد خلال اقامتها معرضها الفنى الباهر فى (البيت الفرنسى) ، ثم فى صالات نادى الصيد والفروسية الشهير فى الكويت حيث عرضت آخر ما ابدعته ريشتها الذكية اللماحة من لوحات ومرايا ، تداخلت فيها معانى الاصالة بملامح التراث ، فبدت وهى تتعايش مع لوحاتها كما لو انها عاشت فى صحراء الخليج وعلى شطانه سنين طويلة مضت ...

إنها الفنانة الفرنسية المعروفة «رينيه كاسبار) وهى تصف معطياتها الفذة ، من خلال لصوقها بريشتها ـ رفيقة حياتها ـ فتقول «للـــدوحـــة» :

ـ اننى متصلة بريشتى اتصال الروح بالجسد ...

واطلعتنى على جملة من اللوحات النادرة التى تعتز بها من بينها صورة





لوحة لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز واخرى لسمو الأمير الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح .



« ثلاثي الحي القديم » .. من واقع الحياة القديمة فى المنطقة .

للرئيس الراحل أنور السادات قبل مقتله بطالع لوحته بريشتها ؛ ولوحة أخرى نادرة لسمو امير الكويت الراحل الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح وهو يدشن إسالة النفط من أرض الكويت فى عهده آنذاك . ولوحة للملك خالد بن عبد العزيز . وبعض اللوحات البيئية المعبرة عن ظواهر الحياة الخليجية وبعض تقاليدها وعاداتها الموروثة. ولاتملك إزاء سلاسةريشتها وعذوبة ألوانها ورقة تعبيرها فى خطوطها الأليفة الحانية ، الا أن تزداد إعجابا بريشة (رينيه كاسبار) وهى تقول لى :

ـ انها شديدة الاعتزاز لزيارتها منطقة الخليج العربى ، وسعادتها بالغة لأنها عرضت جانبا من أعمالها التى تعتز بها وتطرى بإعجاب ظاهر مستوى الذوق الفنى الذى يطبع الكثيرين من أهل الخليج ومثقفيهم وشبانهم بطابعه المتميز بالوعى والاصالة والاحاطة بالتطور الحضارى والانسانى .

وتقول الفنانة الفرنسية (رينية كاسبار) :

ـ لقد ولدت في عام ١٩٤٨ فى جنوب غرب فرنسا ، واذا كنت اصبحت مجدا فنيا فقد تحقق لى ذلك فى الثلاثين من عمرى . (ورينيه تنتمى الى مجموعة الفنانين المبدعين الذين لم يتعرفوا على (ستديو) معين ؛ ولا تاثروا باية مدرسة فنية ، ولكنهم تمكنوا بقدرتهم على اختيار التكوين من إجبار الناقد على تسليط الضوء على عبقرية هؤلاء الذين يكافحون للوصول إلى قمة التعبير المصور فورا ، بمساعدة حواسهم ، وبمعلوماتهم عن نوعية «العالم المعقول)

وتحمل رينية كاسبار جائزة خاصة فى مسابقة أوروبا الكبرى عام ١٩٧٥ ، ودبلوم شرف فى صالون الخريف .. عام ١٩٧٥ لأكاديمية مارش :(مدينة بوردو ـ فرنسا) . وجائزة أولى وميدالية ذهبية فى الصالون الدولى للفنون عام ١٩٧٦ . ودبلوم شرف الفنانين المتحدين .. ١٩٧٧ . وهى عضو صالون الفنانين المستقلين فى باريس وسبق لها ان اقامت معارض عدة ، فى بعض العواصم الأجنبية .

ومما قاله فيها بعض النقاد والكتاب العالميين :

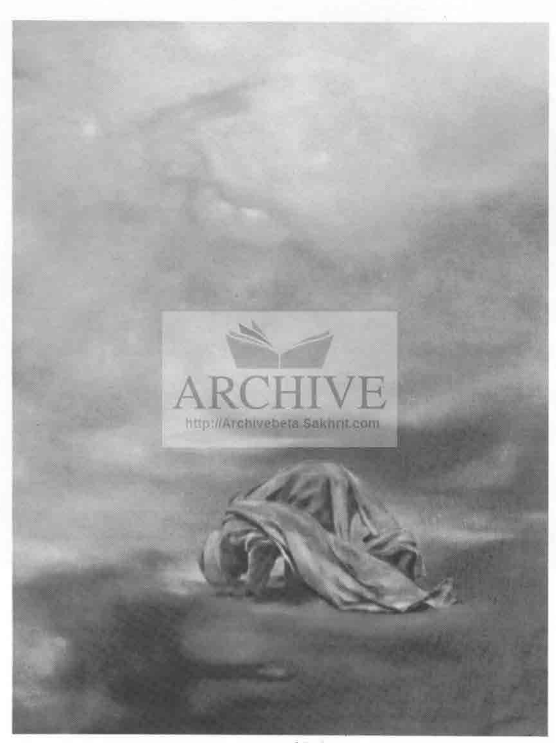
ـ رينيه كاسبار هى فى كل أعمالها ، ولاسيما التى تنتمى الى الفترة الشرقية من حياتها ، تحرص أن تبدو الرؤية عندها مفصلة لكل ما فيها من صدق فى التعبير ، فضلا عن تميزها بالترجمة الحقيقية والاختلافات الناعمة فى التصميم ؛

خـــلال التصرفـــات الرفيعـــة والسيكولوجية والوجودية «للموديل» يصل العمل عادة الى التصوير المبدع الكامل مع قالب شبيه بالحلم .

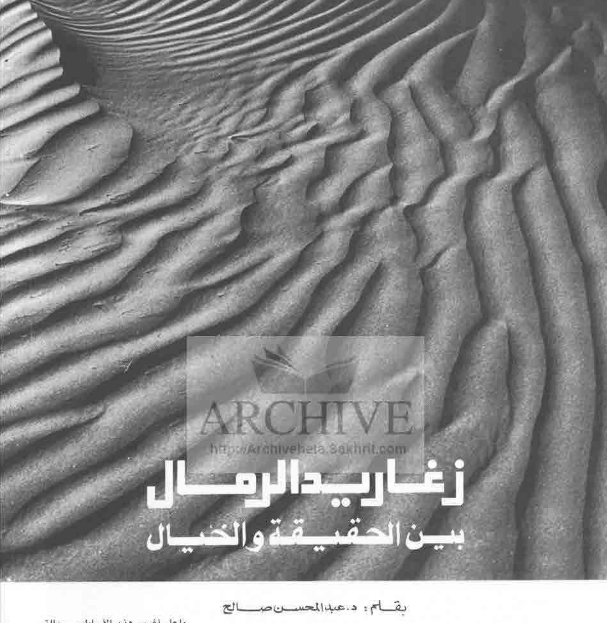
ـ هذا هو فن رينيه كاسبار ، والتى برسومها المليئة بالاحساس لاتحدد نفسها فقط لهذا النوع فهى ايضا رسامة للمناظر الطبيعية ، تترجم بروح من الشعر حيث نرى حدة بصيرتها ، والدقة فى تكوينها وشخصيتها الفريدة

ـ رينيه كاسبار ، هى واحدة من هؤلاء ؛ مولودة لتكون فنانة . فنها الشخصى يعجب به الشخص لصدقه العميق ، وهذا الاعجاب الشديد الذى ينبع ، ياتى الى العقل بمناظر بلاتو فى كل اعماله العملاقة لتربط المعرفة بروعة الجمال ... ؛

وبعد فان لوحات رينيه الفنية ، تدل عليها ريشة وإنسانـــة ؛



صلاة فى الفجر .. لوحة معبرة للفنانة الحاصلة على عدة جوائز عالمية .



زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

عندما تتجلى بعض الظواهر الطبيعية لعامة الناس، ثم لا يستطيعون لها تعليلا، ولا لمسبباتها تفسيرا، فان أيسر ما يشرحون به هذه الظاهرة أو تلك، هو تصور قصص خيالية، أو حكايات خرافية، تنطوي عادة على خوارق ومعجزات، أحيانا تسيطر عليها قوى غيبية، فتريح العقل من عناء الفكر، وشقاء البحث، فيهجر الحقيقة، ويستكين لتصورات مريحة، وأوهام سقيمة قد تضر ولا تنفع.

ولعل أغرب هذه الأساطير ـ والتي لها صلة بموضوعنا هذا ـ تلك الأسطورة التي تتلخص في صدور أصوات تشبه دقات الطبول، وصليل السيوف، وزغاريد النساء، من بين تلال الرمال التي تنتشر غرب قرية «البربا» بصعيد مصر، ولازالت هذه الظاهرة تتكرر بين الحين والحين، ولقد فسرها الناس هناك بأنها معجزة تعلن عن نفسها، وتذكرنا بأن الذين استشهدوا في سبيل الله، لم

الى اليمين رمال ذات أمواج متناسقة ومتداخلة ، ولقد شكلتها الرياح الى قطاعات متتابعة ، لتصنع منها كثبانا رملية قد تمتد كبحار فوق الصحارى الشاسعة ، لكنها بحار ذات امواج متجمدة .. والى اعلى كثبان رملية تكون مجموعة من التلال

يموتوا حقا ، بل هم احياء يرزقون ، وبطبولهم وسيوفهم يظهرون ، وبين الرمال يحاربون ، ليذكروا الناس بالمجاهدين الأوائل .

هذا يعني ـ وكما يفسر عامة الناس هذه الظاهرة ـ ان هناك موقعة قد حدثت فى هذه التلال إبان الفتح الاسلامي لمصر ، وفيها استشهد عدد كبير من المجاهدين الأوائل ، ودفنوا بين هذه الرمال بطبولهم وسيوفهم ، ولكنهم مع ذلك يعودون كل فترة زمنية ، ليذكروا الناس بشرف الموقعة ، وجلال الاستشهاد ، ولذة الانتصار ، وما هذه الأصوات الصادرة إلا أصوات سيوفهم ، ودقات طبولهم ، تختلط بزغاريد الانتصار .

وطبيعي ان احدا لم يشهد معركة قائمة ، ولا سيوفا ضاربة ، ولا نساء مزغردة ، ومع ذلك فالأصوات من بين الرمال قادمة ، وهذا دليل على صدق المعجزة ، ولا شيء غير المعجزة ! .

القصة ـ بلا شك ـ جميلة ، وهي للنفس مريحة ، ولكن العقل الناضج قد لا يرتاح لها كثيرا ، فما اكثر المواقع الحربية التى استشهد فيها عظماء الاسلام ، ومع ذلك ، لم يعلنوا عن استشهادهم ـ كما فعل الذين استشهدوا فى تلال الصحراء الغربية المتاخمة لصعيد مصر ، فلماذا

صورة من الجو للكثبان الرملية العالية فى جوف الصحراء الليبية .



قافلة من الجمال تسير على كثيب رملي يعرف باسم «ظهر الحوت» فى بحر الرمال الاعظم بجمهورية مصر

يعود هؤلاء دون غيرهم من الشهداء ؟ سوال منطقى يبحث عن جواب !

الظاهرة صحيحة .. والتفسير خاطىء !

وطبيعي ان عامة الناس معذورون فيما يعللون ، إذ ليست لديهم ملكة التقصي والبحث عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية ، فهذه تحتاج الى مؤهلات عقلية خاصة ، ومناهج علمية مقننة ، وفى أغلب الأحيان يعيدون كل ما عجز العقل عن تعليله الى ما يسمونه بالمعجزة .

إن ما يتحدث عنه الناس من أصوات صادرة من الرمال صحيح من حيث المبدأ ، لكنه خاطىء فى المنهج ، ومضلل فى التعليل ، ولقد ذكرت المراجع العلمية مثل هذه الحالات ، وعرفت أسبابها ، واعادتها الى عوامل طبيعية تتمشى مع

زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال



تكوينات رملية ترتفع وتنخفض وتنثني وتتماوج وتتخللها ظلال تكسب الكثبان لمسة جمال ، وقد تثير فى الانسان الرهبة والخيال .

أسس النواميس الكونية ، وعندئذ لابد ان تنتفي معجزاتها ، أو يتوارى منها عنصرا الخيال والأسطورة اللذان يرتاح العامة لهما كثيرا .

ففى الثلاثينيات من هذا القرن جاء الى مصر العالم الفيزيائي البريطاني رالف باجنولد ، وتجول فى صحاريها ، ودرس رمالها ، ووصف كثبانها ، وسمع بنفسه ما سمعه الناس من أصوات أشبه بصدى الطبول ، وفى هذا كتب يقول : « لقد سمعت اصواتا غريبة منبعثة من الرمال الواقعة فى جنوب غرب مصر ، حيث لا يوجد انسان ولا حيوان .. سمعتها مرتين في ليلة ساكنة على هيئة دوي يتردد فجأة بين التلال بقوة ، لدرجة انني كنت اتكلم بصوت عال مع مرافقي ليستطيع سماعي ، وتبع ذلك – في التو واللحظة – جلجلة اصوات اخرى تداخلت مع الدوي الذى يشبه صدى الطبول ، وبحيث كان من الممكن تمييز دقاتها بوضوح ، وكأنها صادرة من مكان قريب . ولقد استمر هذا « الكورس » او الترنيم الغريب فترة تجاوزت الخمس دقائق ، وبعدها ران على المكان هدوء مثير ، وتوقفت الأرض عند ذلك عن اهتزازها » !

ونفس هذه الظاهرة أيضا يتحدث عنها بدو واحة سيوه بمصر ، فلقد اخبرني احد ضباط الجيش انه سمع جلجلة ودمدمة وأصواتا غريبة تصدر من الكثبان الرملية المنتشرة حول الواحة أثناء خدمته هناك ، وعندما استفسر من الأهالي عن سر هذه الضوضاء العالية ، ارجعوها الى أرواح الجنود الذين قتلوا فى معركة من معارك الحرب العالمية الثانية ، ولكنها تعود احيانا ، وكأنما هي تحارب وتصول وتجول ، ثم يخيم على المنطقة السكون !

ولقد تحير باجنولد فى تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، رغم أنه درس هذا الموضوع دراسة وافية ، عله يعرف سر الميكانيكية التى تتحول فيها بركة الرمال أو انهيارها إلى أصوات تشبه دقات الطبول وصليل الأجراس ، أو الأنغام التى تصدر عن بعض الآلات الموسيقية ، أو غير ذلك من أصوات تشبه الصيحات أو الأزيز أو الهدير أو الزغاريد أو الدمدمة أو الجلجلة .. الخ ، ولما فشل فى الوصول الى تعليل معقول ، ترك الموضوع بكلمة يذكر فيها « إنه لم يتوصل حتى الآن الى شرح علمي مقبول لمثل هذه الظاهرة المحيرة » !

لكن باجنولد لم يغلق الباب ، بل تركه لغيره ، عله يتخذه مدخلا لتعليل ما لم يستطع باجنولد له تعليلا . سنعود الى ذلك بعد أن نقدم المزيد عن هذه الظاهرة.

بين رمال سيناء وجبل الناقوس

وليست هذه الظاهرة مقصورة فقط على صحارى مصر ورمالها ، بل تتخذ انماطا شتى فى صحارى العالم التى تتميز بوفرة فى الكثبان الرملية المتحركة والواقع ان الصحراء الكبرى التى تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الخليج العربي شرقا (لأن شبه جزيرة العرب كانت في الماضي السحيق جزءا من هذه الصحراء ، ثم حدث شق عميق فى الأرض تمخض عن البحر الأحمر كما نعرفه اليوم) . هذه الصحراء مسرح كبير لكل ما هو مثير وغريب من ظواهر طبيعية أعادها الانسان غالبا الى قوى غيبية أو اشباح وغيلان وجن وارواح شريرة وغير ذلك من تفسيرات لازالت تنتشر بيننا حتى الآن كإرث ثقيل على العقل والنفس .

ففى المملكة العربية السعودية توجد منطقة يطلقون عليها اسم جبل الناقوس ، ولهذه التسمية ما يبررها ، لأن البدو



كثبان رملية من النوع المعروف باسم « السيف » .. وعلى سطحها (اسفل الصورة) ترى آثار اقدام ، وفوقها يبدو الانسان كريشة تذروها الريـــاح .

واحد من سكان الجزيرة العربية يستخدم هاتفا يعمل بالطاقة الشمسية ، وبهذا يتحول تيه الصحراء الى نوع من الامان .

الرحل سمعوا من هذه المنطقة فى الازمنة الغابرة (ولا زالوا) اصواتا تشبه دقات مجموعة الاجراس التى تنتهي بجلجلة عالية ، ولقد تحيروا هم ايضا فى تعليل هذه الظاهرة أعظم حيرة ، ولكنهم مع ذلك عللوها تعليلا يلائم مقتضى الحال . وقالوا ان هذه الاجراس لكنيسة دفنها الله تحت الرمال ، بعد ان اشرق على جزيرة العرب نور الاسلام ، ولازالت نواقيسها تدق الى اليوم على فترات زمنية متباعدة ، حتى يؤمن الناس بتلك المعجزة ، ولكن العلم لا يعترف كثيرا بالمعجزات ، لأنها ـ اى المعجزات ـ شيء مخالف ومخل ومحطم للقوانين الكونية ، والشرائح الطبيعية . إذ عندما تفسر المعجزة تفسيرا علميا منظما ، ينتفي منها عنصر المعجزة ، وتصبح ظاهرة طبيعية لها مقومات واصول .

إن جلجلة جبل الناقوس بالسعودية هو نتيجة طبيعية لانهيار تكوينات خاصة من الكثبان الرملية ، فتصدر منها اصوات تشبه جلجلة الأجراس .

وقد تتخذ هذه الاصوات نغمة اخرى مختلفة ، فالذين ساروا فوق رمال شبه جزيرة سيناء ، او قضوا بعض الليالى الهادئة بين كثبانها ، قالوا انهم سمعوا اصواتا كانما هى الزغاريد او الترانيم او الالحان الغامضة ، ولهذا اطلقوا عليها اسم الرمال الشادية او المزغردة او المغنية او اي تعبير اخر يؤدي الى نفس المعنى ، لان الأصوات الصادرة عن حركة الرمال ، لانك تختلف باختلاف العوامل التى تؤثر عليها ، والتكوينات التى تتشكل بواسطة الرياح وشدتها واتجاهها .. الخ . وللناس فى هذه الأصوات حكايات وشطحات واساطير ، وكل يعللها بعقيدته التى يرتاح اليها ، ولا احد يلومه على ذلك ، ولكن الحقيقة ان هذه الأصوات ليست صادرة من قوى غيبية ، بل ان لها اسبابها التى درسها العلماء دراسة وافية ، إما فى معاملهم ، او على الطبيعة ، وقدموا لنا حصيلة علمية توضح لنا الغث من السمين ، او الخرافة من الحقيقة .

الرياح ترسم بالرمال

وسر اختلاف الأصوات الصادرة من الرمال ، يرجع اساسا الى طبيعة هذه الرمال ، وإلى الاشكال او التكوينات التى تتخذ انماطا شتى على اماكن متفرقة من صحارى العالم ، وتعتبر الصحراء الكبرى أكبر الصحارى على الاطلاق ، وفى هذه الصحراء تقع معظم الدول العربية الكائنة فى شمال القارة الافريقية .. هذا وتبلغ مساحة هذه الصحراء حوالي ٢,٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ فدان (او حوالي ٣,٥ مليون ميل مربع) وعلى هذه المساحة الهائلة يستطيع الانسان ان يرى كل ما هو مثير وغريب ، فمن هضاب قائمة ، الى جبال ذات الوان متباينة ، الى تلال مترامية ، الى وديان غائرة ، الى واحات متناثرة ، الى خضرة وحياة نادرة ، الى ظروف جوية قاسية ، الى بحور من الرمال ذات تموجات قد لا تختلف كثيرا عن التموجات التى نراها علـــى المسطحـــات المائيـــة فـــي بحـــار العالـــم ومحيطاتـــه ، إذ ان كليهما ـ اي تموجات بحار الرمال والمياه ـ ينشا نتيجة للرياح السارية ، لكن تموجات الرمال اكثر تنوعا ، وازهى منظرا ، واروع تشكيلا من تموجات البحار او المحيطات ، ولهذا كان للشعراء فى وصفها صولات وجولات ، وكانما هي على قسوتها وجمودها ، وكلاحتها ، قد اصبحت مصدرا من مصادر الجمال ، ومنبعا للوحي والالهام !

لكن اهم ما يميز بحور الرمال هو تنوع كثبانها ، وتعدد الوانها ، واختلاف تموجاتها ، وتباين احجامها ، ومن اجل هذا قسمها العلماء الى تكوينات شتى ، فمن الكثبان الرملية ماهو هلالي ، او نجمي ، أو هرمي ، أو ما يشبه الرمح او

زغاريد الرمال
بين الحقيقة والخيال

السيف ، فمن تموجات معقدة تختلف باختلاف نوع الرمال ووفرتها ، وشدة الرياح التى توجهها وتحركها فى أشكال منمقة ومنظمة ، كانما هناك قوى خفية ترسم وتشكل وتجسد الرمال فى طرازات تثير الفكر ، وتدعو الى الخشوع والتأمل لكل من يعشق الطبيعة فى اية صورة من صورها (انظر الأشكال الدالة على ذلك ، فهي تغنى عن أي وصف يمكن أن نقدمه فى هذا المجال) .

ومع ذلك ، فليس هناك ما هو اجمل ولا أبسط من الوصف الذى قدمه لنا عالم الفيزياء البريطاني رالف باجنولد عن بحور الرمال التى تمتد بغير حدود فى الصحراء الكبرى إذ كتب عن الكثبان الرملية ، ووصف ما راه بقوله : « فبدلا من توقعي رؤية مناظر مشوشة او فوضوية وغير منسقة ، بدلا من ذلك ، فقد اصبت بدهشة وذهول عندما رأيت بساطة فى التكوين ، ودقة وانضباطا فى التكرار ، وهندسة فى التنظيم غير معروفة فى الطبيعة على مستوى اكبر من مستوى التكوين البلوري الدقيق ، ففي بعض المناطق توجد تجمعات هائلة من الرمال تزن ملايين الأطنان ، تتحرك على سطح الصحراء بعناد وبتكوينات منتظمة ، وقد تراها تكبر وتنمو مع الاحتفاظ بشكلها ، كانما هي تتوالد بطريقة تقلدبها النمو والتكاثر الذى نراه فى صور الحياة . ولاشك ان ذلك ليثير فى العقل ارتباكا وتشويشا ، حتى ولو تمتع هذا العقل بقسط وافر من الخيال »!

والواقع ان هذا الوصف ليس خيالا محضا ، بل هو يحمل بذور الحقيقة ، لأن باجنولد قضى سنين طويلة وهو يدرس تكوين الكثبان الرملية ، سواء على سطح الصحراء ، او فى داخل معمله ، حيث كان يحضر عينات من الرمال المختلفة ، ويسلط عليها تيارات مختلفة من الهواء ، ويسجل حركة واصوات حبيبات الرمل ، وكيف تتجمع فى تكوينات ، ثم كيف تتحرك هذه التكوينات من مكان الى اخر ، ولقد وجد ان العملية كلها محكومة بعوامل عدة ، فاذا اشتغلت ، شكلت ونظمت وحركت ! .

حركة الكثبان

ولقد اتيحت لكاتب هذا المقال فرصة اختراق جزء من الصحراء الغربية الى الوادي الجديد بمصر (واحات الداخلة والخارجة) لاجراء بعض البحوث على المياه الجوفية ، وعلى الطريق المرصوف اعترضنا كثيب رملي يتخذ شكلا هلاليا منتظما فى واجهته الأمامية (أي من ناحية الطريق) اما ظهره فكان مقوسا او محدبا ، ولقد تساءل الذين لم يروا هذه الظاهرة قبل ذلك عن سر وجود هذا التل من الرمال على الطريق ، وقال من يعرف لمن لا يعرف : إن هذه الكثبان من النوع المسافر او المتحرك ، وقد يستغرق الكثيب منها بضعة شهور أو سنين ــ يتوقف ذلك على حجمه وامتداده ــ لكي يعبر الطريق المرصوف ، ثم ياتي غيره وغيره ، وهكذا تستمر حركتها ، مادامت هناك رياح سارية ، ورمال متجمعة ، وصحارى قائمة

وعلى مدى البصر ، رأينا هذه الكثبان الهلالية وهي تنتشر على ساحات واسعة ، وتتخذ فى اسفارها اتجاهات محددة ، فعندما تكون واجهتها الهلالية صوب الجنوب ، وظهورها او واجهتها الخلفية صوب الشمال ، فان ذلك يعني ان اتجاه الرياح التى رسمتها ونمقتها ، تسري من الشمال الى الجنوب ، ومع سريانها ، تتحرك حبيبات الرمل معها ، صاعدة من أسفل الظهر الى قمة الحافة الهلالية ، فتنزلق منها الى أسفل ، وتحتل قاع الواجهة الهلالية ، ومن خلال هذه العملية ، تتقدم الكثبان مع اتجاه الريح .. صحيح أن عملية سفي الرمال عملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا طويلا ، تعطك الدليل القاطع على أن الكثيب يتحرك خلف الكثيب مئات والاف الكيلومترات ، مالم يوقف زحفه عائق طبيعي او صناعي ، فيثبته فى مكانه ، ويخلص الكائنات الحية ــ بما فى ذلك الانسان ــ من شروره وآثامه !

ولقد حدد الدارسون سرعة هذه الكثبان ، فوجدوها تختلف باختلاف شدة الرياح ، وطبيعة الأرض ، ونوع حبيبات الرمل ، وحجم الكثيب نفسه .. الخ ، ففى عام واحد قد يتحرك الكثيب عدة امتار تعد على اصابع اليد الواحدة او قد ترتفع الحركة مع ارتفاع سرعة الرياح ، فيسافر الكثيب بمعدل قد يزيد عن الثلاثين مترا فى العام ، وهي فى مسيرتها تدفن تحتها كل ما يعترض طريقها من طرق ومنشئات ونخيل واشجار وواحات وينابيع مائية .. الخ ، ولهذا يحاول العلماء محاولات مضنية لاستنباط وسائل فعالة واقتصادية لتجميد هذه الكثبان فى اماكنها ، حتى لا تبيد الزرع والضرع ، لكن ذلك موضوع اخر طويل ، وقد نتعرض له فى دراسة اخرى قادمة .

وتختلف كثافة الكثبان الرملية وانتشارها ووفرتها من صحراء لأخرى ، فثلث مساحة المملكة العربية السعودية مثلا مغطى بتلال من الرمال من كل شكل

الكثبان الرملية الهلالية ، وهي من النوع المتحرك ، وتوجد فى الصحراء الكبرى



وحجم ونوع ، ولهذا تعتبر من أغنى صحارى العالم بهذه الكثبان ، ويليها في هذا المضمار الصحراء الكبرى ، إذ تحتل الرمال حوالي ١٠٪ فقط من مساحتها الكلية ، وأحيانا ماترتفع هذه الكثبان الى أكثر من مائتي متر ، خاصة في الربع الخالي من المملكة العربية السعودية ، وقد يمتد الكثيب الى أطوال تصل ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ كيلومتر ، وبعرض يصل الى حوالي كيلومتر ، ويطلق العرب على هذه الكثبان اسم « السيف » ، لأنها تدق وتدق عند أطرافها كما يدق نصل السيف عند طرفه .

وثمة كثبان رملية أخرى توجد في بحر الرمال الأعظم بمصر ، ويطلق عليها اسم « ظهر الحوت » ، وهي أضخم أنواع الكثبان طولا وعرضا ، كما أنها ليست من الكثبان المتحركة (على الأقل ظاهرا) ، ولهذا اتخذها مرشدو الصحارى بمثابة علامات شبه ثابتة ، خاصة في هذا التيه الواسع من الرمال التي تمتد في كل الاتجاهات ، وكأنما هي تبدو للعين البشرية بدون بداية أو نهاية ، ولهذا يعبر عنها الرحالة ج . رولاند بقوله « إن المسافر عبر هذه الكثبان ، يحسب نفسه أنه في قلب متاهات رهيبة لا سبيل الى الخلاص منها على الاطلاق ، فاذا صعد الى قمة كثيب عال ، والقى من فوقه نظرة فاحصة على ماحوله ، فسوف يذهل عندما يرى الكثبان تحيط به من كل اتجاه وكأنما هي أمواج بحر عاصف تجمدت في مكانها ، وامتدت في كل الآفاق » !

تشكيلات من كثبان الرمل ، تحير العقل ، وتثير الخيال .

عود على بدء

والحديث عن نشأة الصحارى عامة ، والكثبان الرملية خاصة ، حديث لا ينضب له معين ، كما أن البيئة الصحراوية من أقسى البيئات التي تتعرض لها الكائنات الحية (بما في ذلك الانسان) ، وغالبا ما تتكيف مخلوقاتها بظروفها الصعبة ، وتتشكل على أساسها ، ولهذا فان لساكني الصحارى طباعا وعادات تختلف عن ساكني الوديان والسهول والمدن والواحات ، وكل هذه مواضيع شيقة ، وقد نتعرض لها فيما بعد لنوفيها حقها ، وعلينا الآن أن نعود لسؤالنا الأول : ما هو التعليل العلمي لسر الأصوات والنغمات والضوضاء التي تنشأ من الرمال ؟

إن ذلك يرجع الى انهيارات مفاجئة في الكثبان الرملية بفعل رياح أو انسان أو حيوان .. الخ ، وفيها تحتك بلايين من حبيبات الرمل ببعضها البعض ، فتعطى أصواتا تختلف باختلاف طبيعة الحبيبات ، وكمية الرمال المنهارة ، وسرعة ومدى انحدارها .. الخ ، هذا ويعتقد دكتور ج . رامسدن أن هذه الأصوات ترجع كذلك الى كهربية استاتيكية تحملها حبيبات الرمل الشديدة الجفاف ، وعندما تصطدم ببعضها عند انهيارها ، تفرغ شحناتها « بفرقعات » قد تتضخم لتصبح كدوي رصاصات ، أو دقات طبول ، أو صليل أجراس ، أو جلجلة رعود ... الخ .

ومنذ سنوات قليلة قام فريق من العلماء الأمريكيين باجراء تجارب على بعض الكثبان الرملية بصحراء نيفادا ، ونشروا بحوثهم في مجلة بحوث الفيزياء الأرضية وذكروا ـ ضمن ما ذكروا ـ أن العين البشرية لا تستطيع التمييز بين كثبان موسيقية (أي تصدر عند انهيارها أصواتا ايقاعية) ، وأخرى صامتة ، لكن فحص حبيبات الرمل بالميكروسكوب الاليكتروني المجسم يوضح أن حبيبات الكثيب الرملي المجلجل لها سطوح أعظم صقلا من الكثيب الصامت ، كما أن الأصوات الصادرة منها تختلف باختلاف المؤثر الذي يؤثر عليها ، فاختراق الكثيب بجاروف غائر ، يحدث أصواتا أشبه بالنغمات الصادرة من أرغن أو كمنجة كبيرة ، وقد يكون الصوت الصادر من الكثبان أعلى من صوت الأرغن بمرات عديدة ، لكن لمس الرمال بكف اليد وتحريكها يؤدي الى اصدار أصوات أقل حدة ، ولقد تم تسجيل مثل هذه الموجات الصوتية من خلال ميكروفونات حساسة أو مسجلات لقياس اهتزاز الرمال ، أو غير ذلك من أجهزة لازمة لمثل هذه البحوث التي توضح لنا الغث من السمين ، أو التعليل العلمي السليم ، من التعليل الأسطوري السقيم ، وفي ذلك الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون .

د . عبد المحسن صالح





وسط عالم حافل برائحة النقود تجرى احداث فيلم « امهات فى المنفى .. وفى الفيلم نرى عادل امام وإسعاد يونس عندما يضعان اقدامهما على طريق الثراء

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعًا هامًّا

بقلم : رءوف توفيق

شهدت السينما المصرية فى النصف الاخير من عام ١٩٨١ .. ظهور ثلاثة افلام على جانب كبير من الاهمية .

والافلام (حسب ترتيب عرضها بالقاهرة) هى : اهل القمة ـ الحب وحده لا يكفى ـ امهات فى المنفى .

واهمية هذه الافلام ترجع اساسا الى القضايا التى تبنتها .. فضلا عن المستوى الفنى الجيد التى قدمت به .

والخيط الرئيسى الذى يجمع بين هذه الافلام ، انها تتناول الظروف التى تحيط بواقع الشباب المصرى والتحديات الصعبة ، والمعاناة التى يخوضها يوميا فى الصراع الدائر بين مفاهيم الشرف والاخلاق والعمل والاحلام والطموح المشروع .. وبين مفاهيم التجار والسماسرة والذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادى .. ففرضوا كابوسا ثقيلا من اهتزاز القيم ، والثراء الفاحش السريع ، واخلاق القنص والانتهازية !

وأفلام النقد الاجتماعى لهذه الظاهرة بدات تسري فى السينما المصرية فى السنوات الاخيرة .. احيانا بشكل سطحى .. واحيانا بنوع من المبالغة .. وتحولت احيانا الى المتاجرة . وهذا اسوا اشكال الفن واكثرها خطورة . لان الذين صنعوا مثل هذه الافلام ، هم ايضا من نفس التركيبة الفاسدة التى استغلت كل الظروف من اجل التجارة والكسب السريع !!

● اول محاولة جادة

ولكن يمكن التوقف امام فيلم «انتبهوا

حوار ساخن فى فيلم اهل القمة بين عزت العلايلى وسعاد حسنى .. يحاول اقناع اخته بالابتعاد عن طريق النشال الذى يغريها بثروته

احلام العمل والبحث عن وظيفة محترمة فى فيلم (الحب وحده لا يكفى) .. اللقطة هنا لنور الشريف وميرفت امين .

أيها السادة» للمخرج محمد عبد العزيز .. كأول محاولة جادة ، قدم فيها كاتب السيناريو الشاب «أحمد عبد الوهاب» المفارقة الساخرة المؤلمة بين جامع قمامة ومدرس جامعي .. حيث يستطيع جامع القمامة ان يستغل ظروف سوق العمل الحر . فيتنقل مقتنصاً اية فرصة للثراء .. ويتحول من جامع قمامة صغير الى صاحب مزرعة لتربية المواشي .. الى مقاول كبير يتاجر في بناء العمارات ، وله أسطول من سيارات النقل الخاصة ، ويعيش في ثراء بلا حدود .. وينفق الألوف في الملاهي الليلية وتحت اقدام الراقصات .. بينما المدرس الجامعي ينحت طريقه في الصخر .. رافعاً مبادىء الشرف والأخلاق والقيم الفاضلة .. وتكون نهايته ، ونهاية الفيلم أيضاً .. هذا الهذيان المحموم ، بعد أن فقد حبيبته .. وفقد توازنه .. واختلطت الأمور بالنسبة له .. ولم يعد يحتمل هذه المعركة الشرسة .. فكان الانهيار !

وقد فاز هذا الفيلم في جوائز الدولة للسينما المصرية ، هذا العام .. بجائزة أحسن اخراج ، وأحسن سيناريو ، وأحسن ممثل (حسين فهمي في دور المدرس الجامعي) .

وحقق فيلم «انتبهوا أيها السادة» صدمة المفاجأة .. ان السينما المصرية تستطيع ان تقول أشياء جادة وخطيرة .. لو أرادت !

● ولايزال التحقيق مستمرا

وفي نفس ذلك العام ـ عام ٨٠ ـ والذي عرض فيه «انتبهوا أيها السادة» .. عرض أيضاً فيلم «ولايزال التحقيق مستمراً» للمخرج أشرف فهمي .. والذي استطاع مع كاتب السيناريو الشاب «مصطفى محرم» أن يستفيدا من قصة قصيرة منشورة للكاتب احسان عبد القدوس .. ويحولاها الى قضية تقوم على موقف الزوجة بين زوج يؤمن بالمثاليات والقيم .. وبين عشيق يبهرها بالثراء وكل ما تحلم به كامرأة جشعة !

وينتهي الفيلم باكتشاف الزوج للخدعة .. واكتشاف الزوجة للحلم الكاذب والذي تورطت فيه .. فتقتل الزوجة عشيقها .. ثم يقتلها الزوج تخلصاً من هذا الفساد الذي ألحقته بحياته !

وقد فاز هذا الفيلم ايضا بعدة جوائز هامة .. منها جائزة الاخراج .

● أهل القمة

وتتعاقب الأفلام .. حتى يعرض فيلم «أهل القمة» للمخرج علي بدرخان .. ليفجر من جديد نفس القضية في عمل سينمائي متميز فنياً .

و «أهل القمة» هي في الأصل قصة قصيرة للكاتب نجيب محفوظ .. وقد اشترك المخرج علي بدرخان مع كاتب السيناريو «مصطفى محرم» في تحويلها الى فيلم يموج بالحركة والحيوية والفن .. وأيضاً بالتساؤلات والأفكار .

فأهل القمة هنا .. هم اللصوص الجدد الذين استفادوا من قوانين الانفتاح الاقتصادي .. وتحولوا الى فئة شديدة الثراء ، باهرة الشكل ، ترتدي أحدث الثياب ، وتستخدم افخم السيارات .. وتتستر أحياناً وراء مظاهر التدين .. فهناك هذا المهرب الكبير الذي يرتاد المساجد ويتصدق على الفقراء ، وأصابعه لا تفارق حبات المسبحة .. بينما في حقيقته أفعى ضخمة تنفث سمومها ، وتقاتل في معركة البقاء في هذه الغابة المتوحشة .. حيث المبدأ السائد .. اقطع اليد التي امتدت اليك حتى تنفرد بكل شيء !!

والفيلم .. وكما أراد نجيب محفوظ في قصته .. يضع المواجهة بين ضابط شرطة شاب (عزت العلايلي) ونشال (نور الشريف) طالما تعقبه الضابط ، وقبض عليه ، وطالما استخدمه للارشاد عن المسروقات وبينهما علاقة مشوبة بالحذر .. أشبه ما تكون بعلاقة القط والفار .

ويفاجأ الضابط ذات يوم باختفاء النشال من الوكر الذي تعود أن يجلس فيه مع زملائه النشالين .. ويتساءل الضابط عما حدث ؟ .. لقد انخفضت جرائم النشل في منطقته .. ولكن هذا لا



امينة رزق .. الام التي تحولت إلى لاجئة مشردة بين بيتي إبنتيها ... في فيلم أمهات في المنفى



قفص دجاج يحمله السيد راضي الى ماجدة الخطيب فى لقطة تكشف اللهفة على تحقيق كل الطموحات فى اسرع وقت ممكن فى فيلم امهات فى المنفى .

يبعث على الطمأنينة ! . فما هو تفسير اختفاء النشالين ؟! .. ويأتيه الرد من صاحب المقهى العجوز ، الذى أصبح وحيداً بعد أن هجره زبائنه من النشالين: «انهم يعملون فى ضوء النهار .. وتحت حماية الشرطة» !!

ويكتشف الضابط الحقيقة .. لقد تحول النشالون الى التجارة .. تجارة المهربات .. وأصبحوا جزءاً من عصابة الرجل الكبير (يلعب الدور عمر الحريرى) الذى يتمسح بالدين .. والعصابة تقوم على تهريب البضائع من بورسعيد .. ثم عرضها للبيع فى أحد أسواق القاهرة المزدحمة ، حيث تتكدس فى حوانيتهم الصغيرة كل أنواع البضائع وأغربها .. من الثلاجات الى التليفزيونات الملونة الى الصابون وشامبوه الشعر !! .

ويصف نجيب محفوظ هذه المأساة فى تلك العبارة من قصته : «أصبح هؤلاء من الأغنياء .. أما هو وأعوانه فيغوصون فى غمار الفقراء» !

ويجسد الفيلم هذا الصراع من داخل بيت الضابط الشاب حيث يعيش مع زوجته واطفاله ، وأيضاً مع شقيقته وابنتها (سعاد حسنى) .. وحيث يصبح عليه أن يحقق لهم المستوى المعقول من الحياة ، وأن يلبى كل طلباتهم .. فى ظروف صعبة .. وبدخل محدود .. ومشاكل لا تنتهى .. وتأتى الصدمة القاسية عندما يعرف أن ابنة شقيقته على علاقة عاطفية بالنشال التاجر حالياً .. وهو الذى وقف حائراً ومشفقاً عليها عندما تقدم لخطبتها شاب متعلم لا يملك إلا مرتبه الضئيل وأحلامه الصغيرة .. ونصحها وقتها بأن تتريث فى الموافقة .. لأن الحياة بهذا الدخل المحدود لا يمكن أن تستمر أو تنمو .. وارتضت الفتاة بقراره .. أما حبيبها الشاب فقد قرر السفر للخارج بحثاً عن العمل المريح .. وهكذا يحدث الشرخ فى حياة الفتاة .. وتصب عليها كل هموم البيت الصغير .. حتى تجد هذا النشال ــ وهى لا تعرف حقيقته ــ يمد لها يده بالحب والحنان .. وتتشبث بهذه اليد .. وتصر عليه حتى بعد أن عرفت حقيقته .. فلما لا ؟ مادام سيحقق لها الحياة المريحة وينقذها من هذه الهموم والمتاعب !! .



عقيلة راتب لا تتصور ان ابنتها الجامعية تتزوج عامل بناء .. واللقطة اثناء محاولة لارضاء (سعيد صالح) وإلى جوارها وحيد سيف يحاول تقديم النصيحة .

وهكذا يجد هذا الضابط نفسه داخل معركة مع جميع الأطراف .. المعركة فى بيته .. وفى عمله حيث يحاول المهرب الكبير الافلات من قبضة القانون . بل ويسعى لاستصدار قرار بنقل الضابط الى صعيد مصر عقابا له !

وينتهى الفيلم .. بهزيمة المبادىء والمثاليات .. وانتصار اهل القمة الجدد من اللصوص والمهربين والنشالين !!

● فى مواجهة الاعصار

ويمكننا ان نلاحظ تشابه نهاية فيلم «انتبهوا ايها السادة» مع نهاية فيلم «اهل القمة» حيث يصبح على الفرد المؤمن بالشرف والاخلاق ان يدخل فى امتحان صعب ، وفى ظروف اهتزت فيها الكثير من القيم والمبادىء .. وفى كلا الفيلمين نجد هذا الفرد الشريف يواجه بحصار داخل بيته وفى مستقبله .. فالمدرس الجامعى فى فيلم (انتبهوا ايها السادة) تتضاعف ماساته عندما تنهار خطيبته امام إغراء جامع القمامة الذى يصبح ثريا ، وترضى بان ترتبط به بدلا منه .. والضابط الشاب في فيلم (اهل القمة) يواجه نفس الماساة عندما يجد ابنة شقيقته ترتبط بالنشال الذى طالما طارده وقبض عليه ، والذى يمثل له فى النهاية النقيض الاخلاقى !!

وكلا الفيلمين يصلان الى نفس النتيجة .. حيث لا يمكن للفرد الواحد ان يواجه هذا الاعصار الهائل الذى يهز كل ما حوله !

ويعتمد كلا الفيلمين على براعة الممثلين الذين يقومون بادوار المواجهة بينهم ..

فى فيلم «انتبهوا ايها السادة» يتالق كل من محمود ياسين وحسين فهمى .. وفى فيلم «اهل القمة» يتبارى نور الشريف وعزت العلايلى فى اداء متميز وعلى قدر كبير من فهم طبيعة الدور وابعاده النفسية .

وإن كان فيلم اهل القمة يحقق مستوى فنيا عاليا .. فى التصوير (محسن نصر) والمونتاج (سعيد الشيخ) .. وفى براعة المخرج (علي بدرخان) بالالمام بكل تفاصيل الموضوع والاحتفاظ بسخونة القضية منذ بداية الفيلم وحتى نهايته !

● الحب وحده لا يكفى

ويظهر فيلم «الحب وحده لا يكفى» للمخرج الشاب علي عبد الخالق .. وعن قصة لاحمد فريد .. ومعالجة سينمائية لاحمد عبد الوهاب ، وسيناريو وحوار مصطفى محرم .. ليقولوا كلمتهم فى نفس القضية .

حيث يتعرض الفيلم لشاب وفتاة يتخرجان من الجامعة ، ويرتبطان ببعضهما فى قصة حب .. ويصبح

عليهما الانتظار لحين وصول خطابات القوى العاملة ، والتى تحدد لهما الوظيفة التى سيلتحق بها كل منهما .. ويطول الانتظار .. سنة .. وسنتين .. وثلاثا .. وتضطر الفتاة (ميرفت امين) ان تعمل فى محل كوافير لتقلم اظافر اقدام النساء .. وارتضى هو (نور الشريف) ـ بناء على نصيحة من جاره عامل البناء (سعيد صالح) ـ ان يلتحق بنفس العمل كعامل بناء !

وهكذا وضعا جانب شهادتيهما الجامعية ، وكل سنوات العلم والتحصيل ، وكل احلام العمل فى التخصص الذى درساه .. فى مقابل ان يجدا مبلغا من المال ، ليسدا احتياجاتهما اليومية .. وليدخرا منه ما يصلح لبداية تأثيث بيت الزوجية .. ولكن ام الفتاة (عقيلة راتب) لا تتصور ان ابنتها من الممكن ان تتزوج عامل بناء .. وتضغط عليها : إما ان تتخلى عنه .. او ان يبحث هو عن «وظيفة محترمة» !

وتحاول الفتاة ان تنقذ حبها .. وتستجيب لاقتراح زميلتها السابقة فى الجامعة (ناهد شريف) بان تسعى لها فى الالتحاق كسكرتيرة احدى شركات تقسيم الاراضى وبناء العمارات .. وبالفعل يتم تعيينها فى هذه الشركة .. وبعد فترة تقنع الفتاة خطيبها بان يلتحق بنفس الشركة .. وايضا بواسطة هذه الزميلة الجامعية السابقة ..

ولكنهما يكتشفان فى النهاية .. انها شركة وهمية تقوم على النصب والاحتيال .. وانها كسكرتيرة عليها ان تبيع جسدها مع الشقق التى تعرضها للبيع .. ويكتشف هو انه تورط فى عملية احتيال راح ضحيتها عشرات العمال الذين اقنعهم بحلم السفر للعمل فى البلاد العربية بأجور خيالية .. فذهبوا الى هناك ، ليفاجأوا بان عقود العمل مزيفة !!

وتأتى النهاية بعد رحلة طويلة من المعاناة والضغوط .. والفتاة تتسلم خطاب القوى العاملة .. بينما الشاب يرفض العمل الحكومى .. ويختار ان يبقى كما هو بين السقالات كعامل بناء !

والفيلم فى مجموعه يقدم مأساة شباب بأحلامه المشروعة فى العمل والحب والاستقرار .. ولكن يواجه بكل التحديات اللااخلاقية .. والتى يفرضها اصحاب الدخول الطفيلية .. فالعمل احيانا محسوبية .. واحيانا ورطة يدفع ثمنها الشباب صغير السن .. القليل الخبرة .. ويفلت منها الكبار الدهاة الذين لا يتورعون عن فعل أى شىء فى سبيل زيادة مكاسبهم !

وقد برع الفيلم فى تقديم العالم من وجهة نظر فتاة تتعامل مع اقدام السيدات الفارغات عقلا ، والمتكبرات ، واللاتى يتباهين بصلاتهن واموالهن .. كما برع فى تقديم عالم النصب والاحتيال فى الشركات الوهمية حيث تدار الصفقات على موائد القمار ، وحيث يصبح كل شىء مباحا من اجل إتمام الصفقات !! .. وبنفس البراعة قدم الفيلم عالم الحارة المصرية واخلاقيات ابن البلد الاصيل الشهم الذى لا يرضى بالحال المايل ، حيث لعب «سعيد صالح» واحدا من افضل ادواره الفنية .

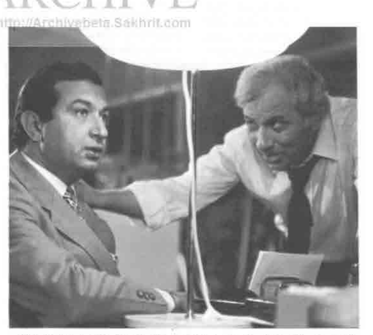
وإن كان يعيب الفيلم بعض الاستطرادات إلا انه فى النهاية يحسب للمخرج علي عبد الخالق .. انه استعاد مكانته الفنية حينما قدم عام ٧٣ فيلم (اغنية على الممر) كأول فيلم من انتاج جماعة السينما الجديدة والتى ظهرت لتغير وجه السينما المصرية .. فها هو فى فيلم «الحب وحده لا يكفى» يعلن من جديد انه مازال موجودا على خريطة السينما التى تستطيع ان تقول اشياء جادة !

● امهات فى المنفى

وهذا ما حدث أيضا للمخرج محمد راضى بفيلمه الجديد (امهات فى المنفى) قصة وسيناريو الكاتب يوسف جوهر .

هنا محمد راضى يستعيد نفسه .. ويدخل تجربة الانتاج بقلب جرىء ليقدم موضوعا يحشد فيه العديد من النماذج التى استغلت الانفتاح الاقتصادى فى مصر ، لتحقيق طموحاتها الشخصية .

والأم فى هذا الفيلم هى امينة رزق ، لها ابنتان متزوجتان (ماجدة الخطيب وزوجها السيد راضى ـ واسعاد يونس وزوجها عادل امام) .. والأم لها شقة فى وسط البلد ، تعيش فيها بمفردها .. ومن هنا يتفق الزوجان بمساعدة زوجاتهما فى اقناع الام بقبول عرض بيع الشقة بمبلغ ضخم على ان يأخذا نصيبهما .. وان يتبادلا بعد ذلك استضافة الام فى منزليهما .. وامام الالحاح والكلمات المعسولة والوعود البراقة بكرم الضيافة .. توافق الأم .. ويتم البيع ويأخذ كل



عمر الحريرى «المهرب الكبير» ونور الشريف الذى اصبح فجأة من كبار التجار فى فيلم اهل القمة .

ثلاثة أفلام عربية جديدة تناقش موضوعا هاما



أشرف فهمي..مخرج فيلم ومازال التحقيق مستمرا .

منهما نصيبه .. لتبدأ الكارثة !

فالنقود تغرى بالاستثمار .. وكل المشاريع تبدو جذابة ومربحة ! .

ويقدم الفيلم بانوراما هائلة لكل الطموحات الملهوفة على الثراء .. وعالم أصحاب المشاريع وأساليب الربح السريع .. من بيوت تدار للقمار .. الى التهريب .. الى أصحاب البوتيكات .. الى مشاريع استيراد السيارات .. الى المكاتب الوهمية والصفقات التى تتم على أنفاس المخدرات .

عالم حافل برائحة النقود .. والعفن أيضا !

بينما الام تحولت الى لاجئة مشردة بين بيتى ابنتيها .. ترى العجب وتتألم .. وتعتصر حزنا على ما جرى .. فكل شىء ينهار ويتهدم حولها .. والجميع غارق فى المستنقع لا يسمع إلا صوته فقط !

إنها مرثية بالغة المرارة .. لما تفعله النقود بالبشر ..

ولعل أكثر الخيوط ايلاما وقوة فى هذا الفيلم .. هذا الخيط الذى يمثله (عادل امام) كموظف جمرك ميناء الاسكندرية . حيث اشتهر بين زملائه والعملاء .. بانه الموظف الامين المتشدد فى حق الحكومة والذى لا يترك قشة تمر من باب الجمرك دون حساب .. وتتم المحاولات من جانب احد المهربين الكبار (جلال الشرقاوى) لرشوته .. احيانا فى شكل وظيفة استشارية .. واحيانا فى شكل مشروع استثمارى .. ولكن هذا الموظف بذكائه وحرصه يرفض كل هذه المحاولات .. والمهرب الكبير لا ييأس .. حتى يورطه فى علاقة نسائية ويهدده بالفضيحة .. وينهار موظف الجمرك .. ويدخل اللعبة .. ويلعب بقسوة وشراسة .. حتى يسقط ضحيته زميله الشاب فى الجمرك .. ويتهم بتهمة هو يدرى تماما انه برىء منها .. ولكنه لا يستطيع ان يدافع عنه .. او يقدم دليل براءته .. وينتحر زميله الشاب فى السجن لاحساسه بالظلم .. وهنا يشعر بفداحة جريمته .. ويبدأ فى الانتقام من الذين ورطوه فى هذه اللعبة القذرة .. ولكن بعد فوات الاوان .. وفى قفص الاتهام داخل المحكمة يطلق صرخته الممزوجة بالسخرية .. وكأنه ينعى نفسه !

وبلغ عادل امام فى هذا الدور قمته الفنية .

والفيلم يزيد طوله الزمنى عن الساعتين والنصف .. وكأنما اراد المخرج ان يقول كل شىء عن الجنون المادى .. ولهذا وقع فى مصيدة التشعب والتفاصيل الكثيرة .. ولكن ما يبقى من هذا الفيلم جرأته البالغة .. وقيمته الفنية التى اثراها مدير التصوير الفنان عبد العزيز فهمى .

إن هذه الافلام .. وهؤلاء المخرجين الشبان . واتفاق الرؤية على تناول المشكلة الاقتصادية كسبب رئيسى فى اهتزاز القيم .. واختلال الموازين .. وحيرة الشباب .. ما هو إلا دليل على يقظة بعض صناع السينما المصرية .. وبداية استرداد هذه السينما لموقعها الاجتماعى المؤثر .. وأيضا موقف يحسب للرقابة على السينما المصرية – حتى ولو حذفت مشهدا او عبارة هنا أو هناك – ويكفى انها سمحت بهذا الموضوع الحساس لان يطرح للعرض والمناقشة .

وقد كتبت فى ابريل الماضى بمجلة «الدوحة» مقالا بعنوان (مأزق المخرجين الشبان فى السينما المصرية) .. وتعرضت فيه لاسماء بعض المخرجين الشبان وخط الصعود والهبوط بينهم .. إلا اننى هنا أتوقف مستدركا أمام أسماء ثلاثة من المخرجين الشبان .. على بدرخان بعد ان قدم فيلم «أهل القمة» – وعلى عبد الخالق بعد فيلم «الحب وحده لا يكفى» – ومحمد راضى بعد فيلم «امهات فى المنفى» .

إن هذه الافلام .. تعنى عودة هؤلاء المخرجين الى دورهم المأمول فى قيام سينما واعية تدعونا للتفكير .. وتدق ناقوس التحذير عند الضرورة .

رءوف توفيق

محمد العـــزب موسى



انقسم المفكرون والفلاسفة ورجال القانون وعلم النفس والاجتماع بين معسكرين كبيرين فيما يتعلق بتحديد القوة الغالبة والأساسية فى الحياة الانسانية هل هي الجينات أم البيئة ..؟ أو بمعنى آخر هل هي عوامل الوراثة والميول الفطرية الكامنة فى الانسان أم هي الظروف الخارجية التى تحيط بالانسان من طفولته الى هرمه ؟ .

وفى السنوات الأخيرة ، او بالتحديد خلال السبعينات ، ظهر فى معسكر القائلين بغلبة العوامل الجينية او الوراثية عالم احياء امريكى يدعى ادوارد ويلسون القى حجرا ضخما فى بحيرة هذا الخلاف سيظل يثير دوائر متواسعة من النقاش لسنوات كثيرة قادمة .

هذا الحجر يدعى «السوسيوبيولوجيا» او علم الأحياء الاجتماعى ، وهو علم مبتكر ، ينظر اليه الكثيرون لا باعتباره حدثا علميا فحسب وإنما أيضا كدعوى تثير الاهتمام من النواحى السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

هذا العلم يختص بدراسة التاثير الوراثى فى السلوك الاجتماعى للحشرات والحيوان والبشر ، ويعطى انطباعا بان الأخلاق والمؤسسات الاجتماعية ليست نتيجة للتقاليد او الصدفة التاريخية او المذاهب الأيديولوجية او تاثير الطبقات الحاكمة فحسب ، وإنما هى فى المحل الاول نتاج للميول والنشاطات الكامنة فى الطبيعة الحيوانية للانسان والتى تكونت عبر عملية التطور البيولوجى للجنس البشرى وتنتمى للتراث الوراثى للنوع الحيوانى .

وادوارد ويلسون ، صاحب هذه النظرية الجديدة ، يعمل استاذا للعلوم البيولوجية بجامعة هارفارد ، وقد بدأ ويلسون كدارس فى علم الحشرات ووضع كتابا بعنوان «المجتمعات الحشرية» عام ١٩٧١ تكهن فى خاتمته بان نفس مبادىء البيولوجيا وعلم الأحياء المقارن التى اظهرت كفاءتها فى تفسير «النظم الاجتماعية الجامدة» للحشرات يمكن تطبيقها بحذافيرها على الحيوانات الفقارية . ولم يلبث ان طور هذه الفكرة فى كتابه الثانى «علم الأحياء الاجتماعى» ثم فى كتابه الأخير «حول الطبيعة البشرية» .

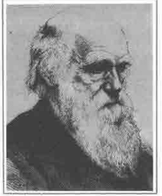
ويعرف ويلسون «العلم الجديد» بانه «الدراسة المنهجية للاسس البيولوجى لكل انواع السلوك الاجتماعى» وهو وإن كان لايزال فى الوقت الحالى يركز على المجتمعات الحيوانية إلا انه يوحى بشدة ويكاد يزعم صراحة بان نفس هذه المبادىء تنطبق ايضا على السلوك الاجتماعى للانسان البدائى سواء فيما قبل التاريخ او فى المجتمعات البشرية البسيطة المعاصرة .

وبهذا جدد ويلسون الصدمة الداروينية وزادها تعميقا . فها نحن يجرى تذكيرنا مرة اخرى بالاستمرارية الطبيعية بين الانسان والحيوان . ولكنه هنا لا يذكرنا فحسب بالحيوان فى الانسان ، وإنما بالانسان فى الحيوان ، او بمعنى اخر يذكرنا بان الحيوانات تتمتع بخصائص ومزايا كنا نعتقد تقليديا انها مقتصرة على الانسان فحسب اى بقدرة الحيوانات على تكوين مؤسسات ونظم وتقاليد اجتماعية . فالغزلان والذئاب والقرود وانواع اخرى لا حصر لها من الحيوان تعيش داخل نظم اجتماعية تشبه فى بعض سماتها بل وفى كثير منها النظم الاجتماعية للانسان مثل علاقات القربى ووسائل الاتصال وتقسيم العمل ونظام الطبقات ، ووسائل الحب والمنافسة والخصومة وكيفية معاملة أعضاء الجماعة والخارجين عنها والتعاون فى الانتاج .. الخ .

وأكثر من ذلك فالحيوانات تغير من طرق سلوكها استجابة للتغيرات فى الوسط الاجتماعى مثلما يفعل الانسان ، فالسلوك الاجتماعى للحيوان يتغير بفعل الظروف الخارجية كمدى الكثافة السكانية للجماعة الحيوانية ومدى وفرة او ندرة الطعام المتاح ، بل انه لا يتاثر بمثل هذه الظروف الخارجية فحسب وإنما هناك ايضا دور للفرد المتميز فى المجتمع الحيوانى وقدرة هذا الفرد على ادخال المخترعات والتكنولوجيا فى المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويقدم ويلسون فى هذا الصدد حالة قردة «عبقرية» تدعى إيمو كانت عضوا فى قبيلة من القرود فى جزيرة كوشيما اليابانية ، هذه القردة استطاعت وعمرها ١٨ شهرا أن تخترع طريقة غسل البطاطس فى البحر ، وعندما بلغ عمرها ٤ سنوات اخترعت طريقة فصل الحبوب عن الرمال بواسطة الطفو ، إذ كانت تحمل اكوام الحبوب المختلطة بالتراب الى الماء فتهبط الرمال وتطفو الحبوب وعندئذ يلتهمها القرود وقد طبقت جماعتها الاختراعين بعد موت القردة ايمو فى حين أن مجتمعات القرود الاخرى لا تعرف شيئا عن ذلك .

وبين ويلسون فى كتابه «سوسيوبيولوجى» وفى ضوء مئات الملاحظات والتجارب والأمثلة ان سلوك المجتمعات الحشرية والحيوانية يتغير عبر الأجيال المتعاقبة طبقا لمقتضيات البيئة والظروف الخارجية ، فمثلا تصبح فترات الخصوبة الجنسية اطول او اقصر ، كما تتغير النسبة بين الكبار والصغار ، وتتغير طرق توزيع الطعام والعمل والتزاوج . وتتبدل العلاقة بين الجماعة الحيوانية والبيئة التى تعيش فيها الأجناس الحيوانية الأخرى ، وأحيانا تكون هذه التغيرات عميقة جدا بحيث تنقلب مثلا علاقات العداء الشديد الى تعايش او العكس ، ويختلف السلوك الاجتماعى للاجناس الحيوانية إزاء

علم جديد.. أم نظرية متخلفة؟



داروين



البير كامي

الظروف الخارجية طبقا لتجاربها الخاصة ، بمعنى أن نفس الظرف الخارجي لا يؤدى الى نفس رد الفعل من جانب الأجناس الحيوانية المختلفة ، فمثلا تحت تاثير الكثافة السكانية تتقاتل الخراتيت ولكن هناك انواعا من الطيور إذا تعرضت لهذا العامل اى الكثافة السكانية فانها تتعاون ، إذ تعيش الاناث سويا فى أعشاش مشتركة وتتعاون فى تربية صغارها معا . ويرى ويلسون ان علم الأحياء الاجتماعي يجب ان يتناول بالدراسة عمليات التطور التى تؤثر فى هذه التغييرات والتعديلات عبر الوراثة ، ويأمل ان يؤدى البحث اذا تقدم بما فيه الكفاية الى إلقاء أضواء جديدة لا على تطور الكائنات غير الانسانية فحسب وإنما على تطور الجنس الانساني ايضا ، ويقول ان الهدف الرئيسي للنظرية العامة للسوسيوبيولوجي هو التنبؤ بسمات المنظمات الاجتماعية فى المستقبل عن طريق معرفة السلوك الوراثى للمجتمعات الحية وأن هذه المشكلة سوف تشغل بال علم البيولوجيا خلال العشرين أو الثلاثين عاما القادمة .



حملات الهجوم

هذه هى الفكرة الرئيسية لعلم الأحياء الإجتماعي الذى ينادى به ويلسون ، والفكرة فى حد ذاتها ليست بالجديدة ، إذ يمكن أن نجدها فى مؤلفات الفلاسفة الاغريق ، كما أنها تتفق فى خطوطها العريضة مع مشاهدات الحياة اليومية فان تاثير الوراثة فى الاجتماع أوضح من ان ينكر فالانسان يولد ضعيفا ويظل لفترة طويلة عاجزا بذاته ومعتمدا على العالم الخارجي من ناحية وعلى الدوافع الغريزية الوراثية من ناحية أخرى ، وبفعل هذه الدوافع تنبت للناس لحى او تنمو أثداء دون أن يكونوا قد فكروا فى ذلك أو اتخذوا به قرارا ، وهم فى حياتهم العامة يتمتعون بفترة من القوة والنشاط ثم يتقدمون فى السن ويصابون بالضعف ويموتون ، وكل المجتمعات سواء كانت حيوانية او انسانية تخضع لمثل هذه القوانين الطبيعية الصارمة ويتبعونها صاغرين.

فى ضوء مثل هذه الاعتبارات العادية المعترف بها كان من المتصور ان يلقى مقدم علم الأحياء الاجتماعى ترحيبا ، فمن المفروض ان مثل هذا العلم يوسع معرفتنا بالطريقة التى تعمل بها الحقائق البيولوجية وكيف تؤثر فى المؤسسات الاجتماعية ، ولكن على العكس لقي مقدم هذا «العلم» اختصاما شديدا وأثار اضطرابا ورفضا ربما اكثر من اى علم آخر فى العصر الحديث ، فقد ولد فى حضارة مشبعة بفكرة النسبية التاريخية حضارة تشعر بعمق الاختلافات العنصرية وتؤمن بليونة السلوك الانسانى وتأمل عن طريق التاثير الملائم فى البيئة الانسانية ان تتمكن من التقليل من الأدواء الاجتماعية كالعنف والجريمة والفقر والظلم وسوء العدالة والقسوة. ولكن ها هو هذا العلم ياتى ليقول ان المؤسسات والعواطف والنوازع الانسانية كافية فيما هو أعمق من البيئة الخارجية ، وبالتالى لا يمكن تغييرها بتغيير ظاهرى وخارجي فى البيئة وإنما بالتأثير فى عوامل الوراثة نفسها .

ولذا فقد هوجمت نظرية ويلسون بشدة ورفض الكثيرون الاعتراف بها كعلم جديد وقالوا انها احياء لأبشع النزعات الفردية ، ووصفة لهندسة المجتمع تكنوقراطيا ، ودفاع عن عدم المساواة ، وتعصب للذكورة ، واعادة صياغة للنظرية العنصرية فى قالب جديد .

ولكن ليت ويلسون قد اقتصر على هذا الجانب العلمي البحت دون ان يربط نظريته بالنواحي الايديولوجية ربطا غير خال من الاعتساف احيانا ، وهذه فى الواقع هى الثغرة التى نفذ منها المهاجمون ، فقد بدأ كتابه «سوسيوبيولوجي» بفصل أسماه بطريقة استفزازية «اخلاق الجينات» ضمنه تكهنات حول المنبع الجيني للقضايا الأخلاقية الكبرى ـ كتلك التى اثارها مثلا البيركامى فى كتاباته ! ـ مثل الانتحار والايثار وطبيعة الخير والشر ، فهو يقول مثلا ان الجينات كما تحمل خصائص تدعو للصراع على البقاء فانها تحمل ايضا خصائص تدفع على ايثار الغير وتحمل صاحبها على التضحية بنفسه فى سبيل الغير او الجماعة التى ينتمى اليها ، وهكذا فان موت الذكر فى بعض الحشرات بعد ان يلقح الأنثى او البيض يعزوه ويلسون الى جينات تحمل خصائص التضحية فى سبيل الجماعة تماما كسلوك الشهيد او البطل الذى يموت فى ساحة القتال ، فالمقارنة هنا ليست صحيحة إذ لا يمكن ان نقارن موقف الحشرة التى تقدم على هذا السلوك طائعة وغير عالمة بمصيرها بموقف الانسان الواعى بطبيعة الموت فالمقارنة هنا غير علمية وهى اقرب ما تكون الى سوء استخدام الكلمات .

وكذلك فانه ينهى كتابه بفصل يتكهن فيه عن «المنابع الجينية للدين والاخلاق والفنون» تحدث فيه عن مستقبل الانسان ، حالما بمجتمع سعيد فى المستقبل يقوم بفضل تقدم علم النيوروبيولوجي أو علم البيولوجيا العصابية ، وذلك عندما نفهم اسرار خلايا المخ فهما جيدا ونستطيع التاثير فيها بما يؤدى الى نتائج اخلاقية ! وفى هذا الفصل يتحدث ايضا عن حتمية «المجتمع المخطط » فى القرن الحادي والعشرين ، وينتقد ما تم فى الماضي من تطورات اجتماعية ذاتية غير واعية يرى انها السبب فى التناقض الحالي بين حوافز الانسان الطبيعية والأوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها .

تقييم هادىء

لقد ظهرت فى العصر الحديث نظريات ومذاهب فلسفية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال السلوكية واليوجينية (علم تحسين النسل) والبرجماتية والماركسية والوجودية والوضعية المنطقية والبنيوية والمراجعة ،



لامارك

والانصار الاكاديميون لكل مذهب يتصورون ان مذهبهم جاء ليقضي على الأوهام ولينظف العالم تماماً من الخرافة والغباء ويفتح الطريق امام الفهم الكامل للانسان والمجتمع والكون .

ولاشك ان كثيراً من هذه الأفكار والنظريات والمذاهب قد احدث ولا يزال يحدث تاثيرا ثوريا كبيراً في المجتمع ، ولكن السؤال يظل قائما : الى اى مدى يعد هذا المذهب او ذاك اضافة حقيقية وشيئا جديداً وليس مجرد فورة فكرية .

وبالنسبة لعلم الاحياء الاجتماعي او السوسيوبيولوجي الذى يقترحه ويلسون نرى انه يمثل أحد حدين يحاول بهما العلم الحديث ان يفحص النظرية الداروينية على مستوى جديد من الشمول والدقة ، انه الحد التلسكوبي في مواجهة الحد الميكرسكوبي الذى يمثله علم البيولوجيا الجزيئية وعلم الفسيولوجيا العصابية ، وهو باعتباره حداً تلسكوبيا يحاول ان يتنبا بالمستقبل من حيث ان الحد الميكرسكوبي يقتصر على الغوص فى الماضي .

من المفروض إذن أن يكون علم السوسيوبيولوجيا علما تنبؤيا ، فهذا هو هدفه الرئيسي ومبرر وجوده كعلم مستقل ، اى ان نستطيع أن نتنبا بواسطته بالمؤسسات والنظم الاجتماعية المقبلة وان نؤثر فيها عن طريق هندسة الجينات وعلم الوراثة فهل يمكن ان يقوم علم الأحياء الاجتماعي فعلا بهذا الدور ؟

ينبغي أولا أن نلاحظ ان كلمة «التنبؤ» هذه غامضة وغير دقيقة ، إذ أن التغيرات التى تحدث في الأخلاق والمنظمات الاجتماعية لا تحدث في الواقع في مجرى مغلق ومنعزل من التطورات وإنما هي تغيرات في نظم مفتوحة على اتساعها للتاثيرات الخارجية الكثيرة التى لا يمكن توقعها او التنبؤ بها .

وفى حالة المجتمع الانساني والسلوك الاجتماعي البشري تكون الصعوبات فى وجه «التنبؤ» اكبر بالتاكيد ، وحتى إذا افترضنا امكان التنبؤ بمستقبل المشاعر الانسانية كالحب والكراهية والعداء والحسد .. الخ فانه لن يمكن التنبؤ بالأفكار الجديدة التى تغير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن الطبيعي ان ويلسون لم يكن غافلا عن مثل هذه الاعتبارات وليس من العدل ان نفترض انه يقصد بعلم الاحياء الاجتماعي ان يكون شكلا اخر من اشكال التنجيم ، إن كل ما يهدف اليه فى الواقع هو التوصل الى نظرية عامة تساعد على اكتشاف الاحتمالات الخيارية الكبرى فى التطور الانساني وتحديد مداها واتجاهها بشكل عام .

وعلم الأحياء الاجتماعي كما وضعه ويلسون يتكون فى الواقع من شيئين ١ ــ نظرية اساسية هي عبارة عن برنامج عملي لتركيبة جديدة لأفكار التطور . ٢ ــ نظريات فرعية تحاول التوحيد بين البيولوجيا والعلوم الاجتماعية والانسانيات . وهو يعتقد ان الحياة والذهن لهما اساس مادى طبيعي ، وان العالم كما نعرفه قد تطور عن عوالم اسبق تخضع لنفس القوانين . ولذا سيكون شيئا مثيرا للدهشة لو ان قوانين الاقتصاد مثلا انتهكت قوانين الطبيعة ، او لو ان قوانين الاجتماع تعارضت مع قوانين الوراثة ، او لو ان قوانين السياسة نقضت قوانين الجغرافيا . وإذا قبلنا ان الانسان جزء من الطبيعة وانه لا يمكن ان نستخدم فى دراسته منطقا يخالف المنطق العام الذى يحكم علوم الطبيعة والبيولوجيا بهذا المعنى يمكن ان نقول بان العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والانسانيات موحدة .

افكار تقليديــة

ولكن ويلسون لا يقف عند هذا الحد بل نجده فى كتابه الأخير « حول الطبيعة البشرية » يدعو الى فحص اعمق واشجع للطبيعة البشرية ترتبط فيها نتائج البيولوجيا والعلوم الاجتماعية ويشرح ما يعنيه فورا بقوله ان الذهن سوف يفهم على نحو افضل إذا نظرنا اليه كظاهرة ثانوية مصاحبة للآلة العصابية التى يتكون منها المخ .

ويضيف ويلسون « ان مراكز التحكم فى العواطف البشرية توجد فى تلافيف معينة من المخ وخلالها يتدفق شعورنا بمختلف العواطف ومع أن هذه العواطف هي الميدان المفضل للفلاسفة الاخلاقيين الذين يحاولون ان يحدسوا معنى الخير والشر والفضائل والرذائل إلا اننا يجب أن نتساءل : ماالذى صنع هذه الخلايا المخية المعينة ؟ . الجواب انها تطورت نتيجة لمبدا الانتخاب الطبيعي .. هذه العبارة البيولوجية البسيطة هي التى يجب أن نتتبعها كي نفسر الأخلاق فى العمق » .

من الواضح بما فيه الكفاية ان ادوارد ويلسون من عتاة الماديين فى نظرته الفلسفية ، وان نظريته فى السوسيوبيولوجيا محاولة لاعطاء دفعة جديدة للفلسفة المادية التى تلقت ضربات قوية فى الآونة الأخيرة ، ولكن هناك منطقا بسيطا للرد عليه يبين كيف انه لا يمكن الربط بين العلوم الاجتماعية والانسانيات على النحو الذى يقول به ويلسون ، فالخلايا المعينة الموجودة فى المخ والتى تتحكم فى العواطف لا تحوي تعبيرات مثل الحب والكراهية والخير والشر ولكن لها منطقها المادى الخاص الذى يتعلق بالشحنات الكهربائية التى تصدر عنها . اما التعبيرات الأخلاقية فيمكن دراستها على نحو مستقل عن دراسة المخ من الناحية التشريحية والبيولوجية والكيماوية ، تماما كما ندرس الخطط والمشروعات والأفكار دراسة مستقلة عن العلوم الطبيعية رغم انها أيضا من نتاج المخ البشري ، فان لدينا وسائل عادية لدراسة ومعالجة مختلف الظواهر فى الحياة البشرية كالزواج والكتب والمدارس والفن وتذوق الموسيقى ، وبهذه الوسائل يمكننا الحكم عما إذا كانت هذه الأشياء حقيقية ام زائفة ، معقولة ام حمقاء ، عظيمة ام منحلة وذلك دون حاجة للرجوع الى خلايا المخ وتلافيفه وعصاراته وكهربيته . وإذا كانت « المادية العلمية » التى يرفع لواءها ويلسون وزملاؤه تعنى ان تقدم العلم يجب أن يجعل من انماط التفكير والقول والفعل التى ابتدعتها البشرية وحسنتها عبر تاريخها الطويل مجرد خرافة واخطاء واوهام فهي إذن تتخلى عن اشكال لا بديل لها قامت عليها الحكمة والمعرفة البشرية دون ان تستطيع ان تملأ فراغها بحال . يضاف الى ذلك أن الفلسفة الأخلاقية بالذات لا يمكن حصرها فى نطاق دراسة الجينات لأن حضارتنا اكثر تقدماً وتعقيداً من ان تسمح بذلك ، مما يجعل تفكير ويلسون فى استخدام البيولوجيا كقاعدة وحيدة أو رئيسية للأخلاق تفكيرا متخلفاً يعود الى القرن التاسع عشر .

باختصار يمكن القول بان اراء ويلسون هي عادة افكار تقليدية فى ثياب بيولوجية عصرية ، ولكن ذلك لا يقلل من المساهمة الكبرى لويلسون فى مجال علم الأحياء بالذات ، فهنا قدم ويلسون اجل خدماته للعلم عن طريق جمع وفحص وتحليل كميات هائلة من المعلومات المتعلقة بعالم الحيوان والحشرات ووصل فيها الى نتائج يصعب تخطيئها ، اما محاولة دفع هذا العلم ليشمل الانسان كذلك فهنا القصور ومحور الخلاف .

محمد العزب موسى



نظرية التراكم الملحمى او تراكم الطبقات هى نظرية استخلصها علماء الميثولوجيا من دراستهم للملاحم الهومورية ، وطبقها المستشرقون أولا على «الف ليلة» ، ثم طبقها غيرهم من الدارسين على سيرنا الشعبية ، وملخص هذه النظرية أن السيرة تبدأ بنواة قد تكون على الأرجح ذات اصل تاريخى ، وكلما تعاقبت العصور أضاف اليها المؤلفون أو المترجمون او المقتبسون أو الرواة بما يوافق حضاراتهم ، بل ربما حذفوا منها واضافوا اليها ما يتفق وذوقهم وما يعتقدون انه يتفق وذوق جمهورهم . ولهذا تتجاور الملامح الأسطورية والملحمية والتراجيدية فى السيرة الواحدة مما لا يجعلها اسطورة ولا ملحمة ولا تراجيديا وان كانت كل ذلك جميعا .

ولعل الدكتور لويس عوض فى كتابه «اسطورة اوريست والملاحم العربية» هو ابرز من طبق هذا المنهج على سيرة «الزير سالم ابو ليلى المهلهل» ، فهو يرى أن هذه السيرة ـ على النحو الذى وصلتنا به ـ قد خضعت لتحولات فولكلورية . فقصة «هجرس» الذى ربته امه لينتقم فى النهاية من «جساس» الذى قتل اباه «كليب» والتى تستغرق ثلاثة ارباع قصة «الزير سالم» ذات وشائج قوية واسطورة «أوريست» حين عاد الى «ارجوس» ليلتقى باخته «اليكترا» عند قبر ابيهما ، وهناك يتعرف كل منهما على الآخر ويدبران انتقامهما الرهيب من امهما «كليتمنسترا» وزوجها «ايجيست» لأنهما تامرا على ابيهما «اجا ممنون» وذبحاه فى الحمام ليعتلى «ايجيست» عرش «أجا ممنون» المغتصب ، وهو موقف نراه يتكرر فى «هاملت» حين أراد أن ينتقم من عمه «كلوديس» الذى قتل اباه بتحريض من امه «جروتورد» ليتزوجها ويعتلى عرشه .

ويرى الدكتور لويس عوض أن

حلمي التوني

ونظرية التراكم الملحمي

بقلم: يوسف الشاروني

الينبوع الأصلى الذى انبثقت منه كل هذه الأشكال المختلفة لهذه الأسطورة الأساسية فى كل العصور والبلاد هى أسطورة «ايزيس واوزوريس» وابنهما «حورس» المنتقم لأبيه من عمه «ست» اله الصحراء او الشر والذى احتال على ابيه «اوزوريس» إله الخير او الخصب فقتله حسدا منه وحقدا عليه. كما ان الطريقة التى بها ارغم التبع حسان ملك اليمن او عرب الجنوب الاميرين ربيعة ومرة سيدى الشام او عرب الشمال على ان يزوجاه من الجليلة بنت مرة - والتى كانت مخطوبة لكليب - اشبه ما تكون **بخطف « باريس » امير طروادة لهيلانة من زوجها فى الياذة هوميروس. كما أن الطريقة التى افسد بها كليب - زوج جليلة فيما بعد - دخول حسان اليماني بجليلة أشبه** ما تكون بحيلة حصان طروادة. فقد استقر الرأى ان يتظاهر كليب بالموافقة على طلب التبع حسان ويقود بنفسه قافلة جليلة بعد ان يختفى فى زى مهرج الأميرة حتى ينفذ الى قصر الملك حسان وينال منه غرضه. وكانت القافلة التى حملت جهاز جليلة بنت مرة الى مختطفها تتكون من مائة من الفرسان موضوعة فى صناديق على ظهور الجمال وكل صندوق يتكون من طابقين. طابق علوى يحتوى على كنوز جليلة وطابق اختفى فيه فارس كامل السلاح، وتقلد كليب بالسيف من تحت ثيابه، ولبس فروا من جلد الثعالب والذئاب وارخى له سوالف طوالا من اذناب الكبش والبغال، وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود زمام الجليلة أمام فرسان القبيلة. فلما راه الوزير نبهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فان زيه عجيب وحاله غريب، فقالوا: هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر ابن غرة (١). وقد حذر رمال الملك او عرافه من هذه القافلة المشئومة فارسل من يكشف امرها إلا انهم لم يجدوا غير جهاز الجليلة فجازت عليهم الحيلة، فارسل الملك عرافة كانت هى استاذة العراف الأول فاستطاعت ان تكشف الحقيقة لكنهم استطاعوا اسكاتها برشوتها بثلاث بدلات حرير، فضرب الملك عنق العراف بينما دخلت العرافة على الملك حسان تصور بهاء هذه الأميرة القادمة عليه وكانها - على حد قول الدكتور لويس عوض - بهاء هيلانة او باندورا حواء اليونان التى قالوا إن الالهة خلقتها فى احسن تكوين وزينتها باجمل زينة واوفدتها الى الانسان هدية من كل الالهة وغواية، ليكون بها سقوطه وشقاؤه. وهكذا فتحت ابواب القصر ودخلت جليلة وقافلتها فاجلسها الملك على العرش ودار الشراب حتى غاب الملك حسان عن الوعى. وغنت المغنيات ورقصت الراقصات وطلبت جليلة من الملك ان يلعب امامها مهرجها قشمر بن غرة، فاقبل يمزح امامها ويلعب بسيفه الخشب وهو فى زيه المضحك «فكان تارة يبحلق عينيه ويرفص الأرض بيديه ورجليه. وتارة يقول اين الفرسان الفحول. واين ابو عطبول، واحيانا يرقص ويضحك بلا سبب، وهو راكب الفرس القصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب.. فاندهش تبع من اعماله، واستغرب من احواله واقواله» (٢)... ثم قال قشمر - وهو كليب - للتبع حسان ان كنت تريد ان تطرب الآن فاجعل الجليلة تغنيك بابيات من الشعر لأن صوتها مليح ولفظها فصيح، فلما طلب منها حسان الغناء طلبت ان يامر قشمر بقفل الباب لئلا يسمعها احد من الخدم والحجاب، فاستصوب الملك كلامها وبذلك عزلاه - الجليلة وكليب - عن حرسه. فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر طرب، فاخذ كليب يرقص أمامه، ولكن الملك قال له: عيب عليك ان ترقص امامى بهذا السيف الخشب. فامره الملك ان يدخل الى قاعة السلاح ليأخذ السيف ويرجع بالعجل، فدخل ولبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه بعد ان فتح صناديق الاحمال واخرج الفرسان والابطال، فبقوا فى ساحة الدار وقاموا له بالانتظار. وكان قد سل الحسام من غمده وهو يهزه فى يديه، ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه، وتذكر اباه، فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الأبطال فى ساحة القتال، وبعده تقدم وهجم عليه. فعرفه حينئذ الملك حسان وايقن بالهلاك وطلب منه ان يعفو عنه فقال له كليب لابد من قتلك كما قتلت ابى (٣) ... ثم ضربه بالسيف، فوقع على الأرض قتيلا وفى دمه جديلا. ثم خرج من المخدع واعلم الفرسان بقتل الملك حسان وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد، ثم وضع راس الملك على راس السنان وخرج الأبطال والفرسان وطافوا فى شوارع البلدة وضربوا من وجدوه بالسيف.

● الينبوع الذي انبثقت منه الأشكال المختلفة لهذه الأسطورة الأساسية في كل العصور والبلاد هو أسطورة "إيزيس وأوزوريس"

سيرتنا الشعبية.. ونظرية التراكم الملحمي

● ليس هناك ما يمنع أن يكون النص الأصلي لقصة "الزير سالم" سابقاً في إنشائه على العصر الإسلامي.. أي في الجاهلية البعيدة

تشابه الظروف والأفكار

وتشابه الأساطير والملاحم والقصص الشعبية ليس بالضرورة معناه أن احدها منقول عن الآخر ، ذلك لأن تشابه الظروف يؤدى الى تشابه الأفكار . ولكن اصحاب منهج التراكم الملحمى يؤيدون رأيهم بأكثر من وسيلة منها تشابه اسماء الأبطال وما حدث من تحوير فيها ، والتيمات أى الموضوعات والباترونيميات أى الأنساب والموتيفات أى الأفكار الرئيسية ، ثم أدوات الشاعر من لغة وعروض ، ثم صور البيئة والحياة والتاريخ .

وتطبيقا لهذا المنهج يرى الدكتور لويس عوض انه ليس هناك ما يمنع أن يكون النص الأصلى لقصة الزير سالم سابقا فى انشائه على العصر الاسلامى ، أى فى الجاهلية البعيدة . بل انه يمضى الى أبعد من هذا الاحتمال قائلا انه قد يكون انشىء فى لغة غير اللغة العربية ثم نقل الى هذه اللغة . وتقف نهاية القصة عند مصرع الزير سالم . ثم تورد ذريته من أخيه كليب حتى الجيل الخامس بعده الذى تشرف بمقابلة «النبى المختار» ، ومع ذلك فاننا نقرأ فى صلبها عن حروب مع الصليبيين ، ولا تفسير لهذا إلا أن المؤلفين الذين اضافوا أحداث عصرهم الى الأحداث الغابرة نسوا أو لم يعبأوا بأن يجعلوا ما



اضافوه فى وسط القصة غير متناقض مع نهايتها . كما أن فى ملحمة الزير سالم عبارات توحى بأن الاتصال بين عرب الشمال وعرب الجنوب تم عن طريق البحر . والمعروف أنه كان لا يمكن الاتصال بحرا بين اليمن والشام إلا عن طريق راس الرجاء الصالح قبل حفر قناة السويس . فالملك حسان اليمانى يأمر وزيره نبهان باعداد الف مركب للحملة على الشام :

ايا نبهان اجمع لى العساكر
فياتوا فوق الخيل كالنسورا
وجهز الف مركب يا وزيرى
وأوسقهن فى وسط البحورا (٣)

بل انه عرج فى طريقه الى الشام على بلاد الحبش والسودان (٤) ، ولا يمكن الوصول اليهما من الجزيرة العربية إلا عن طريق البحر . كما أن حملة كليب وفرسانه المختفين داخل الصناديق على ظهور الجمال كانت عن طريق البحر «فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادى على العبيد فحضروا مائة عبد فقال لهم : روحوا العمارة وكل صندوق تلاقوا فيه رجال كسروه ، فانطلق العبيد الى العمارة وهم أسعد وسعيد وبقية المائة عبد» (٥) . ومعروف أن العمارة معناها القطع البحرية . ويخلص الدكتور لويس عوض الى أن هذه القرائن توحى باحتمال وجود نص أصلى قديم يتم فيه الحصار بحرا أشبه بحصار طروادة فى الياذة هوميروس ، ولكن اعادة نسج النص واعادة صياغته بحيث تكون المدينة المحاصرة هى دمشق ، قد ادى الى ظهور هذا النص المختلط الذى تجاوزت فيه اصطلاحات الحوار الكبرى مع اصطلاحات الحوار البحرى دون أن يلقى الشاعر بالا الى ضرورة تنقية نصه تماما من رواسب النص الأصلى (٦) .

فيبدو اذن أن حلقة حسان اليمانى فى ملحمة الزير سالم تمثل ادماجا لأسطورتين نابعتين من أسطورة اختطاف هيلانة وحرب طروادة : احداهما انتقام الزوج وآله من خاطف الزوجة (انتقام اجا ممنون من باريس) والأخرى هى انتقام الابن من قاتل أبيه ومغتصب فراشه (انتقام أوريست — هاملت من ايجيست — كلوديوس) (٧) .

وقد ردد الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف الرأى نفسه فى دراسته عن «ابو زيد الهلالى» التى نشرها قبل عشر سنوات من نشر الدكتور لويس عوض لدراسته عن «الزير سالم» . إذ اعلن أن فى أبطال السيرة الهلالية «مشابه كثيرة من صور الأبطال عند اليونان ، وكثير من تاريخ هؤلاء وسيرهم يشبه تاريخ أولئك . فالبطل عند اليونان كان نصف إله فى وسعه أن يفعل الخير والشر كما يشاء ... وهذا يشبه الى حد كبير ما تذكره القصة عن الزناتى من أنه كان ابن جنية فكان اذا طعن بالسيف ووضع ماء الحياة على الجرح التام وعاد فى اليوم التالى صحيح البدن سليم الجسم .. حتى فى الناحية التاريخية الاسطورية لوجود الأبطال ووضعهم القصصى يلاحظ المتامل مقارنة عجيبة (٨) . ثم يستطرد قائلا أن «نظرة فى المقارنة بين مواقع القصة الهلالية وما يروى من المواقع عن حروب طروادة لتدل الباحث على مشابهة كبيرة ومظاهر متفقة ، وإن قصة حصار الهلاليين للقيروان ... لتشبه قصة حصار اجا ممنون لمدينة طروادة ، فكل منهما دام مدة طويلة من الزمان وجرت فيه حروب ووقائع رهيبة مفزعة ، ثم انتهى كل منهما بالحيلة وتم الكسب فيها بالدس والوقيعة . فهذه كلها مشابهات — وغيرها كثير — يلاحظها الباحث إذا ما قارن بين الأبطال هنا وهناك ، بل انه

فى هذا الصدد ليقف على مشابهات اخرى بين سير الأبطال فى القصة الهلالية وبين مثيلاتها فى أساطير الفرس وخرافاتهم التى تحكيهـا الشاهنامة ، وكذلك يستطيع ان يجد مثل هذا ولو الى حد ما فيما يروى فى القصص المصرى القديم» (٩) .

العرب .. واليونان

ويجزم الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف بان العرب قد عرفوا اليونان وتأثروا بفلسفتهم وادبهم كما ان اليونان قد سبق ان عرفوا المصريين . اما عن الفرس فقد نقل كثير من اساطيرهم عن طريق العراق الى اللغة العربية . وقد انتشر كثير من القصاصين فى مصر وغير مصر بعد سقوط بغداد . ومع ذلك فلسنا نستطيع ان نجزم جزما علمياً بان القصاص الذين رووا قصص الهلاليين قد استلهموا القصص اليونانى أو الفارسى .. لأن المشابهات لا تبدو إلا فى أمور عامة ووقائع شائعة تفطن اليها الامم وتهتدى اليها بغرائزها وميولها (١٠) . ثم يعود فيعقد مقارنة بين البطولة فى الملاحم اليونانية والبطولة فى السير الشعبية ، فيرى أن البطولة الأولى ينظر اليها نظرة تقديس ، اما البطولة الثانية فينظر اليها نظرة اعجاب ، لان البطل فى القصة الهلالية انسان معقول يجوز عليه ما يجوز على كل انسان ، وكل أعماله مما يدخل فى الطاقة البشرية على وضع من المبالغة والتهويل ، لأن قصاص الهلالية كانوا فى زمن اتجهوا فيه بالعبادة الى الله سبحانه وتعالى كما يقرره الدين ويفرضه الاسلام (١١) .

وقد استفاد بهذا المنهج أيضا الدكتور عبد الحميد يونس الذى تبين له من دراسته لسيرة بنى هلال أنها مرت بطورين ، اولهما الطور الغنائى الخالص وكان قبل القرن السادس الهجرى ، ودليله على ذلك الشواهد التى أوردها ابن خلدون فى ختام مقدمته والتى تعتبر أول خيط جدى يتصل بسيرة بنى هلال من الناحيتين الأدبية والفنية . فهذه الشواهد تنطق بان السيرة كانت فى أول امرها عبارة عن قصائد غنائية توزعتها اجيال مختلفة وبيئات شتى بعيداً عن اللسان الفصيح . وثانيهما الطور القصصى ، وقد بدت أماراته أيام ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى ، تؤيد ذلك الشواهد التى اوردها فى مقدمته عن ماضى بن مقرب وخليفة الزناتى وهما من ابطال السيرة الهلالية . ولم يحدث التحول طفرة وإنما حدث فى اناة وبطء ، ولا يمكن ان يقال ان فرداً معيناً او افراداً معينين قاموا بالعبث فيه .

كما أعلن الدكتور عبد الحميد يونس فى دراسته لسيرة الظاهر بيبرس أن هناك أربع طبقات فى هذه السيرة هى : الطبقة التاريخية والطبقة المصرية والطبقة الخاصة بالفداوية ثم الطبقة الخرافية التى تنحو نحو الف ليلة وليلة . فمثلا فيما يتعلق بالطبقـة الفداوية يقول : ونحن نستخلص من الدليل الأسلوبى أن هذا الجزء الخاص بالفداوية كان – فيما ترجح – مجموعة من الأخبار قد اندمج فى السيرة وخضع لما تخضع له السيرة من سنن الجهر والاشارة ، واضيف اليها ما رسب فى خيال العامة عن فعال هؤلاء القوم (١٢) .

التراكم الملحمى وسيرة عنترة

ويتفاوت انطباق هذا المنهج على السير الشعبية ابتداء من سيرة عنترة التى تعتبر أقدم هذه السير نشأة بدليل أن معظم السير تشير اليها وتستشهد ببطلها بينما لا يحدث العكس فى سيرة عنترة ، ومع ذلك فان بعض الدارسين – مثل فاروق خورشيد ومحمود ذهنى – يرون أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد . وان جاز القول بان المادة العلمية والتاريخية فى هذه السيرة يرجع الفضل فيها الى الأصمعى (الذى ولد عام ١٢٣ هـ وتوفى عام ٢١٠ هـ) . اما الصورة الروائية للسيرة فانها ليست للأصمعى وانما هى لشخص متأخر عنه زمنياً اطلع على تراث الأصمعى واستغله فى صياغة روايته القصصية . والدليل على أن كاتب سيرة عنترة فرد واحد يكمن أولا فى البناء القصصى الذى تتسلسل فيه الأحداث تسلسلا سليما من أول فصول السيرة حتى الفصل الأخير منها . وليس أدل على ذلك من تلك الاحالات التى يلجأ اليها الكاتب . ففى الفصل الأول مثلا يقدم لنا زبيبة – ام عنترة – ويبرر عدم انقيادها لبقية الفرسان الذين أسروها مع شداد بقوله : وقد أنكرت منهم تلك الأحوال لأنها من نسل قوم كرام ، وسوف نذكرها فى تاصل نسبتها ، ونذكر سبب غربتها وفرقتها . ولكن نذكر كل شىء فى مكانه ، بعون الله وسلطانه ، اذا ما وصلنا اليه . وبعد ذلك يستمر المؤلف فى كتابة السيرة حتى يصل الى الفصل الرابع والثلاثين بالمجلد الخامس حيث ينتقل بفارسه الى بلاد الأحباش ليقوم بسلسلة من المغامرات . وهنا يفى المؤلف بوعده فيذكر لنا نسب زبيبة وأصلها وسبب غربتها وهى انها بنت النجاشى ملك الحبشان ويرجع نسبها الى حام ابن نوح عليه السلام . وقد غدر بزبيبة الزمان ، وحكم عليها القدر أن تقع فى يد العربان ، وأرسلها الى بنى عبس وعدنان فاخذها شداد واتت منه بعنتر (١٣) .

ومع الاقتناع بوحدة مؤلف السيرة فقد اقحم النساخ خيالاتهم ورغباتهم للتزيد والحصول على رضى العامة . يثبت ذلك اختلاف نصوص السيرة ما بين حجازية وشامية وعراقية .

معنى هذا ان نظرية التراكم الملحمى يتفاوت انطباقها من سيرة الى اخرى بحيث يمكن تطبيقها تطبيقا واسعاً على سيرة مثل الزير سالم ، بينما قد لا يتاح تطبيقها إلا فى أضيق الحدود على سيرة مثل سيرة عنترة .

يوسف الشاروني

هـــوامـــش

(١) قصة الزير سالم الكبرى » ابو ليلى المهلهل » . مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد صبيح . القاهرة . » ص ١٧ » .
(٢) المرجع السابق » ص ٢٢ » .
(٣) المرجع السابق » ص ٢٣ » .
(٤) المرجع السابق » ص ٥ » .
(٥) المرجع السابق » ص ٧ » .
(٦) المرجع السابق » ص ١٨ » .
(٧) المرجع السابق » ص ٣٩ » .
(٨) د. لويس عوض : » اسطورة اوريست والملاحم العربية » ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ » ص ٣٣ » .
(٩) المرجع السابق » ص ٣٣ » .
(١٠) محمد فهمى عبد اللطيف : » ابو زيد الهلالى » ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقرا ١٩٤٦ . » ص ٩٩ – ١٠٠ » .
(١١) المرجع السابق » ص ١٠٠ – ١٠١ » .
(١٢) المرجع السابق » ص ١٠٢ – ١٠٣ » .
(١٣) المرجع السابق » ص ١٠٤ – ١٠٥ » .
(١٤) فن كتابة السيرة الشعبية . » ص ٨١ – ٨٢ » .



أزمة الصّحافة الغربية

بقلم: مجدي نصيف

● سماسرة العقارات وتجار الخردة يسيطرون على صناعة الرأى العام .

● الصحافة تدخل مرحلة الاحتكارات المتعددة الجنسية وتبتعد عن صناعتها الأصلية!

(١) عندما اشترى المليونير الأسترالى روبرت مردوخ صحيفة التايمز ، قالت صحيفة الأوبزرفر الأسبوعية البريطانية «إن هذا اكبر تركز لسلطة الصحافة فى تاريخ بريطانيا» ذلك ان مردوخ يطلق عليه اسم ملك «صحف الزبالة» ومنها فى بريطانيا وحدها «الصن» اليومية و «نيوز اوف ذى وورلد» الأسبوعية ، الواسعة الانتشار . وتساءلت صحيفة الأوبزرفر : «هل من حق رجل واحد ان يسيطر وحده على ثلث الصحف القومية» ؟ .

بعدها بشهر واحد فقط اعلن عن بيع

صحيفة «الأوبزرفر» نفسها لرونالد لونرو المليونير البريطانى السيىء السمعة ، الذى قال عنه ادوارد هيث عندما كان رئيسا لوزراء بريطانيا فى حكومة المحافظين السابقة : «إنه يمثل الوجه القبيح للراسمالية» .

والرجلان لهما شهرتهما فى عالم المال والتجارة . فروبرت مردوخ يمتلك شركات هائلة لوسائل الاعلام من صحف وتليفزيون فى أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ومعظم الصحف من التى يطلق عليها اسم «صحافة التابلويد» التى تنشر الصور العارية وتعتمد فى مادتها على الفضائح وقصص الجريمة والجنس . اما لونرو فهو «ملك المضاربة» الذى تمتد أملاكه الى مناجم فى النظام العنصرى بجنوب افريقيا . وقد حاول فى نفس الوقت الذى اشترى فيه «الأوبزرفر» أن يشترى محلات هارودز البريطانية وعرض ثمنا لها ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى .

التركز والتمركز

والقضية الأساسية المطروحة على بساط البحث هى تركز وتمركز الصحف الواسعة الانتشار ، فى ايدى قلة لا تعمل بالصحف ولا بالفكر ، إنما الفكرة الأساسية لديها هى تملك «صناعة» رابحة ومؤثرة فى المجتمع وفى السياسات بشكل عام . واذا اخذنا بريطانيا كمثال ، فان هناك ثلاث مؤسسات صحفية بريطانية تحتكر ٨٠٪ من توزيع الصحف :

(١) الميرور : (ريد انترناشيونال) : وتمتلك «الديلى ميرور» و «الصنداى ميرور» و «الصنداى بيبول» . توزيعها يزيد عن ١١ مليون نسخة .

(٢) مردوخ (نيوز انترناشيونال) : ويمتلك «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» وصحف «التايمز» و «الصنداى تايمز» وملاحقها . توزيعها فوق التسعة ملايين ونصف النسخــــة .

(٣) الاكسبريس : (ترافالجار هاوس) تمتلك «الديلى اكسبريس» و «الديلى ستار» و «الصنداى اكسبريس» . ،توزيعها قرابة ست ملايين وربع نسخة

(٤) التلجراف : وتمتلك «الديلى تلجراف» و «الصنداى تلجراف» ويصل توزيعها الى مليونين ونصف نسخة .

(٥) الميل : (اسوشيتد نيوز بيبر) وتوزيعها قرابة مليونى نسخة .

(٦) الأوبزرفر : (لورنو) وتوزيعها اكثر من مليون نسخة .

(٧) الجارديان : وتوزيعها ٣٧٨,٨٥٢ نسخة .

(٨) الفايننشيال تايمز : وتوزيعها ١٩٦,٤٩٥ نسخة .

من هذا يتضح ان المؤسسات الثلاث الكبرى الأولى ، يصل توزيع صحفها الى حوالى ٢٧ مليون نسخة ، من التوزيع الاجمالى للصحف البريطانية ، الذى يبلغ ٣٣ مليون نسخة . اى انها تسيطر على ٨٠٪ من الصحف التى تشكل الرأى العام .

شارع الصحافة

و «فليت ستريت» هو شارع الصحافة فى بريطانيا ، حيث مبانى معظم الصحف العملاقة ، الذى يدور فيها الصراع الآن . ولأن الصحافة أصبحت «صناعة» بالمعنى الاقتصادى الحرفى للكلمة ، فقد اصبح الصراع الدائر الآن هو بين اصحاب الصحف وبين النقابات القوية التى تضم الصحفيين والموظفين والفنيين والمصوريـــن وعمـــال الطباعة الخ .

والسمة السائدة الآن ، هو محاولة ضرب هذه النقابات القوية التى اكتسبت قوتها من الصراع الطويل مع اصحاب الأعمال ، ومن الحقوق التى اكتسبتها بالتالى على مدى هذا الصراع .

مارجريت تاتشر



والحقيقة انها تحولت الى «حرب شاملة» حرب تشنها دور الصحف العملاقة ضد النقابات كلها بشكل عام ، حرب تنبأت صحيفة الفايننشيال تايمز بانها «تنشأ من معالجة علاقة العمال بالادارة كمصارعة الثيران» .

وبتفاقم الأزمة الاقتصادية التى تمر بها بريطانيا منذ جاءت السيدة مرجريت تاتشر على رأس حكومة المحافظين الأخيرة ، تناقص العائد من الاعلانات بشكل لم يسبق له مثيل منذ الثلاثينات . ويتجه رأس المال فى الصحافة الى العودة بسرعة الى طريق الربح ... الكلمة الأخيرة لشريعة الغاب وليس لها علاقة بالصحافة كحرفة ولا بحرية التعبير ، ولا بخطورة تشكيل الرأى العام . شريعة الغاب التى افترست العديد من الصحف المستقلة .

إن الحرية الوحيدة التى يعترف بها «فليت ستريت» هى حرية الأرباح . كتبت صحيفة الديلى اكسبريس فى احدى افتتاحياتها ذات مرة : «إن حرية الصحيفة تكمن فى حريتها لايجاد المال اللازم . يجب عليها أن تصبح حرة فى الطريقة التى تستغل بها الفرص المتاحة امامها فى سوق المنافسة القديم الخشن» كتبت هذه الافتتاحية ، بعد أسبوع واحد من اضطرار «الديلى اكسبريس» نفسها الى الخضوع لشريعة الغاب فى سوق المنافسة ، والانضواء تحت لواء مؤسسة «ترافالجار هاوس» التى قامت بشرائها . وأصحاب هذه المؤسسة وكلاء شحن وسماسرة عقارات يمتلكون فندق «ريتز» وشركة ملاحة .

إن هذا النوع من الملاك الجدد للصحف (الغربية عموما) هم السمة الغالبة الآن فى «موقف» لعبة النهاية الذى وصلت اليه «مبارزة» التملك والاستيلاء ، التى يشكل فيها عالم لندن «المالى» و «فليت ستريت» كيانا واحدا جديدا ، فى الوقت الذى تختفى فيه امبراطوريات الصحافة التقليدية وتختفى تحت سطح البنايات الضخمة للمؤسسات المتعددة الجنسية ، لتصبح احدى الوحدات فى «الأصول الثابتة» للمؤسسة !

وعندما يصرح «مردوخ» و «رولاند لونرو» بانهما سيبقيان على تقاليد ممتلكاتهما الجديدة من الصحف

أزمة الصّحافة الغربية

«المحترمة» ، فانهما أيضاً يفصحان عن رغبتهما فى ان تدر ما يكفى من الدخل والارباح .. كان هذا الخليط الغريب من القضايا هو الأصل فى عرض مجموعة طومسون (التايمز) لبيع افضل ما فى السوق . فاذا لم تبع صحف «التايمز» ، فسوف تغلق ! لقد رفض مردوخ ان يستمر فى الوعد الذى قطعه اللورد طومسون على نفسه بان تستمر التايمز خمساً وعشرين سنة أخرى فى الصدور .

لكن أحداً لم يصدق التأكيد باستمرار على ملامح المؤسسات القومية ، واحترام التقاليد الصحفية ، والحفاظ على استقلالية رئيس التحرير (الأجير لدى التجار والسماسرة) . ولازال القراء البريطانيون يذكرون كيف استغل حزب المحافظين رؤساء تحرير معظم الصحف القومية خلال العام الأول من حكم حزب العمال ، عام ١٩٧٤ ، فى محاولة لانقاذ قانون علاقات العمل الذى قدمه رئيس وزراء حكومة المحافظين ادوارد هيث ، قبل ذلك بعام واحد . ذلك أن رؤساء التحرير «الذين يتمتعون بالاستقلالية» بذلوا كل ما فى وسعهم لوضع العقبات فى طريق الممارسات الديموقراطية داخل المؤسسات الصحفية .

السياسة المالية

وتختلف الصورة اليوم تماما بسبب سياسة السيدة مرجريت تاتشر ، والتى ادت الى المزيد من التركز والتمركز فى الصناعة ، اذ أصبحت السلطة المطلقة للمليونيرات الذين يحتكرون الصحافة بعلاقاتهم مع الشركات الكبرى . لقد أصبح ذلك يشكل خطورة أعظم مما كان يشكل فى الماضى . وتزداد هذه الخطورة بتأثير المؤسسات الصحفية الهائل على تشكيل الرأى العام .

وقد خاض رئيس تحرير صحيفة «الأوبزرفر» معركة ، بعد أن شعر بالحرج من انتقال ملكية الصحيفة من يد شركة اركو الأمريكية للبترول ، الى «لونرو» ذات السمعة السيئة .

ولقد روجت صحيفة التايمز لأسطورة حريتها منذ عام ١٨٥٢ ، وأصبحت الفكرة الراسخة «أن الصحف التى تحقق أرباحاً هى وحدها التى لها حق البقاء والاستمرار» . لكن صحافة «السوق الحر» تحولت فى مضمونها الى العكس تماما . وفى تعليق لمحرر «الأوبزرفر» على مصيرها هي نفسها قال : «كان التأثير المزعج لفتنة شارع الصحافة ، هو الذخيرة التى أمدت تدعيم فكرة مغزاها أن تنافس الصحف هو أفضل سبل الحصول على مصادر نظيفة للمعلومات ، وذلك بدلا من انكار ملكية الدولة للصحافة ، أو المؤسسات للصحافة ، أو المؤسسات الصحفية المستقلة المدعومة من قبل الحكومة» .

لقد كانت الفضائح ، سواء اكانت حقيقية أم مزيفة ، هى السلعة التى تاجرت فيها «الصحافة» الغربية لأمد طويل . لكن أطول الفضائح عمراً هى حالة الصحافة نفسها . لقد انكشف حال الصحافة على مدى عشرات السنين الماضية فى الغرب ، المرة بعد الأخرى ، إن قاعدتها الأساسية هى المناورات والخسة ، وذلك بالرغم من القناع الذى ترتديه «كمؤسسة محترمة مبجلة» ، وحلة الحرية التى ترتديها !

والسؤال الذى يطرحه المثقفون فى الغرب الآن هو : لماذا لم يحدث تغير ما ؟ ولماذا ظلت الصحافة على ما هى عليه الآن ؟ ولماذا لم تحاسب على افعالها ؟ ولماذا تبدو دائما «منيعة» ضد أى تطور ديموقراطى ؟

لا يذكر التاريخ الغربى سلطة طاغية مثل سلطة «فليت ستريت» . ويدعى شارع الصحافة هذا أن لا بديل فى الساحة عن حريته المبنية على قاعدة «السوق الحر» ، إلا الصحف التى تمتلكها الدولة . أى إما «الحرية الكاملة» أو التبعية الكاملة للدولة ، ويضربون على ذلك الأمثلة بالصحافة فى الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث التى أممت كل شىء من وسائل الانتاج ، بما فى ذلك المؤسسات الصحفية . والغريب أن هذا الادعاء قد تمكن من الرأى العام بقوة وبتدعيم الحكومات المتتالية ، بما فى ذلك الحكومات العمالية (جيستيكل وويلسون وكالاهان) .

لكن اليسار البريطانى قدم مشروعاً لحل قضية الصحف وملكيتها ومشاكلها ، لأعضاء «اللجنة الملكية للتحقيق فى مشاكل الصحافة» .

ويتلخص هذا المشروع فى سبع نقاط :

أولا : منع سياسة دمج المؤسسات الصحفية (وهو ما يحدث الآن) .

ثانيا : اصدار ما يلزم من تشريعات جديدة لكسر الاحتكارات الحالية التى تركز الصحف فى أيدى قلة . واقتراح باصدار قانون يحول دون تملك مؤسسة واحدة أو فرد واحد لأكثر من صحيفة واحدة .

ثالثاً : تقديم دعم مالى حكومى ، منظم ومدروس ، لمساعدة الصحف على مواجهة المشاكل المالية ، خاصة الصحف ذات التوزيع المنخفض .

رابعاً : يقاف سياسة التفرقة التى تتبعها الحكومة فى منح الاعلانات .

خامساً : وضع حد أقصى لما تحصل عليه صحيفة واحدة من الاعلانات من المؤسسات والشركات التجارية والصناعية الكبرى .

سادساً : انشاء مؤسسة وطنية للطباعة تقوم الدولة بتمويلها ، بغرض تقديم وسائل الطباعة السهلة والرخيصة للمؤسسات والهيئات الديموقراطية لاصدار صحفها ، حتى لا تحول الموانع المادية دون ذلك .

سابعاً : فصل الصحافة عن محطات الاذاعة والتليفزيون المملوكة لشركات تجارية .

(والآن ... نظرة فاحصة الى الصحافة البريطانية من الداخل ، من خلال عملى كمراسل فى لندن مقيم بصحيفة التايمز البريطانية مما يتيح نظرة موضوعية على البنية الداخلية ، ومن خلال علاقاتــــى بالزمــــلاء الصحفييــــن) .

عندما بدأ الشاعر الانجليزى الشهير صمويل تيلور كولريدج اصدار صحيفته «كلب الحراسة» منذ حوالى مائتى عام ، استهلها بتحذير كئيب يقول : «فى دولة مستعبدة ، تجد الحكام فى موقع تشكيل وجهة نظر الشعب» . وادان نوعا من الصحف فى المقاطعات ، يتسلم «رؤساء تحريرها هدايا أوراق البنكنوت من وزارة الخزانة ، ومعها بعض التعليمات التى يدسونها على القارىء بين اسطر مقالاتهم» !

إن هذا الوضع موجود بهذا الشكل او

ذاك حتى الآن ، وإن كان ليس بالضرورة كما وصفه صمويل كولريدج .

إن عدد قراء الصحف فى بريطانيا يفوق مثيله فى أى مكان اخر فى العالم .

إن ملوك الصحافة يجرون وراء الأرباح ، ولا شيء غير الأرباح .

● فيكتور ماثيوز الذى يمتلك مؤسسة ضخمة للسفن والشحن اسمها «ترافالجار هاوس» (دار الطرف الأغر) تمتلك مجموعة صحف الاكسبريس . والمليونير فيكتور ماثيوز له مكتبه الخاص به بمبنى صحيفة الديلى اكسبريس حيث يمارس منه بيد من حديد شئون «التحرير» وسط كل مشاغله المادية والتجارية .

● اللورد روثيرمير ويعيش فى باريس هرباً من ارتفاع الضرائب فى لندن . يجلس هو الآخر فى مكتبه «ليشرف ويراقب الصحف المملوكة لمجموعة «الصحف المتحدة» والتى تمتلك ، ايضا ، نصيباً لاباس به فى بترول بحر الشمال» .

● ومازال المليونير اللورد هارتويل «رئيساً لتحرير» صحيفة الديلى تلجراف وكذلك «الصنداى تلجراف» الأسبوعية ، اللتين يمتلكهما ايضا .

● أما روبرت مردوخ ، فقد قطع شوطاً بعيداً عن «نادى حزب العمال» بجامعة اكسفورد . وهو يقوم الآن بالاشراف على امبراطورية معقدة من الاعلام والمعلومات . وهو يقضى معظم وقته فى نيويورك ، ومع ذلك فلديه من الوقت ما يكفى ليتدخل تدخلا مباشرا فى تحرير «أوزتيه اللتين تبيضان ذهباً» : وهما «الصن» و «نيوز أوف ذى وورلد» .

إن جميع الصحف البريطانية تتكون من التوظيف الهرمى ، ووفق هذا التصنيف الكهنوتى يقوم صاحب الجريدة بتعيين رئيس التحرير الذى يقوم بدوره بتعيين مدير التحرير ورؤساء الأقسام الخ من أعلى الى أسفل . أما ممارسة العمل نفسه ، فهى بدورها تأتى من أعلى الى أسفل . وكان الله فى عون الصحفى الذى يتجرأ على هذا البنيان الكهنوتى ، مهما بلغ احترام هذا الصحفى بين قرائه وزملائه .

والأمثلة كثيرة :

● فى عام ١٩٧٠ فصل الصحفى برنارد ليفين من عمله كمحرر صحيفة «الديلى ميل» عندما تجرأ وتضمن مقاله جدلا عن أهمية عودة حزب العمال الى الحكم لعدم صلاحية حزب المحافظين فى ادارة شئون البلاد . هذا رغم ان نتيجة تحليل استمارة استطلاع الرأى العام بين صحفيى الديلى ميل ، جاءت مؤيدة لوجهة نظر برنارد ليفن .

● وفى بداية العام الماضى «طلبت قمة «النظام الكهنوتى» من الصحفى جيرمى كامبل مراسل «الإيفننج ستاندرد» بواشنطن ، أن يستطلع وجهات نظر الساسة ورجال الأعمال الأمريكيين فى الانتخابات البريطانية . وقد عبر معظمهم عن عدم ارتياحهم لنجاح السيدة مرجريت تاتشر ، وظهر «مانشيت» بهذا المعنى فى الطبعة الأولى . لكن فى الطبعة الثانية تعرض المقال لعملية تشويه فظيعة ، وتحول الى ملخص لوجهة نظر رجال الأعمال الأمريكيين فى النظام الضرائبى البريطانى ، وتم استئصال كل التعليقات المعادية للسيدة تاتشر . وبعبارة أخرى فان التحيز لصالح المحافظين «قضى» على أسس قواعد عمل مضن قام به واحد من افضل وأصدق مراسلى الصحيفة وأكثرهم استقلالية .

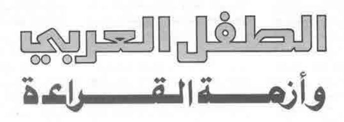
● وبنفس الطريقة ، لا تتاح لرؤساء التحرير انفسهم فرصة نشر أو ممارسة العمل الصحفى اذا كانت هناك معلومات لا يرضى عنها صاحب الصحيفة . ومن القصص الطريفة المعروفة ما حدث قبيل بداية الحملة الانتخابية للمعركة الأخيرة التى انتصر فيها حزب المحافظين بقيادة السيدة مرجريت تاتشر حدثت مناقشة اشترك فيها كل من ديريك جيمسون رئيس تحرير الديلى اكسبريس الذى يصف نفسه بانه «رجل حزب العمال» ، وبيتر جريمسديتسن رئيس تحرير الصحيفة التى صدرت حديثاً انذاك واسمها «ستار» وصاحبها فيكتور ماثيوز . اصر جيمسون وجريمسديتسن على أن تؤيد صحيفة «الستار» الجديدة حزب العمال ، لسبب تجارى خبيث بحت لا علاقة له بسياسة حزب العمال ولا مصلحة الناس ولا وجهة نظر أيهما . وشرح الرجلان رأيهما : «إن صحيفة «الصن» اليومية المنافسة تلقى بثقلها وراء حزب المحافظين ، ومن ثم فان تاييد صحيفة الـ «ستار» الجديدة لحزب العمال سوف يجعلها تحقق شعبية لانها ستكسب قراءها من العمال . لكن فيكتور ماثيوز الذى لا يخفى «عبادته» للسيدة مرجريت تاتشر ، لم تهضم معدته أمر امتلاكه لصحيفة «عمالية» . وبعد مناقشات ومداولات أخذت صحيفة الـ «ستار» الجديدة موقفاً «وسطاً» .

إن ازمة الصحافة الغربية أزمة عميقة . إنها أزمة مرتبطة بالنظام السائد والبنئة الاقتصادية والاجتماعية المكونة للمجتمع . والصراع الدائر فيها ايضا هو نفس الصراع الدائر فى المجتمع ايضا ، بكل مكوناته وطبقاته وفئاته وتقسيماته .

مجدى نصيف ـ لندن

روبرت ميردوخ بين هارولد إيفانز رئيس تحرير الصنداي تايمز الأسبوعية ووليم ريزموغ رئيس تحرير التايمز اليومية .

إلى متى يظل الطفل العربي مهملا وضائعاً فى عالم الكبار ؟ الفضول .. والترقب .. وأصوات الأسئلة الكثيرة بداخله ، بحثاً عن اجابة لكل ما تقع عليه عيناه ، وتلمسه يداه ، وتستقبله أذناه . من يجيب للطفل على كل أسئلته ؟ ومن يخاطب عقله ؟ وأين هو الكتاب الذى يأخذ بهذا العقل البكر رويداً رويداً ، لكي يكتشف عالمه الحقيقى ، وطريقه الصحيح نحو المعرفة والحقيقة ؟ .



بقلم : عبد التواب يوسف

نحن فى حاجة الى مكتبات للاطفال .. مكتبات عامة ، مكتبات مدرسية ، مكتبات فى الفصول ، مكتبات فى البيوت ، اقسام فى مكتبات الكبار مخصصة للاطفال .. لكن السؤال الذى يواجهنا :

ـ ماذا سوف نضع فوق هذه الرفوف ؟!

فى دور الرياض قد نضع لعبا ومكعبات فى المكتبات ، وفى المكتبات المدرسية قد نضع بجانب الكتب الشرائح ، والافلام ، والخرائط ، واللعب التعليمية ووسائل الايضاح .. لكن «الكتب» هى الأساس .. والسؤال :

ـ ماذا لدينا من هذه الكتب لنضعه فوق رفوف المكتبات ؟

وهذه محاولة لمعرفة كتب الأطفال العربية التى يمكننا ان نفيد منها ، بجانب ذلك الحشد الضخم من الكتب الاجنبية .

والكتاب عندنا نحن العرب والمسلمين شىء مقدس ..

إذ عندما اراد الله ان يهدى البشرية فى طفولتها بعث اليها «صحفا» و «كتبا» والصحف والكتاب : هداية ورشاد ، معرفة وتعليم ، ثقافة وتوجيه .. واذا شعرت امة بازمة فكر ، فان ذلك وراءه غيبة الكتاب ، ويعنى ان هذه الامة لم تدرب اطفالها على صحبته منذ نعومة اظفارهم ، ولم تغرس فى نفوسهم ان الكتاب غذاء ورغيف للعقول .. وهذه مسئولية : المجتمع ، والمدرسة ، والأسرة معا ، متلازمين .. ونحن العرب لا نعانى ازمة فى مجال كتب الأطفال .. ما نعانيه شىء أكبر من الازمة .. إنها «مجاعة» حقيقية ، تلك التى يعانيها اطفالنا وما يصدر لهم وجبة لا تشبع ، بل تثير نهمهم ، وتنبههم الى السغب الذى يعيشونه ، حين يقارنون بين ما يقدم لهم وبين ما يرونه من كتب اجنبية ، خاصة الشوامخ التى لم تترجم بعد الى العربية ، فى مجالى المعرفة والادب .

نصيب الطفل عالميا

الموقف الراهن للثقافة عامة ، والكتاب خاصة ، على مستوى الوطن العربى موقف مؤسف محزن .. تكفى احصائية صغيرة لكى تثير فينا مشاعر الذعر والقلق .. تلك هى : «ان بلادنا قد استهلكت من ورق المطبوعات والكتب فى عام كامل ما لا يزيد على عشرة فى المائة مما استهلكته بلجيكا وسكانها لا يتجاوزون عشرة بالمائة من العرب» واعرف مسبقا ان البعض سوف يزيد الصورة اظلاما وقتامة بقوله ...

ـ وماذا طبعنا على هذا الورق ؟ ما قيمته الحقيقية ؟

وبدورى اتساءل فى أسى :

ـ ترى ، ماذا كان نصيب الطفولة فى عامها الدولى ـ من هذا الورق ؟ والجواب اقل القليل .. البذر اليسير .. ربما كان اقل من خمسة بالمائة بينما عدد الأطفال يصل الى خمسة وعشرين بالمائة من عدد السكان !! والاحصائيات لغة العصر ، لذلك تضع الدول امامها سؤالا هاما ، عاما بعد عام ...

ـ كم كان نصيب الطفل من الكتب فى هذه السنة؟

ويجيب الاتحاد السوفيتى فى فخر : ٤,٧ كتاب ..

وتقول الولايات المتحدة الاميركية ٣,٩ كتاب.

وتاسف انجلترا ، وهى تضع هذا الرقم : ٢,٦ كتاب ...

إنهم يقسمون عدد نسخ الكتب المطبوعة سنويا على عدد الاطفال القراء .. واذا ما حاولنا ان نضع نفس الشىء لقلبنا ايدينا فى حسرة : إن نصيب الطفل العربى من الكتب سنويا لا يزيد على سطر فى كتاب .. او ربما كلمة !! وليست لدينا قوائم لكتب الاطفال الصادرة لهم على مدى السنوات التى حاولنا خلالها ان نقدم كتبا خاصة بهم ، وقد نادينا بضرورة حصر الصالح منها ، وذلك خلال الحلقة التى عقدت عام ١٩٧٠ فى بيروت تحت شعار «الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربى» ولكن ما من توصية واحدة من توصيات هذه الحلقة وجدت طريقها الى النور .. لذلك اعتمد على مصدر اجنبى لعرض مكاننا على خريطة العالم فى مجال كتب الاطفال ، واتوقف عند أحدث ما صدر من قوائم ، تلك هى القائمة التى صدرت مع عقد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب (١٩٧٨) تحت عنوان «طبع للاطفال» ..

كتب الأطفال العربية

والحقيقة انه من الصعوبة البالغة ان نحاول حصر واحصاء كل ما صدر للاطفال العرب من كتب ـ غير مدرسية ـ وذلك لغيبة القوائم الخاصة بهذه الكتب ، لكن المسالة ضرورية ، وحتمية ، ولعل هذه المحاولة تدفع بعض الأجهزة الى تقديم جهد اكبر فى هذا المجال الذى نعتمد فيه على بعض المصادر غير العربية .. وتحت يدى احدث قائمة عالمية لكتب الأطفال ، وقد صدرت فى عام ١٩٧٨ مع معرض فرانكفورت الدولى للكتاب تحت عنوان (طبع للاطفال) وتضم عرضاً عن كتب الأطفال فى ٧٩ دولة .. وعلى الرغم من أن ما جاء فيها من كتب الأطفال فى مصر لا يتسم بالموضوعية او الدقة او الامانة إلا انها أحدث مصدر يمكن الرجوع اليه بالنسبة لكتب الأطفال فى لبنان والعراق والسعودية ومصر .

ونستطيع أن نقول ان الاهتمام بكتب الأطفال يتفاوت فى بلدان وطننا وفى مقدورنا ان نجد ثلاث مجموعات متباينة فى مجال نشر كتب الأطفال :

● بلدان لم تقتحم هذا المجال بعد ، وتتركز فى الجزيرة العربية والخليج .. ومعها الصومال وموريتانيا وجيبوتى .. إن أغلب هذه البلدان إما لديها امكانات مالية ضخمة وتعتمد على استيراد كتاب الطفل من مصر ولبنان ، وإما تعوزها الإمكانات بالكامل .

● بلدان لها محاولات متواضعة .. مثل الجزائر والمغرب ، وقد اعتمدا طويلا على الكتاب الفرنسى للطفل ، الأمر الذى جعل انتاجها لكتب الأطفال قليلا وجعل اعتمادها (بعد التعريب) على تونس كبيرا .. ومن هذه المجموعة ايضا الأردن والكويت وليبيا ، وعدد الكتب الصادرة للاطفال فيها تعد بالآحاد (تهتم الكويت بكتب الرياض . وصدرت عدة مجموعات اخيرا فى ليبيا) .

● اكثر بلدان الوطن العربى اهتماما بكتب الأطفال هى ـ وبترتيب الكتب الصادرة فيها ـ مصر ، لبنان . (باصداراتها التجارية العريضة) السودان ، سوريا ، العراق ، تونس ...

هذا ، ولا يفوتنا ان نشيد بالدور الرائع والبناء الذى قامت به دار الفتى العربى فهى بعد مكتبة كامل كيلانى ـ الدار التى تخصصت فى اصدار كتب الأطفال .

ويزيد عدد كتب الأطفال فى مصر على الفى كتاب .. وتتجاوز كتب لبنان الالف كتاب ، وصدر فى السودان نحو ٤٠٠ ، وفى سوريا نحو ٣٠٠ ، والعراق نحو مائتين(ومائة كتاب فى تونس .. اى ان كتب الاطفال فى وطننا العربى كله لا تزيد على اربعة آلاف كتاب .

واكثر الكتاب انتاجا فى مجال الكتاب فى سوريا شاعرها الكبير سليمان العيسى وزكريا تامر وعادل ابو شنب ، وفى العراق فاروق سلوم وشريف الراسى وجعفر صادق ، وفى السودان حسين حسون وعوض حاج حامد ، وفى مصر احمد نجيب ونتيلة راشد (ماما لبنى) ووصفى ال وصفى وعصمت والى ، وراجى عنايت ، و (صاحب هذا البحث) .

ماذا فوق رفوف المكتبات ؟

هذا التساؤل طرحته على نفسى ، وحاولت ان اجيب عليه ببساطة .. إن فوق رفوف مكتبات الأطفال : الخاصة ، والعامة ، والمدرسية : كتبا ومراجع ومجلات وقد تكون هناك بعض الخرائط والمصورات والوسائل التعليمية ، وربما توجد بعض أشرطة الكاسيت ، والشرائح المصورة ، والأفلام ... وهذه هى التى يسمونها المكتبة الشاملة ..

وفجاة تذكرت دولاب الكتب القديم ، المتهالك ، المغلق لسنوات طويلة والقابع فى الظلام فى ركن من اركان مدرسة (...) الابتدائية ، ومفتاحه قد يكون مع السيد المدير ، أو السيد السكرتير ، أو السيد امين العهدة .. وتلاميذ هذه المدرسة عددهم نحو خمسمائة طفل ، وميزانية المكتبة سنويا خمس جنيهات ـ فى مصر ـ اى نصيب الفرد منهم قرشا لتزويد المكتبة بالجديد مما صدر فى دنيا العلم والمعرفة والأدب والفن وكانت لنا فى فصولنا ـ يوما ما ـ مكتبة .. لكل فصل من التبرعات .. وتذكرت أن بلادنا تكاد تخلو من المكتبات العامة للاطفال (هناك مكتبة واحدة بالقاهرة ، واخرى فى بغداد) . ربما تفرد بعض دور الكتب جانبا للاطفال ، وقلما يجدون فيه ما يناسبهم ، وسرعان ما ينصرفون عن المكتبة ولا يعودون للتردد عليها ... ولكن هناك محاولات من جانب قصور الثقافة ونوادى الشباب لخلق «نواة مكتبة» حيثما وجد القصر او النادى ... وتذكرت أن «غرفة المكتبة» ليست ضمن غرفة «جهاز العروسة» وان بيوتنا غالبا لا تعرف المكتبات الخاصة ، وبالتالى فلا رفوف لاطفالنا ، خاصة بهم ، يضعون من فوقها كتبهم ، والاب يفضل علبة السجائر على الكتاب ، والابن يفضل عليه قطعة الشيكولاته ويتوارث الأبناء عادات الآباء ... وعلى هذا تتناثر كتب الاطفال ومجلاتهم فى البيوت وقلما يكون لهم رف هو النواة الحقيقية ليكون بنفسه مكتبة فى المستقبل .

ومن الضرورى ان نفرق بين لونين من كتب الأطفال :

اولا ـ كتب المعرفة : وهى تدور حول كافة الوانها ، والكثير منها تعليمى مدرسى ولكنه اقترب فى السنوات الاخيرة الى شكل كتب الأطفال الملونة البراقة ، وحفل بالصور والرسوم .

ثانيا ـ كتب الادب : وهى فى شكل رواية او مجموعة قصص قصيرة ، او تصاغ فى صورة مسرحية ، بجانب الشعر والأناشيد والاغنيات .. وهى لا تستهدف المعرفة فى المرتبة الأولى ، بل تسعى للثقافة ، وتترك فى نفوس قرائها انطباعا ، ترمى به الى إثراء الوجدان وتغيير المفاهيم وتثبيت القيم الاخلاقية الايجابية .

والخلط بين الشكل والمضمون ، ياتى من ان كتب الجغرافيا أصبحت (ادب رحلات) ، والمواد التاريخية تصاغ فى شكل قصصى او مسرحى ، كما ان الروايات العلمية تحتوى على قدر كبير من المواد العلمية ، اى ان كتب الأطفال كثيرا ما تمزج بين الأمرين ، والحكم على الكتاب بانه من كتب المعرفة او الأدب يتوقف على ما توخاه منه مؤلفه وما قصد اليه واستهدفه .. وقد لوحظ فى الفترة الاخيرة محاولة من جانب الكتاب المدرسى للاقتراب شكلا ومضمونا من كتب الأطفال والعكس صحيح بالنسبة لكتب المعرفة والمعلومات ، إذ أن إلغاء الكتاب المدرسى المقرر جعل من الضرورى وضع هذه الكتب بين أيدى الأطفال كمراجع للبحث والدراسة والتحصيل .

كتب الجريمة

وعلى رفوف مكتبات الأطفال ـ فى البيت والمدرسة ـ نعثر على كثير من قصص الجريمة ،

الطفل العربي وأزمة القراءة

لقد شهدت نهاية الستينات وبداية السبعينات ـ والى الآن ـ هذه الجرائم التى ترتكب فى وضح النهار وتحت انظار السلطات الثقافية ـ إن كان هناك شىء يمكن ان يطلق عليه هذا التعبير ـ وأمام بصر الرأى العام ، كم رهيب من الروايات البوليسية التى تغمر الأسواق باعمال رخيصة ، اغلبها مترجم من اللغات الأجنبية على ورق رخيص ، ورسومها سخيفة ، وموضوعاتها اشد رخصا وسخافة .. وهى اعمال لاتمت بصلة لا الـى ثقافة الأطفال ، او ادبهم ، او كتبهم (الأصل فيها مجموعة من روايات الكاتبة الانجليزية ايند بلايتون التى لا يشير اليها قط اى كتاب من تاريخ ادب الأطفال فى العالم على الرغم من انها تاتى الثالثة فى قائمة الكتب المترجمة على مستوى العالم بعد الانجيل وشكسبير .. وبعد النجاح المادى الذى حصل عليه اصحاب هذه الترجمات ـ ونخرجهم من عداد كتاب الأطفال ـ زادت هذه البوليسيات وتجاوزت الحد المعقول ، وراحت تنضم اليها سلاسل جديدة كالشياطين تصدر من القاهرة وبيروت . (بعض البلدان العربية كالسعودية والعراق تمنعها من دخول اسواقها) ، والمؤسف ان دارين للنشر عريقتين ، فى القاهرة تساهمان فى هذا العمل :

● دار المعارف التى احتضنت اقلام كامل كيلانى وسعيد العريان وبرانق وزهران .

● دار الهلال التى اصدرت كتب ماما لبنى وحجازى واللباد .

وذلك بجانب دار اللطائف المصورة فى بيروت التى تصدر سبع مجلات (سوبرمان ، الوطواط ... الخ) وهى مجلات ـ مثل الشياطين ـ لا تستهدف غير تخريب نفوس الأطفال .

والعالم كله يخرج الروايات البوليسية من دائرة الادب ، ولا تضم قائمة الكتب الكلاسيكية للاطفال ـ او الكبار ـ اى عمل من الأعمال البوليسية ، ولم ترق اى من هذه الاعمال الى مرتبة اعتبارها ادبا (فيما عدا ما كتبه الألمانى ايريك كيسلر فى روايته أميل والبوليس السرى) والسؤال الذى يطرح نفسه :

ـ هل نرضى غرائز الاطفال ورغباتهم ، ام نعطيهم احتياجاتهم الضرورية ؟!

● إن الاجابة على السؤال تكمن فى ان الطفل يحب الشيكولاته لكنه لا يمكن ان يعيش عليها ، ويجب على الأدباء الا ينقادوا لأبنائهم فى هذا السبيل الضار ، لأن من «الحب ما قتل» ! والانسياق وراء إرضاء الغرائز خطا كبير .

والبعض يتهمون ادباء الأطفال بأنهم يغارون من النجاح الذى تحققه هذه الاعمال البوليسية ، وما اظن اديبا حقيقيا فى العالم كله يشعر بالغيرة من موريس لبلان او كونان دويل او اجاثا كريستى .. إنه لون من الكتابة يمتع خلال قراءته ولا يترك بصمة او اثرا والقول بان هذه البوليسيات تضيف الكثير من المعلومات للاطفال غير صحيح لأن القارىء خلالها مشغول بالحدث متتبع للوقائع الأمر الذى يجعله غافلا تماما عن كل ما يرد من معرفة ... كما ان القول بانها تدرب الطفل على القراءة امر غير صحيح : إن قراء البوليسيات لا يتجاوزونها الى غيرها إلا إذا كانوا من قراء الكتب اصلا .. ويكفى ما تعالجه من اعمال مثيرة ، يتوتر لها الطفل ، كان ما حوله لايكفى ! ، وكم تسبب له المخاوف . فالامم المتحدة وتقرير فيليب بومار ، وكل دساتير الكتابة للاطفال فى العالم تحرم التعرض لحوادث الإختطاف ، ولدينا (الطفل المخطوف) و (الأمير المخطوف) ، وغيره .. كما تحرم (التهديد) الذى يخل بامن الطفل وطمانينته ، وعندنا (الرسائل الغامضة) وقد قلدها أطفال احدى المحافظات وبعثوا برسائل تهديد الى المسئولين فى المحافظة واعترفوا خلال التحقيق انهم تعلموها من الرواية التى حرزت مع اوراق القضية .. ان هذه الأعمال الرخيصة الضارة يجب أن نتصدى لها بقوة .

ولقد آن الأوان لكى تنتبه بلادنا والرأى العام الى هذا اللون البشع من الغزو الثقافى الذى لا يستهدف غير الربح المادى على حساب ثقافة اطفالنا ، وادبهم .. إن الأعمال العالمية للاطفال ، والتى حازت اكبر الجوائز لم تترجم الى العربية .. الفائزون ، جوائز كارنيجى ، نيوبرى ، هانز اندرسون لا يعرف الحقل الثقافى للاطفال اسماءهم ، ولا كتبهم ، لأن هذا السيل المتدفق من البوليسيات يغمر الاسواق ويطرد العملة الجيدة منها .

كتب الأطفال

الكتاب ـ فضلا عما فيه من قيم ثقافية ـ سلعة تمر بعدة مراحل حتى يتم تصنيعها ، وهى تحتاج بجانب المؤلف والرسام الى ورق ، وحبر وطباعة والوان ، وغير ذلك من الخامات التى تتكلف كثيرا ، وخاصة كتب الأطفال فى حاجة الى لون جيد من الورق والاغلفة بجانب الدقة فى الطباعة واستخدام الالوان .ثم ان الكتاب كسلعة يعانى من منافسة سلع اخرى ـ غير الاذاعة والتليفزيون ـ مثل اللعبة والحلوى ، وارتياد السينما والمسرح .. وقد ارتفعت اسعار الخامات ، وبالتالى أثمان الكتب ، وخضع سوقها للعرض والطلب .. ونتيجة لضعف القوة الشرائية لم يعد الاقبال على الكتاب عامة ـ وكتب الأطفال خاصة ـ يغطى مساهمة بعض الهيئات فى شراء هذا اللون من الكتب لكساد سوقه بالكامل . خاصة والاعلان عنها يكلف الكثير مما يزيد فى النفقات وبالتالى فى سعر الكتاب ، وإن كانت هذه الهيئات ـ كوزارة التربية ـ لا تشترى كميات كافية لتغطية المصروفات .. وليس لدى الأطفال مصروف كاف لاقتناء كل ما يرغبون فيه من كتب ، اذا كانوا ممن يقبلون على القراءة .

(كان توزيع كتب الأطفال فى فرنسا فى عام ١٩٧٨ يشكل ٨,٤٧ بالمائة من الكتب الموزعة ، ارتفع عام ١٩٧٩الى ٩,٩٠ فى المائة) .

والحقيقة انه ما من حل لأزمة كتاب الطفل إلا بتوزيعه على نطاق واسع فى شتى ارجاء الوطن العربى ، وإن كان هناك الكثير مما يحول بيننا وبين هذا-مثل الاجراءات الجمركية ، والقيود النقدية المفروضة داخل كل قطر عربى .. والحق ان كتاب الطفل يحتاج الى مزيد من الرعاية ، فلابد من ان يتم توزيعه بلا عوائق ، من اى لون كانت ... يجب ان ترفع عنه الرقابة ، والجمارك ، وكافة القيود التى تمنع تداوله .. بل يجب ان تتدخل الحكومات ذاتها فتستورده مهما كان ثمنه لتضعه فوق رفوف المكتبات العامة والمكتبات المدرسية ، بل لتضعه فى الأسواق بارخص سعر ممكن .. كمحاولة لخلق لون من الوان وحدة الثقافة بين ابناء الوطن العربى .

ترجمة كتب الأطفال

مما لا شك فيه ان ادبنا الحديث كله مر فى البداية بمرحلة الترجمة والنقل والاقتباس وقد حاول الرائد كامل كيلانى ان يجتاز بنا هذه المرحلة بسرعة ، كما حاول سعيد العريان ان يقفز

بمرحلة التاليف ، ولكن هناك فجوة كانت تحتاج لبعض الوقت .. وكان لابد من عبور مرحلة ترجمة أمهات كتب الأطفال العالمية التى تشكل معالم حقيقية فى تاريخ ادب الاطفال عالميا ، لكن هذا التراث الانسانى الرائع غاب عنا ولم يصل الى ايدينا وايدى اطفالنا بالتالى ، إذ امتلات المساحة بالردىء من المترجمات فى بيروت ، والفاسد من البوليسات بجانب الطبعات العربية من المجلات السخيفة الاجنبية .. وبات من الضرورى وضع منهج متكامل لترجمة الشوامخ التى استمتع بها اطفال العالم ، جنبا الى جنب تشجيع المؤلفين لكى يستعيضوا عنها أعمالا جديدة تقودنا الى مرحلة الخلق والابتكار الكاملين .. وقوائم الكلاسيكيات والمؤلفين الحائزين على الجوائز العالمية فى ادب الأطفال خير ما يمكن أن يهدينا فى هذا السبيل لنفتح لاطفالنا نافذة على الأدب العالمى الجيد .. كما اننا نطالب اساتذة الجامعات بضرورة التصدى لكتاب تاريخ ادب الأطفال ، حديثا ، لأن الذى وصـل الى أيدى كتابنا قديم ، بل ان اغلبهم وقف عند هانز اندرسون والحكايات الشعبية وما من سبيل الى التطور إلا بمواكبة ما يجرى على الساحة العالمية بعد تجاوز مرحلة النقل والاقتباس التى مازلنا نعيشها مع الأسف .

وثمة ملاحظة ذكية ابدتها السيدة امل الشرقى ـ مديرة دائرة ثقافة الطفل بالعراق ـ ان بعض الكتب المنقولة لاطفالنا تعرب لكن رسومها تبقى اجنبية ، وبذلك تفقد نسبة كبيرة من تاثيرها على القراء ، وتكشف نفسها رغم تبديل أسماء ابطالها واختيار اسماء عربية لهم ..

والترجمة ليست عيباً ، ان الاتحاد السوفيتى يترجم سنويا بمعدل ٢٠٠ كتاب وتترجم الولايات المتحدة قرابة خمسين كتابا ، وتترجم انجلترا نحو ٢٥ كتابا .. كل منهم يريد ان يفتح النوافذ لأطفاله على ما يدور فى العالم ، كما ان هناك كما كبيرا من كتب النشر المشترك التى تتعاون دور النشر فى اصدارها بلغات مختلفة ، وإن اتفقت فى رسومها وشكلها ، وذلك تخفيضا للنفقات .. وهاملين فى انجلترا ، مثلا تصدر كتبها بخمس لغات فى وقت واحد : الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والايطالية .

والمشكلة الحقيقية اننا نختار اسوا الأعمال العالمية لترجمتها .. ودور بيروت فى هذا المجال يجب أن يذكر ، بجانب الطبعات العربية من المجلات الأجنبية (ميكى وتان تان ، وسوبر مان ، والوطواط ...) ويكفى ان نشير الى كم الكتب التى تصدر تحت اسم النشر المشترك ، وهى لا تتجاوز نقلها الى العربية برسومها دون ان يكون هناك اى لون من التبادل فينشرون باللغات الأجنبية جانبا من انتاجنا العربى للاطفال .. وقد تكون بعض الأعمال التى ترجمت فى هيئة الكتاب من الايطالية (دائرة معارف الحيوان ، قصص الحيوان الحديثة ، ... الخ) بجانب الكتب العلمية التى سبق ان اصدرها ماكميلان من افضل الاختيارات فى الناحية المعرفية . اما فى مجال الأدب فمازالت أيدينا قاصرة عن ترجمة الشوامخ ، وبالتحديد كتب الحاصلين على جائزة هانز اندرسون العالمية .

ترجمة كتبنا للأطفال

ما من بلد صغير فى عالمنا إلا ويحاول أن ينقل ادبه الى كل الدنيا ، بترجمته الى اللغات الأجنبية .. ثم هو يحاول أن يقدم تعريفاً بنفسه إلى أطفال العالم ..



ويكفى ان اذكر اننى احصيت منذ سنوات ما لا يقل عن سبعين كتابا بالانجليزية للاطفال عن اسرائيل ! ..

ولقد تنبه المرحوم كامل كيلانى ـ رائد أدب الاطفال ـ الى ذلك فى وقت مبكر ، لذلك قدم ترجمات لبعض اعماله كانت سبيلا للكثيرين لتعلم العربية ، وهم يعرفونه جيدا فى (طشقند) نتيجة لذلـك ..

كما أن دار الفتى العربي قدمت بعض قصصها وكتبها باكثر من لغة ولقيت اهتماماً كبيرا على مستوى العالم ..

ونحن نعرف ان الكتاب الغربي تقف وراءه مؤسسات ضخمة ، ودور نشر كبيرة .. بل هم الآن ينشرون فى لندن كتباً بالعربية .. وقصصاً لهم مترجمة للعربية .. وكانت مؤسسة فرانكلين الى عهد قريب تنشر عشرات الاعمال الأدبية لكتاب الأطفال الأمريكيين .. بعضها نشر فى القاهرة وبعضها فى بيروت وبغداد ..

كما اننا نعرف ، وسبق ان ذكرنا ان الكتلة الشرقية تقف وراء كتبها وكتابها ، وترجموا عشرات من الاعمال من بينها كتب تولستوى وماكسيم جوركي ومارشاك وغيرهم الى العربية وهي تباع باسعار رمزية وتلقى إقبالا كبيرا ...

والســـؤال ...

ـ من يقف بجانب الكتاب العربي ؟ اين هي الهيئة القومية التى تساند الكتاب العربي من اجل ان يظهر ؟ ثم من يقف معه لكي يترجم وينتشر على مستوى العالم كله ؟!

لسنا نملك الاجابة الصريحة على مثل هذه الأسئلة ، لأننا نحس من الأجهزة القومية والوطنية تقاعساً وإهمالا يحزننا ويقلقنا .. فلا نحن أقمنا دارا مشتركة لنشر كتب الاطفال ولا نهضت بلد بترولي بهذه المهمة الجليلة .

.... وبعـــــد ..

إن الأهداف واضحة والامكانات والموارد المتاحة ليست بقليلة ومن الميسور رسم استراتيجية لكتب الأطفال على مستوى الوطن العربي ، ومنها نضع الخطط والبرامج القومية والوطنية . ونستطيع فى يسر تنفيذها إذا ما تضافرت عناصر الوحدة والتعاون ..

إن الطفولة صانعة المستقبل ..

والكتاب هو صانـــع الطفولـــــة ...

عبد التواب يوسف

شوقي شاعرًا مسرحيًا

بقلم : حسين عثمان

مهما يكن اختلاف النقاد والمؤرخين حول مكانة امير الشعراء احمد شوقي ككاتب مسرحي .. وايا كانت الاجابة على اسئلة من نوع : هل اضاف امير الشعراء الى المسرح العربي جديدا بمسرحياته التى كتبها ؟ او هل كان المسرح سيفقد شيئا هاما لو لم يكتب شوقي تلك المسرحيات ؟ إلا أن النقاد والمؤرخين والجمهور المتذوق للمسرح لم ولن يختلفوا على ان شوقي كان له فضل الريادة الشعرية على خشبة المسرح العربي . وانه الشاعر الذى ارتقى بالمسرحية العربية من مرحلة الركاكة والسجع والحشو السقيم بالمبالغات والمحسنات والاستعارات ، والتذييل المطوط بماثورة القول والاستشهادات .. ارتقى بها من تلك الصياغة الهابطة الى نوع من السبك بالشعر الرصين ، والبناء اللغوى المحكم ، والكلمة ذات الشموخ والأناقة ، دون تكلف أو افتعال او شطط .





احمد شوقي



احمد شوقي مع سعد زغلول

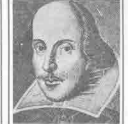
●●

ولقد عرف احمد شوقي طريقه الى المسرحية الشعرية فى أوائل عام ١٩٢٨ ، عندما نشرت الصحف انه شرع فى كتابة مسرحية عن حياة « كليوباترا » ملكة مصـر . وكانت فكرة الكتابة للمسرح تلح عليه منذ ان عاد الى مصر فى عام ١٩٠٠م ، حيث بدأ يكتب مسرحية « على بك الكبير » حينذاك . لكنه وجد أن الجو العام المحيط به لا يشجعه على الاستمرار فيما بداه ، فطوى مسوداته ، وآثر أن يستجيب لتقاليد البلاط ، ضاربا صفحا عن التاليف المسرحي ، وإن يكن فى ذات الوقت انصرف الى التاليف الغنائي حيث غنى له عبده الحامولي بعض القصائد التى تتضمن قصصا خرافية على السنة الطيور والحيوانات . كما استوحى التاريخ بعض قصائده مستهدفا منها استخلاص العبرة والعظة

لكن فكرة الكتابة للمسرح ظلت عالقة بطموحه الفني . عاودها عندما لمس نمو الوعي القومي ، وارتقاء ذوق الجمهور ، وارتفاع مستوى المسرح ، واتساع نفوذه ونشاطه وكثرة الاقبال عليه ، وتزايد حركة الدعوة للتجديد الادبي ، والتصدى للتقاليد الغثة فى عالم التاليف . كان عليه ـ وهو الذى دانت له إمارة الشعر العربى ـ أن يضرب بسهم فى هذا الميدان . لقد استهواه من المسرح الانجليزي السلسلة التاريخية التى كتبها شكسبير مشيداً بأعمال الملوك ، وتقديمهم فى إطار من الأبهة والجلال ، وتغليب عنصر الخير على الشر ، والفضيلة على الرذيلة . وهكذا اتجه شوقي الى كتابة مسرحيات يستلهمها من التاريخ الفرعوني ، والعربي ، والاسلامي ، مستهديا بتقاليد المسرح الأوروبي ، وبخاصة مؤلفات شكسبير التاريخية .

●●

أول ما كان يعنى به احمد شوقي ،



وليم شكسبير




فاطمة رشدى



يوسف وهبى



لوحة على قبر شوقى مهداة من جمهورية الارجنتين

هو : اختيار الموضوع . فاذا اهتدى إليه هرع الى أهم المراجع التى يستقي منها بناء هيكل المسرحية . فاذا انتهى من بناء الهيكل ، اسرع الى سكرتيره الخاص يملي عليه سياق المسرحية .

ولم يكن شوقي يقيد نفسه اثناء الكتابة بتسلسل المشاهد فى الصورة التى سوف تتتابع بها على خشبة المسرح . كان يستجيب لومض المشاهد فى رأسه ــ بغض النظر عن ترتيبها المنطقي ــ فيكتب الفصل الثاني ــ مثلا ــ قبل الفصل الأول ، أو المشهد الأخير فى فصل من الفصول دون أن يكتب بدايته . فاذا اتم المسرحية كتابة ، قام بترتيب الفصول والمشاهد بعد الحذف والتعديل والاضافة . وحين يطمئن الى ما انتهى من كتابته ، يدفع بالنص الى المطبعة ، حريصاً على أن يقوم بنفسه بعملية التصحيح ، ومراجعة البروفات النهائية قبل الطبع . ثم يأمر بطبع مائتي أو ثلاثمائة نسخة . وكان فى معظم الأحيان يقضي اليوم كله داخل أقسام المطبعة لمراقبة عملية إعداد النسخ وتغليفها ، إذ كان لا يسمح ان تتسرب نسخة واحدة منها . ثم هو بعد ذلك يحمل الكمية المطبوعة الى مكتبه « فى بناية الدائرة الشوقية » التى يدير منه املاكه الواسعة ، ويلتقي فيه كذلك بالأصدقاء من الأدباء والشعراء والنقاد . وكان يحتفظ بالكمية المطبوعة من المسرحية ، الى أن يقع اختياره على الفرقة التى ستمثلها ، وهي عادة واحدة من فرقتين : فرقة فاطمة رشدي او فرقة يوسف وهبي . وبنفسه يقوم بتوزيع النسخ على الممثلين . ولا يترك بروفة واحدة دون أن يشاهدها متقصياً كل ما تتطلبه المسرحية من إعداد فني .. الملابس ، والديكور ، والاضاءة ، وتدريب الممثلين على النطق السليم . وقد حدث فى مسرحية « قمبيز » أن بلغت ميزانية الملابس فقط الفي جنيه ، ولاحظ أن يوسف وهبي يحاول اختصار هذه الميزانية ، فقام بدفع المبلغ كاملا حتى يتم إخراج المسرحية فى الصورة التى تخيلها كمؤلف .

• •

فى عام ١٩٣١م اقيمت مباراة للتاليف المسرحي ، فتقدم شوقي لهذه المباراة بثلاث مسرحيات هي « علي بك الكبير » وكان قد اعاد كتابتها بعد أن نضج كمؤلف مسرحي . كما تقدم بمسرحيتي « قمبيز » و « أمير الأندلس » والأخيرة كتبها بالنثر خصيصاً لفاطمة رشدى . وقد وضع لنفس الممثلة مسرحية فكاهية واحدة هي « الست هدى » . وكان شوقي يذكر للمحيطين به ولأبطال المسرحية انها واقعية ، وانه شاهد حوادثها بنفسه فى طفولته ، وان بطلتها كانت تسكن بجوار منزل والده فى حي « الحنفي » القريب من حي السيدة زينب ، وأن تلك البطلة كانت تحب شوقي وتخصه بالهدايا كلما جلس إليها فى بيتها حيث وقعت حوادث المسرحية .

• •

والمعروف أن بعض المسرحيات التى كتبها شوقي للمسرح ، ترجمت الى اللغة الانجليزية مثل « مصرع كليوباترا » التى قامت بترجمتها المستشرقة الانجليزية « مسز ريكن » كما ترجم مستشرق انجليزى أيضاً مسرحية « مجنون ليلى » عقب أن شاهدها خلال زيارته لمصر سنة ١٩٣١ ، وطبعها فى كتاب ، وكتب لها مقدمة ضمنها تاريخ مؤلفها احمد شوقي وحلل قصة المجنون ، وقارنها بما ورد عن المجنون فى كتاب «الأغاني» ، ورجح اعتماد شوقي على هذا الكتاب ، ومدللا على رأيه ببعض حوادث مسرحية « مجنون ليلى » ومطابقتها بما جاء فى قصة المجنون فى كتاب « الأغاني » . وقد جاء فى هذه المقدمة « أن لقصة المجنون وليلى شهرة فى العالم العربي ، وانها رويت من زوايا كثيرة ، وكتبت باساليب مختلفة ، ولكن احمد شوقي

تميز عن غيره ممن كتبوا هذه القصة بقوة الابتكار» . وذكر المترجم أيضا في هذه المقدمة «ان بعض المستشرقين الذين بحثوا في اضابير التاريخ العربي يميلون إلى ان قصة ليلى والمجنون خرافة لا أساس لها من الصحة . كما ان «الأصفهاني» صاحب كتاب «الأغاني» يصر على أن جمهرة من الثقات تجزم بانها قصة من نسج الوهم وصنع الخيال . ولكن الشاعر احمد شوقي يؤمن بصحتها ويؤيدها بالحوادث والأشخاص» .

وقد قوبلت «مجنون ليلى» باعجاب كبير من المشاهدين خاصة عندما مثلتها فرقة رمسيس في رحلة فنية قامت بها الى البلاد العربية . كما ان فرقة فاطمة رشدي أعادت تمثيل «مجنون ليلى» بعد أن وقع خلاف بينها وبين يوسف وهبي وقدمت عروضا لها في العراق وسوريا ولبنان والمغرب وتونس .

وفي تونس شاهدها المخرج السينمائي القديم ركسي انجرام فاعجب بها ، وابدى رغبته في أن يحولها الى فيلم سينمائي ، وقد زار مصر خصيصا لمقابلة «شوقي بك» لكن المنية كانت قد وافت شوقي قبل وصول المخرج السينمائي باسابيع قليلة !

ومن طريف ماوراه المرحوم الدكتور زكي مبارك عن مسرحية «مجنون ليلى» ان شوقي كان يؤلفها بينما يده في يد الدكتور زكي مبارك وهما يسيران من شارع جلال المتفرع من شارع عماد الدين حيث كان يقع مكتب «دائرة شوقي بك» الى شارع شبرا ، الى شارع روض الفرج ، إلى شارع قصر النيـل .

ويقول الدكتور زكي مبارك أيضا :

« كان شوقي بك يسمعني ما ينظمه ، فاصحح ، وكان يغتاظ من التصحيح . وإن اقتنع بانه مخطىء حين أطلق على غريم المجنون اسم «ورد» ، فقد قلت له ان «الورد» ليس زهرة وإنما هو احد اسماء الاسد . وذكرت له بيت البحتري الذى يقول فيه :

مالكلب محموما وإن طـال عمـــره
ولكنهـا الحمـى على الأسـد الورد

وعندئذ قال شوقي : لقد افحمتني ولكنني لن أسمع لك ، فأنا أمير الشعراء

فقلت وانا مبتسم : الأمر أمرك يامولاى .

فقال : الأمر للـــه من قبل ومن بعد ، وإلى الله وحده المصير .

● ●

كان اقصى ما بلغه المسرح الشعري حين بدا شوقي يكتب مسرحياته الشعرية ، نوعا من « الأوبريتات » التى نظمت شعرا باللهجة العامية ، ومسرحيات اخرى نظمها كاتبوها باسلوب ركيك ، لا يهتم بغير اظهار الموسيقى والألحان والديكورات والملابس ، دون العناية بابراز المعاني ، وجماليات اللغـــة .

فلما قدم شوقي مسرحياته باسلوبه الناصع الجميل ، انتقل جمهور المسرح إليه ، على الرغم مما حملته مسرحياته من طفرة كبيرة في الارتفاع بمستوى الفكرة عند المتفرجين .

احمد علام «مجنون ليلى»



● ●

بعض مسرحيات شوقي لم تصادف النجاح الذى صادفته مسرحياته الأخرى ، مثل «مجنون ليلى» و «مصرع كليوباترا» و «قمبيز» و «على بك الكبير» و «الست هدى» .

والذين عاصروا عرض مسرحيتي «مجنون ليلى» و «كليوباترا» يؤكدون انهما بلغا اقصى درجات النجاح الجماهيري .

ومما يذكر ان مسرحية «قمبيز» عندما عرضت بعد «مصرع كليوباترا» واجه شوقي هجوما عنيفا من بعض النقاد . فقد لاحظ هؤلاء النقاد ان شوقي لم يقدم في هاتين المسرحيتين «مصـر» الفاتحة المنتصرة القاهرة . وإنما قدمها في صورة الدولة مهيضة الجناح ، التى تستقبل الغزاة من الرومان والفرس ، وهي تجار بالشكوى وتستصرخ من ينقذها مما تردت فيه من هوان .

كانت «مصر» أيامها تعاني من الاستعمار .. وقد دافع شوقي عن وجهة نظره في المسرحيتين ، بأنه يريد ان يستحث الشباب على مواصلة الجهاد والكفاح .

ومن الواضح ان شوقي إنما يريد ان يربط بين الماضي وبين كفاح المصريين ضد الانجليز في الزمن الذى ظهرت فيه هاتان المسرحيتان .

● ●

بقي أن نقول إن مسرحيات شوقي جميعها كانت تشق افقا جديدا للشعر العربي وللمسرحية العربية . وقد يسدل النسيان ستائره على بعض قصائده في المراثي والمدائح .. لكـن شعره المسرحي لن ينسى أبدا ، لأنه أول تراث قومي في عالم المسرح الشعري العربي .

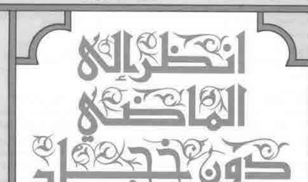
حسين عثمان



ماضينا الجليل
ليس عورة
فنسترها
ولا جريمة فننكرها



مقتطفات مما كان
يقرؤه منذ ١٠٠ عام
جد أبيك
أو جد جدك



مجلة ثقافية
علمية أدبية
صناعية
زراعية



لمنشئها
ومحررها
صلاح الدين
المقريزي

مصنع للغزل والنسيج فى القاهرة فى القرن التاسع عشر.

في هذا العدد:

- تاريخ بابل وآشور
- المدافع لا تقرأ القرآن
- باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال
- باب الأخبار العلمية

العدد السابع - ديسمبر/كانون أول ١٨٨١م

عزيزي القارئ ..

المدافع لا تقرأ القرآن

فى ديسمبر عام ١٨٩٨ زار المؤرخ العربي المعروف عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، المقر العلمي للحملة الفرنسية ، حيث احتشد « عقل فرنسا » الذى احضره الغازي نابليون بونابرت معه ، يضم علماء فى التاريخ والادب والحشرات واللغات والطب والهندسة والكيمياء ، ومصورين وجغرافيين ومهندسين وفلاسفة ، وكانه يعلن ان الشعوب لا تقهر بالخيول فقط ، ولكن اساسا باحتلال العقول !

وتجول الشيخ الازهري ، فى ابهاء المجمع العلمي الفرنسي ، يتامل المكتبة التى نظمت فيها الكتب على الرفوف ، والقراء على المناضد ، يتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العسكر ، واستقبله المشرفون على البعثة بالبشاشة والضحك ، واطلعوه على ما لديهم من كتب ، واجروا امامه تجربة كيميائية نتجت عنها فرقعة ارتجف لها المؤرخ العربي ، فخرج ليكتب ان الفرنسيين « لهم تطلع زائد للعلوم واكثرها الرياضية ، ومعرفة اللغات والمنطق ، ويدابون فى ذلك الليل والنهار » . وتحدث بدهشة عن تفوقهم فى العلوم الطبيعية ، وختم تعليقه قائلا بتواضع ـ وبعض تضاؤل ـ ان للفرنسيين فى تلك العلوم : امورا واحوالا وتراكيب غريبة ينتج عنها نتائج لا تسعها عقول امثالنا » !

وبعد هذا التاريخ بعامين ، كان الجبرتي عضوا فى الديوان ، او مجلس النواب المصري الذى عينه الفرنسيون ، ورفع التجار الاسعار ، فدعا المشرف الفرنسي على الديوان ، الاعضاء لمناقشة الامر ، وهددهم بانهم سيكونون مسئولين إذا لم تنخفض الاسعار ، وقرا منشورا يهدد بعقوبات وغرامات عامة إذا تحرك المصريون او ثاروا على الجيش الفرنسي الذى كان يستعد ـ آنذاك ـ للجلاء عن مصر !

وحول موضوع « العقوبات العامة » ـ دار الحوار بين اعضاء الديوان من العرب المصريين ، المتخلفين ، الذين لا تتسع عقولهم لادراك ما يجري فى مقر البعثة العلمية ، وبين الجنرال الفرنسي الذى جاء يرفع اعلام الحرية والاخاء والمساواة ، والقانون والديمقراطية..

قال بعض الحاضرين :

ـ العقلاء لا يسعون فى الفساد .. وإذا قامت الفتنة لزموا بيوتهم !

فقال الوكيل :

ـ ينبغي للعقلاء ولامثالهم نصيحة المفسد وغيره .

قال بعضهم :

ـ هذا ليس بجيد ، بل العقاب لا يكون إلا على المذنب .. فقد قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة !

وقال اخر من اهل المجلس :

ـ ولا تزر وازرة وزر اخرى !

فقال الوكيل مشيرا الى ما جرى فى ثورتي القاهرة ضد الفرنسيين :

ـ المفسدون فيما تقدم اهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبندقيات ـ اى القنابل ـ ليس لها عقل حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فلتها لا تقرا القران .. !..

وهكذا انتهى هذا الحوار العجيب ، بين الذين جاءوا بكل شعارات العصر : الحرية والديمقراطية وشخصية العقوبة واعاجيب الكيمياء ، فخانوا فى اللحظة الاولى لتحولهم الى مستعمرين . كل هذا .. وبين مجموعة من المشائخ لا تسع عقولهم الكثير مما جاء به الغزاة ، لكنها استطاعت ان تعلمهم !

صلاح الدين المقريزي

باب المقالات المقتطف

● ماضر زعماء هذه الامة ، لو سارت بينهم الرسائل بتعيين الوسائل ، ثم حشدوا إلى مكان يتذاكرون فيه ويتحاورون ثم ينادون باصوات متفقة المقاصد كانها من فم واحد .. هلم ننشد الضالة ونطلب المنشود ، فلا يقوم بامر ذلك فئة دون فئة ، ولا نتعصب لمذهب دون مذهب ، فنحن فى الوطن إخوان تجمعنا جامعة اللسان.

فلنحتشد فى اجتماع منزه عن المقاصد الدينية .. منحصر فى العصبية الجنسية والوطنية ، مؤلف من اكثر النحل العربية ، يزلزل الدنيا اضطرابا ، ويستميل الدول جذبا وارهابا ، فيعود للعرب الضالة التى ينشدون ، والحقوق التى يطلبون ولا خوف على زعمائهم ولا يحزنون !

أديب اسحاق

وأسفاه ....

اين كنا .. واين صرنا الآن ؟ اين مدارسنا ، اين علومنا ، اين كتبنا ، اين مكاتبنا ، اين تجارتنا ، اين زراعتنا ، اين صناعتنا ، اين ثروتنا ، اين قوادنا ، اين اكابر رجالنا ، اين محبو اوطاننا ، اين الرغد والراحة والكرامة التى كنا فيها ..

لقد صار ماكان اثرا بعد عين ..

وكثير منه صار لا اثر ولا عين !

هل يصطلح العرب ؟ . هل يقيم لهم الدهر عزاء ، هل يكلل النجاح جباههم ، وهل يطلع فى مشرقهم بدر العلم .. لابد من ان يرجع بنا الزمان الى الافق الذى حجبته عنا غيوم السياسة ، ودفعتنا عنه صواعق القوة والانشقاق ، إن من ينتبه يسمع دمدمة وغطيطا وزئيرا بعيدا ، يكاد لا يسمعه من انهمك بالترحيب ببلابل الحرية وبروق التمدن ، فالامة كمريض سئمت نفسه الامل بحيث صار يتغذى من شحمه ولحمه ، وقد كثر فينا الوعاظ والمنذرون ، ولكن ماذا ينفع الوعظ من دون عمل .. وماذا يفيد الانذار إن كنا كمن يضرب فى حديد بارد .

بطرس البستاني

الجنان ـ بيروت ـ مارس (آذار) ١٨٧٠

عادة شرقية ومقابلها غربية

بقلم أحد ابنائنا النجباء

من عادة الشرقيين انهم عندما يتداعون لوليمة يجتمعون حول المائدة وياكلون قل عددهم او كثر لايراعون فى ذلك اعتقادا فاسدا إذ ليس ثم ما يمنعهم من تناول الطعام .

اما حضرات السادة الاورباويين الذين نتعلم لغتهم لنجد بها فضل لغتنا المهجورة على ما

يقول بعض الـ ... فان لغاتهم هي الفصحى وبدونها لا يمكننا ان نتقدم ولا نحصل التمدن فنجيبهم اننا لا ننكر ان اغلب العلوم تؤخذ الان من لغاتهم لكن من تامل فى ماضيهم وعرف تاريخهم علم انهم كانوا جهلاء يتخذون من الجبال بيوتا فكان من المستحيل عليهم ان يفهموا حتى كلمة علوم وحينئذ كان الشرق صاحب المقام الاعلى على وجه الكرة وكانت

اللغة العربية هي المالكة وكانت بها تدرس العلوم فى جميع انحاء الممالك ولم تزل صاحبة الصولة إلى ان فقد بعضها من الاهمال وغيره فكانت على كل حال هي المتقدمة والفضل للمتقدم ولا ينكر فضل اللغة العربية إلا من طمس على عينيه وكان على بصره غشاوة وعمى عن طريق الحق فلو زلق لسانه بالقدح فى لغتنا وجحد حقوقها فهو معافي من الملام إذ ليس على الاعمى حرج .

اما من عرف الحقيقة فانه لا ينكر اننا لو اتبعنا كل نصائح العرب ما ضللنا عن سواء السبيل وما لحقنا احد فى التمدن . اما

الاورباويون فانهم رغما عن كونهم عرفوا كل لغتهم وعلموها وتمدنوا لم تزل التخاريف ببلادهم فانهم مع ادعائهم التمدن لم يجتنبوا بعض الاعتقادات الفاسدة التى تنزه الشرق عن مثلها ومن انكر هذا القول نقص عليه العادة الغربية المقابلة للعادة الشرقية التى اسلفنا ذكرها وهي :

إذا عمل احد الغربيين وليمة ودعا اليها احدا ابتدا قبل الاكل بتعدادهم فان كان عددهم اقل او اكثر من ثلاثة عشر تقدموا واكلوا وإن كان ثلاثة عشر تماما لا يتقدمون للاكل حتى ينقصوا او يزيدوا فاذا راى صاحب الوليمة انه لا يمكنه ان يخرج احد المدعوين التزم بالجلوس فى محل اخر بعيد عن مكانهم حتى ياكلوا وليس عندهم من يؤنسهم والسبب فى عدم تقدمهم كلهم للاكل عند ذلك انهم يعتقدون حلول المصائب بمن دعاهم إذا كان العدد ثلاثة عشر فهل لا نجل الشرقيين عن مثل هذه العادة القبيحة نعم نعم فانهم لو سمعوا بها لاشمأزت نفوسهم من هذا الاعتقاد الباطل إذ انهم يعلمون انه إذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون .

فانظر ايها الانسان الكامل الى هاتين العادتين وحدثنا ايهما تستحسن لنكون مشاركين لك فى اي الصفتين تشاء فالتمدن اليوم هكذا وإلا فلا لا .

كتبه ولدكم

مصطفى ماهر



عـــادة شـــرقـيـــة

من المعتاد بين رجال الشرق انه إذا تخاصم اثنان وتشاجرا وجدا فى الحال من يصلح بينهما ويقطع الشقاق الحاصل بحيث يعودان للاخاء والصفاء كان لم يكن بينهما ادنى نزاع ولا شقاق .

وعادة الغربيين : (الأوروباويين) إذا تشاجر اثنان اعلن احدهما الاخر (بالبراز الدوبل) وعينا نوعاً من السلاح ووقتا يقتل فيه احدهما صاحبه او يجرحه واقبح براز براز الدولة المتمدنة العظيمة (أمريقا) فانه عند اتفاق الخصمين على البراز يحضر احد رجال الحكومة ويربط عينيهما بحيث لا يبصران شيئا ثم يضع الة نارية (ليفرفير) جهة اليمين واخرى جهة اليسار ويضع فى احداهما رصاصا وكبسونا ويرفع الزناد وفم العيار فى فمه فيموت صاحب الرصاص وينجو الاخر وإن كان هو الجاني . فاي تمدن بعد هذه الافعال التى تاباها الطباع . نعم ان هذه العادة كانت فى الشرق قبل وجود الممالك والشرائع ووضع القوانين ثم نسخت كان لم تكن فما بال الغربيين لا يقلدوننا فى تركها كما قلدونا فى فعلها ايام جاهليتنا الاولى على ان عادة جاهليتنا كانت المبارزة بالسيف او الرمح على ظهر الخيل او الارض فلا يتمكن احد من رفيقه إلا بالشجاعة واتقان الرمي او الضرب لا ان تربط عيناه ويعطي له قاطع اجله يزدرده كما يزدرد الشراب ثم بعد هذا كله نحن المتوحشون وهم المتمدنون ولا نقدر على دفع الدعوى لاستحساننا كل ما اتوا به وإن كان قبيحا فى الواقع ونفس الامر .

باب الأخبار العلمية

مسافات أسلاك الأخبار

ورد فى النشرة

بلغت مسافة اسلاك الاخبار فى الولايات المتحدة فى امريكا مائة وسبعين الف ميل ومائة وثلثة اميال وارسل بها فى تلك السنة ثلثة وثلثون الف ومائة وخمسة وخمسون الفا وتسعمائة وواحد وتسعون خبرا وغير ذلك اسلاك كثيرة مختصة ببعض الأمكنة بلغ مجموع مسافتها ثلث مائة الف ميل . هذا سوى الأسلاك المعلقة باعمال الطرق الحديدية . وبلغت مسافات اسلاك روسيا ستة وخمسين الفا ومائة وسبعين ميلا . واسلاك جرمانيا واحدا واربعين الفا ومائتين وواحدا وثلثين ميلا واسلاك فرنسا ستة وثلثين الفا وتسع مائة وسبعين ميلا . واسلاك هنكاريا أوستريا ثلثين الفا واربع مائة وثلثة اميال . واسلاك اوستراليا ستة وعشرين الفا وثماني مائة واثنين واربعين ميلا . واسلاك بريطانيا العظمى ثلثة وعشرين الفا ومائة وستة وخمسين ميلا . واسلاك املاك الانكليز فى الهند ثمانية عشر الفا ومائتين وتسعة اميال . واسلاك بلاد الترك سبعة عشر الفا وخمسة وثمانين ميلا . واسلاك ايطاليا خمسة عشر الفا وثماني مائة واربعة وستين ميلا .

فوائد التليفون

قد استعملت الة التليفون فى اعمال العدلية بالولايات المتحدة استطلاعا لكلام المحابيس وهم فى الخلوة وقد ظهرت فوائد هذه الالة فى نيويورك فان الممتحنين قد وضعوا (الميكروفون) داخل حائط مكان من السجون وسدوا المنفذ اليه بورقة ملساء دقيقة المسام لا تكاد ترى ولم يحتج في وصول الصوت الى وضع فم المتكلم على طرف الالة ثم جيء بالمشكيين الى المكان المذكور وخلي بينهم وبين اهليهم فاخذوا يكاشفون باعمال الجناية ويوضحون كيفية ارتكابها ولم يدروا ان خلف الجدار خفيرا يتسمع عليهم بواسطة التليفون وهكذا اطلعت الحكومة على خفايا يتعذر الاطلاع عليها بدون هذه الالة

(المصباح)

إعــلان

الاجزاخانة المصرية الكائنة بالازبكية بمنزل منشا امام شارع كلوت بك موجود بها كافة اصناف الادوية العال الجديدة وإذا لزم لاحد ادوية خصوصية فيصير احضارها من العال وباقل الاثمان .

٩/٤/١٨٨١م

التـنكيت والتـبكيت

صحيفة وطنية اسبوعية ادبية هزلية . صاحبها ومحررها الاديب عبد الله افندي نديم ومكتب ادارتها مكتب جريدتي العصر الجديد والمحروسة بالاسكندرية وقد رأينا فى العدد الاول الذي ورد علينا منها المقالات الادبية والهزلية الانتقادية ما تقدر له كبير الفائدة لان اسلوبه خير اسلوب يدعو الوطنيين الى الاقلاع عما به ضيرهم والتمسك بما به خيرهم .ومما سرنا فيها بنوع خاص شروط الاشتراك : وفق الله محررها الفاضل الى بلوغ امانيه .

الآثــار المصريــة الجديــدة

وجدت هذه الآثار فى ناحية القرنة التى على راس الجبل الغربي ناحية «تيبتة» القديمة او (الاقصر) الحالية ضمن منزل بعائلة فلاحية تعرف بعائلة بيت الرسول . اما كيفية الوصول اليها فكانت ان صاحب العائلة المحكي عنها اكتشف من مدة سنوات على بعض الأثر فكتم الأمر عن الغير واخذ ان يتصرف بمبيع بعض ما يجده من الآثار الى السياح وخلافهم على علم من اخيه المدعي احمد محمد فصودف ان وقع خلاف بين الاخوين فشكا هذا امر ذاك لمديرية قنا والمديرية ارسلت توا من قبلها المندوبين اللازمين الى المحل المعين للتحفظ على ما هناك حتى يقدم مندوب المتحف حسبما طلبت منها فاتى حضرة بيركش بك وكيل المتحف وفتح ابواب المحل المذكور فرأى حفرة كالبئر عمقها عن وجه الأرض نحو ١٥ مترا وفى قعرها باب ضيق داخله محل يضاهي اتساعه نحو ٧٠ مترا فى جوف الجبل يحتوي زهاء ٤٣ صندوق خشب فى غالبيتها جثث اموات .

اما هذه الصناديق ففيها ٣٨ مزخرفة من الخارج بالرسوم الغريبة والصور البديعة مموهة بالادهان الذهبية والمختلفة الالوان وضمنها جثث ملوك اربع عائلات من ملوك الدولة الثامنة والعشرين فى جملتها جثث الملوك رمسيس الثالث و تتمسس وبانيونيتم وزوجاتهم ونحوها وكلها محنطة محفوظة كما هي .

اما بقية الصناديق فمنها ما فيه جثث بعض رجال الدولة المذكورة ومنها ما فيه بعض اشياء كلية وقطع تصاوير من حجارة وخزف وخشب .

ولقد اكتشف ايضا على اربعة كتب تاريخية بالخط المصري القديم تتضمن اخبار واحوال رجال الدول المنوه عنها وهي من ورق الابيروس المصنوع من ورق الموز والبردي ، وكل كتاب من هذه الاربعة ورقة واحدة يساوي طولها عشرة اذرع تقريبا وعرضها مقياس شبرين ووجد كذلك ستارة من جلد ملونة بالاشكال المنوعة ومرسوم عليها صور غريبة وكلها مسطرة بالكتابة والوان الخط المحرر فى الكتب والستارة حمراء وسوداء

ومما شوهد من الآثار علب عديدة مجعولة من الابنوس وسن الفيل معا محكمة الصناعة والاتقان مزخرفة مزدانة باختلاف الاشكال فيها احشاء الملوك التى كانت تستخرج اجوافهم لفعل التحنيط .

(الأهـرام)

باب أشــهر الحوادث وأعظــم الرجـــال

بطـــرس البســـتاني ١٨١٩ - ١٨٨٣

● عالم لغوى واديب ومترجم وصحفى .

● ولد فى لبنان وعمل بالتدريس والترجمة

● فى عام ١٨٦٠ اصدر اول صحيفة عربية فى الشام هى «نفير سوريا» .

● اصدر مع ابنه سليم مجلات وصحف الجنان (علمية ادبية) والجنة (سياسية) «والجنينة» (تجارية اقتصادية) .

● كان موسوعى الثقافة ، اهم اعماله : محيط المحيط (جزءان) وهو معجم لغوى ادخل فيه بعض المصطلحات العلمية التى جدت في اللغة العربية ، ودائرة معارف البستانى ، وهى الاولى من نوعها فى اللغة العربية ، وقد الف منها ستة مجلدات واكملها ابناؤه الى احد عشر مجلدا . فضلا عن تحقيق لديوان المتنبى .

● الجنان : ١٨٧٠ — ١٨٨٧م

● مجلة علمية ادبية سياسية تاريخية نصف شهرية .

● صدر العدد الاول منها فى يناير ١٨٧٠ ببيروت واتخذت لها شعارا «حب الوطن من الايمان» .

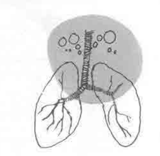
● نالت الجنان عناية احمد مدحت باشا المعروف ببطل الدستور العثمانى حين كان واليا على سوريا فكان يزور بطرس البستانى فى مجلته ويبث افكاره الاصلاحية بواسطتها .

● كانت تبشر بالافكار العلمانية والديمقراطية وتدعو للاخذ بالعلم والصناعة .

● كان سليم البستانى — الابن الاكبر لبطرس — ينشيء اكثر مقالاتها ولاسيما التاريخية والسياسية والروائية ، وقد نشر فيها كتابيه «تاريخ عام قديم» و «تاريخ فرنسا الحديث» . وقد انتقل اليه امتيازها عقب وفاة والده ، ثم انتقل لشقيقه نجيب البستانى . حتى توقفت الجنان بعد ان عاشت ١٧ سنة .

● نشرت مقالات وابحاثا لكل علماء العصر ومنهم : اليازجى والدحداح واديب اسحق وجميل مدور .

رئــة كيماويــة



كل الطرق التى استنبطها الانسان لتنقية الهواء فى الاملكن التى يفسد هواؤها مبنية على مبدأ إبدال الهواء الفاسد بهواء نقي كما يحصل من فتح النوافذ التى يجري الهواء فيها جريا مستديما . وقد جاء فى جريدة اللنست حديثا ان الدكتور نيل ارتاى تنقية الهواء باستنباط طرق كيماوية لا ميكانيكية مثل التى سبقت الاشارة إليها . واستنبط طريقة تشبه الرئة فى عملها . ووجه الشبه بينهما ان الرئة تتناول الاكسجين من الهواء وطريقته تتناول الغازات السامة اي الحامض الكربونيك والغازات الكبريتية من الهواء ولذلك سميت رئة كيماوية . إلا ان الرئة الحيوانية تتناول الاكسجين من الهواء وترد إليه الحامض الكربونيك واما هذه الرئة الكيماوية فتتناول الغاز السام من الهواء ولا ترد شيئا إليه .

وتحرير العبارة ان الدكتور نيل المذكور مزج الحامض الكبريتوس بالماء فى قارورة فمثل بذلك الهواء الفاسد فى بعض الاماكن . ثم صب على هذا المزيج قليلا من مذوب الصودا الكاوية وهزه بضع ثوان فزالت رائحة الكبريت منه . ثم عاد فاجرى فى القارورة مجرى من غاز الحامض الكربونيك حتى صارت إذا ادخلت شمعة إليها تنطفىء حالا من كثرة الحامض الكربونيك فيها وهزها قليلا فتناولت الصودا الكاوية الحامض الكربونيك من القارورة حتى صارت إذا ادخلت اليها الشمعة لا يبقى ضوؤها لامعا . ثم ابدل الصودا الكاوية بمذوب الكلس الكاوي فكانت النتيجة واحدة فى الاثنين . وعلى ذلك اشار بان كل قطار من قطارات السكك الحديدية التى تحت الارض يصحب بحوض او حياض فيها مذوب الصودا او الكلس الكاويين بحيث يمر دخانه فيها قبلما يخرج الى الهواء فيتنقى من كبريتــه والحـامض الكربونيـــك الـــذى فيه فلايسمم الهواء فى الطرق الضيقة التى يمر القطار فيها تحت الارض ولا يلحق بالركاب ضررا .



تنبيه

لقد بعثنا الى اوربا بطلب ورق للجنان اجود من ورقه الحالي فكان من مامولنا وروده قبل صدور هذا الجزء فابطا ولذلك اضطررنا ان نصدره قبل فوات تاريخه على رجاء ان يصدر فى اول السنة متحليـا بالـورق الجديـد وبغاية الاتقـان والترتيب .

ثم اننا نسال فضل علمائنا وادبائنا فى ثغر بيروت وفى الشام وحلب والعراق ومصـر وبقي البلاد العربية ان يطرفونا بنفائس اقلامهم وبدائع كلامهم على اختلاف الموضوع من منظوم ادبي ومنثور لان الجنان على اكمل استعداد واتم مراد لتلقى مكاتباتهم العالية القدر والبالغة من النفاسة در البحر ومن الرونق والطلاوة وجه البدر بواجب الثناء والشكر لا برحـوا للفضل سواد عينه وللعلم مبعث نوره ومجلي ظهوره .

المفيد

بدائع اداب ابرزتها الافكار الحرة بعد الاستتار وايات بينات نطقت بها السنة الوطنية الحقة فتقلدتها الطروس عقودا . تلك صحيفة عربية وطنية وجريدة ادبية سياسية تطبع في محروسة مصر يحررها صديقنا الفاضل حسن افندي الشمسي وصاحب امتيازها الكامل الاريحي مصطفى افندى نجيب وقد اشرق علينا طالع العدد الاول منها فاستضأنا بنور مطالعته فاذا هو كاسمه (المفيد) فلا نلبث ان نراها إن شاء الله تعالى رافلة فى حلل النجاح سائرة بابناء الوطن مسري الهداية الى سواء السبيل فقد دعا داعي الجنسية البها حي على الفلاح فخير الكلام المفيد .

دستور جمعية باكورة سورية وخطب بعض أعضائها

هي رسالة انيقة تحوي قوانين هذه الجمعية الاساسية والفرعية وست خطب مما انشاه بعض اعضائها . الاولى فى الغاية التى خلق الانسان لاجلها والثانية فى تهذيب العقل والثالثة فى الكتب ومطالعتها والرابعة فى الارتقاء والخامسة فى حياة الانسان وواجباته والسادسة فى حقوق النساء .

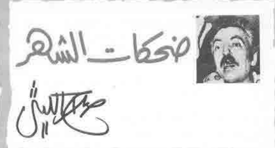
والحق يقال إن منشئات هذه الخطب قد سابقن اكثر رجال سورية فى مضمار العلم والتهذيب فاحرزن قصب السبق . فنهنىء البلاد بهن ونتمنى لجمعيتهن دوام الارتقاء .

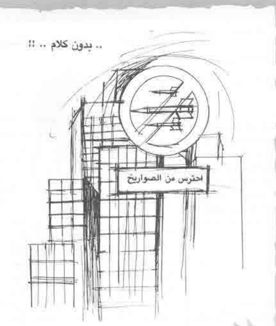
تاريخ بابل وآشور

قد سرنا ما لقيه تاريخ بابل واشور لجميل افندي مدور من حسن القبول عند العموم كما يشهد به لسان حال الجرائد المحلية والاجنبية . اما فوائد هذا الكتاب فقد لمحنا اليها قبل طبعه فى المقتطف وبراعة مؤلفه تشهد لها صفحات الكتاب نفسه . وحسبنا شهادة على ذلك بعض ما قالته جريدة التقدم الغراء وهو :

وليس نفع هذا الكتاب مقصورا على الموضوع التاريخي فقد وقف عليه صديقنا الفاضل اللغوي الشيخ ابراهيم اليازجي ايده الله فهذب عبارته وصحح مبانيه فجاء نقيا من الكلف بريا من الكلف قريب اللفظ على بعد مرامه كثير الفرائد على استمرار نظامه لا يمله القارىء لفظا ولا يالوه الطالب حفظا فما ندري ونحن بين فوائد تاليفه وفرائد تحريره اهو كتاب تاريخ لبيان حوادث الزمان أم كتاب ادب لا يبلى جدته الجديدان . اجل لقد نظمت فيه الحاشيتان وادركت الغايتان فليطلبه من رام من التاريخ بيان علم وليلتمسه من رام من الأدب علم بيان .

وهذا الكتاب مطبوع فى مطبعة الامريكان وهو يباع ثم بنصف ريال مجيدي .





.. بدون كلام .. !!



.. بدون كلام .. !!



.. بدون كلام .. !!



شمسية ... صيفي .. !!



استعمال الطاقة الشمسية فى بعض بلدان الشرق الأوسط !!

WATER PROOF

طبيب – افتح بقك وطلع لسانك .. واكدب .. !!

شاري لبائع -عندك دوش أجرب الشمسية قبل ما اشتريها



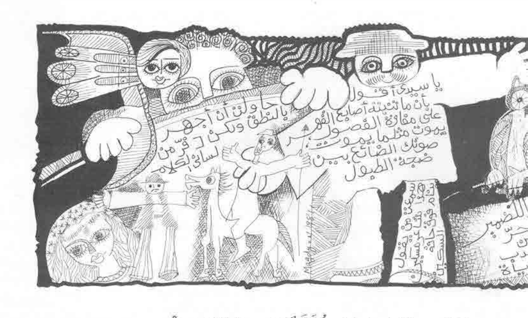
حدث في ليلة شتائية

شعر: م. كجراي

عدتُ من الرحلةِ محمولاً على مَحَفَّةِ الأثير
كنت كمن يصعدُ فوق سُلَّم المعراج
قال لسان الحالْ

« الليل لَيْلٌ داجْ »

إزدانت السَّماء بالأبراجْ
أحسستُ بالهدير من تلاطم الأمواجْ
في حلُمي رأيتُ مَنْ عَرَفْتُه
على دروب الزَهْو يمشي مَرِحاً منتفخ الأوداجْ
يحمل عَيْناً مثل عين الصقر أمَّا عينُه الأخرى فمن زجاجْ
قال لسان الحالْ
سِيَّانَ عندى أن أرى خيالَ « دون كيشوت » أو خيال « هانيبال »
يختال كالمبهور خلف سيفه المظفَّر العظيمْ
ولم يكن في ناظِرَيَّ غير ظلٍّ عابرٍ
وقبضةٍ من باطل الزيف ومن مناجم السَّديمْ
وجاء من يهمس لي
بأنني الثالث فى برنامج الحفْلِ
وأني الأولُ السعيدُ فى قائمة التكريمْ
نصحني أن أترك الصراحةَ الجارحةَ العقيمهْ
على جيوب معطفي الممزق القديمْ
وارتاحَ حين ظَنَّ أن صوتَهُ
يقودني إلى انتهاج مسلك المثقَّفِ المهذَّبِ القويمْ
يا للضمير الحر حين تجدب الحياةُ
لا يبقى سوى منحنيات الجدل المدمر العقيمْ
وحينما عَبَرْتُ في جلبابي الأبيض كالصقيعْ
انتفض الجميعْ



لعلهـــم تخيلـوا بأننى مُضَرّجٌ بحمـرةِ النجيـعْ
وحينمـــا بدأت فى تـلاوة القصيـــده
وقلـت قـال الشاعـر العظيم ذو الارادة النافذةِ العنيده
انطلقتْ هَمْهَمَـةٌ قريبـــةٌ بعيــده
وصـاح مـن يُدْعـى بتـاج الديـــن
مـاذا تقول أيهـــا الضالع فى مكيدة الشيطــــان
قلـت لـه ياسيـدي اقـول ما اقـولْ
أقـول أنى واحــد مــن فرعـكم
أمُـتٌّ لا أدري إلــى عدنــانَ أم قحطـــانْ
أقـول ان العـدل قـد يورقُ أو يَذْبُـلُ فى حديقـةِ السلطـانْ
ياسيـــدي أقـــولْ
بــأن ما تنبتـــه أصابـع القهـر على مفـازةِ الفصـــولْ
يمـوت مثلمـا يمـوت صوتك الضائع بين ضَجّةِ الطبـولْ
فصاح بي اخْـرسْ فهـذا منطقُ العمالـــةِ الغارقِ تحـتَ لُجّـةِ الهَـوانْ
هَيّـا ابتعد فاننا نشجُـــب من يخطُـر فى ثيـاب بهلـوانْ
سمعتُ مَـنْ يقـول هـذا شاعـــرٌ مُثَرثِـرٌ مسكينْ
قضى عليـه عـارض الجنـون كـي ينام فـوق حافَـةِ السكّيـنْ
تفـرق الجميـعْ
كأنمـا انشـق فـم الأرض وَحَـلّ الصمـت في حضـوره المكثف المريـــعْ
وحينمـا صحوت من غاشيـة الذعـر رأيت غرفتي تسبـح فى الظـلامْ
تحسست يـدى مكـان الجـرح فـوق عنقـي
فاستيقنـت بــأن ظل الجـوع يُفضى دائمـاً الى دروب الشـوك والآلام
حــاولت أن أجهـــر بالنطـق ولكـن
فَـرَّ مــن لسانــي الكــلام !

اعترافات لص

في العدد الماضي من الدوحة كتب الدكتور نسيب النشاوى مقالا يتهم فيه الاستاذ يوسف الشاروني بانه سرق قصة « الثأر » المنشورة في العدد ٦٢ من الدوحة « فبراير ١٩٨١م » من قصة «الجمرة الأولى» للأديب السوري الاستاذ نصر الدين البحرة ، وقد جاءنا هذا الرد من الأستاذ يوسف الشاروني ، الذى آثر أن يكتب رده على شكل حوار ساخر :

ــ اخيرا ضبطتك شرطة الأدب متلبسا بجريمة السرقة ؟

ــ أية سرقة ؟

ــ للأسف غفلت عنك أعينهم طوال ثلاثين عاما تكتب فيها القصة والدراسة الأدبية وانت تجيد اخفاء مسروقاتك حتى فضحتك اخيرا أعينهم الذكية . والآن عليك أن تدافع عن نفسك

ــ لقد اكتشفوا إذن جريمتي وانا على مشارف الستين ما حسبت انني أفلت منه وانا ابن العشرين .

ــ اللص لص سواء كان في العشرين أو الستين او الثمانين .

ــ ولكن أليس من حقي أن أعرف تفاصيل الجريمة ؟

ــ لا شك انه من حقك . لقد نشر كاتب سورى أن مواطنه الأديب نصر الدين البحرة .. .

ــ يؤسفني ...

ــ لا تقاطعني ، ليس عندك صبر . دعني أكمل حديثي وستكون لديك الفرصة للرد والدفاع عن نفسك .

ــ هذه ثاني مرة تذكر فيها مسألة الدفاع عن النفس .

ــ لا تفقد أعصابك ولا تضخم الموضوع . مادمت قد عرضت نفسك للحياة العامة فيجب أن تتوقع كل شيء . هل يمكن أن أواصل كلماتي ؟

ــ تفضل .

ــ نشر الأديب السورى نصر الدين البحرة قصة منذ حوالى عشر سنوات بعنوان «الجمرة الأولى» .

ــ أين ؟

ــ لم يذكر صاحب الاتهام اسم المجلة ولا تاريخها لكنه لاشك يعرفهما . المهم أنه أعاد نشرها في مجموعة قصصية عام ١٩٨٠ بعنوان «رمى الجمار» ، وأن قصتك المنشورة بالدوحة في عدد فبراير من هذا العام ــ بصراحة وبلا لف ولا دوران ــ مسروقة من الأديب السورى . « إن هذا اللقاء بين الكاتبين في عنصر التعبير الفنى والعنصر التصويرى والعمل الفنى ومصدره وعقدته لا يمكن (لاحظ لا يمكن هذه) أن يفسره النقد الأدبى أنه من باب توارد الخواطر لأن توارد الخواطر لا يمكن (مرة اخرى) أن يكون في المعاني والأسلوب والصورة . وقد يصح أن يقع هذا في بيت من الشعر، أما في القصة فلا يمكن (مرة ثالثة) أن يقع بهذا الشكل » .

سيدى ، يؤسفنى أننى لم أسمع باسم الأديب الفاضل نصر الدين البحرة إلا منذ الآن ، ويمكن أن تسأل كل كتاب مصر إن كانوا قد سمعوا به أو قرأوا له قصة واحدة ــ مع احترامى الشديد له ــ وأن مواطنه الذى لم أتشرف بالقراءة له قبل الآن هو الذى يعرضه لهذه الحقيقة .

ــ ربما هذا هو الذى أغراك بالسرقة منه .

ــ بل هذا لعله جهل منى . ولكنى بشر لا أستطيع أن أتابع كل كاتب في الدنيا . فأنت تعرف انى أتابع ــ بقدر ما يسع وقتى وجهدى ــ ما ينشره الكتاب المصريون : شيوخهم وشبابهم ، وما يكتبه كتاب العالم العربى ممن يتفضلون باهدائى انتاجهم ، ولم يكن من بينهم الأستاذ نصر الدين البحرة . كما أتابع الانتاج العالمى ــ بقدر جهدى ــ واكتب الدراسة الأدبية والقصة . ويشاء سوء حظى الا أسمع باسم نصر الدين البحرة ولا قرأت له كلمة واحدة ، رغم انى سرقت منه والتقيت به مع سبق الاصرار والترصد في التعبير الفنى والعنصر التصويرى والأسلوب والصورة الفنية ... الخ

ــ إذن فكيف تفسر ...

ــ دعنى أكمل كلامى ، فلاشك انك حريص أن تعرف مصدر قصتى .

ــ بلاشك .

ــ ان أحد مصادر قصصى هو ما يرويه الآخرون . وقد كنت مهتما ذات مرحلة بموضوع الثأر فاستجمعت عددا من قصصه من أفواه الذين اتصل بهم ونشرت احداها في جريدة الأهرام القاهرية . والقصة المنشورة في مجلة الدوحة مصدرها زميل بالعمل من أبناء دراو محافظة أسوان بأقصى صعيد مصر . هذه القصة كان هو شاهد عيان لها اثناء طفولته منذ ثلاثين عاما ...

ــ ها قد وقفنا على الصلة . فزميلك لابد أن يكون قد قرأ للبحرة وادعى القصة لنفسه .

ــ من حسن الحظ أو سوئه أن زميلى لا يقرأ لا نصر الدين البحرة ولا يوسف الشاروني وقد ضحك عندما قرأ صحيفة الاتهام المنشورة في الدوحة ولعلك معي في أن هذه الضحكة ابلغ رد .

يوسف الشاروني